أحمد بن ماجد

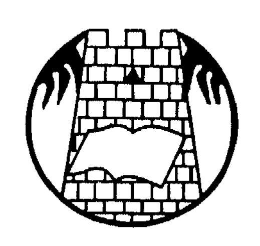
حياته، مؤلفاته، استحالة لقائه بفاسكو دي غاما

تأليف

إبراهيم خوري

سلسلة كتاب الأبحاث

(١)



أحمد بن ماجد

حياته، مؤلفاته، استحالة لقائه بفاسكو دي غاما

تأليف

إبراهيم خوري

سلسلة كتاب الأبحاث

(١)



١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الثانية

رقم الإيداع لدى وزارة الإعلام والثقافة

٤٥٦ بتاريخ ٢٠/١/٢٠٠١م

خ و ر
٩١٠.٩٢

أحمد بن ماجد

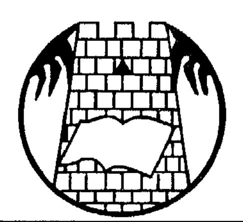
حياته، مؤلفاته، استحالة لقائه بفاسكو دي غاما

تأليف : إبراهيم خوري

إصدار مركز الداسات والوثائق

رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

مقاس : ١٧ × ٢٤ ص: ٢٩٠



مـركـز الـدراسـات والـوثـائـق

ص.ب: ١٥٥٩ - رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

هاتف : ٢٣٣١١١١ - ٧ - ٠٠٩٧١ - فاكس : ٢٣٣١٠٠٠ - ٧ - ٠٠٩٧١

DOCUMENTARIES & STUDIES CENTRE

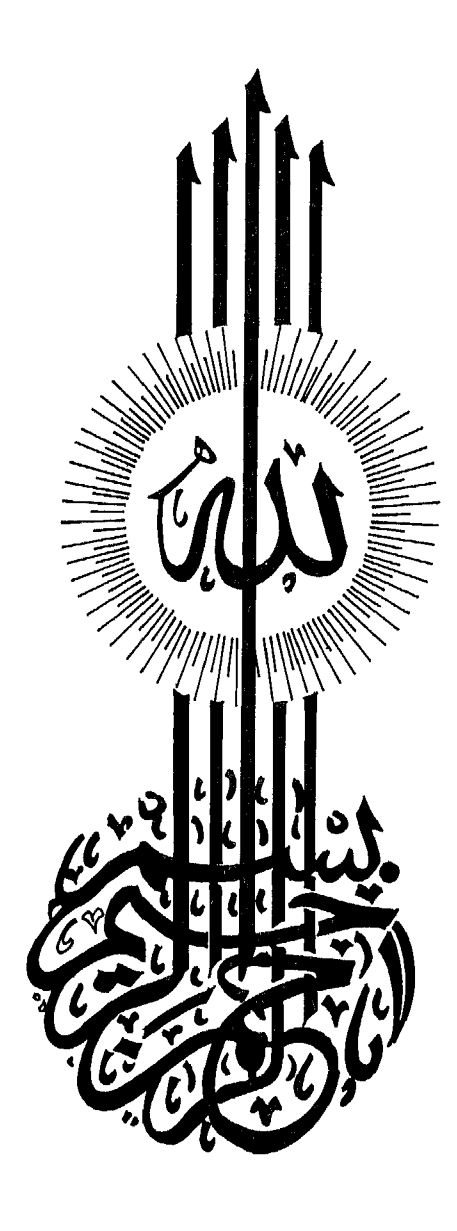
Tel.: 00971 - 7 2331111 - Fax : 00971 - 7 - 2331000

P.O.Box : 1559, Ras Al Khaimah, U.A.E.

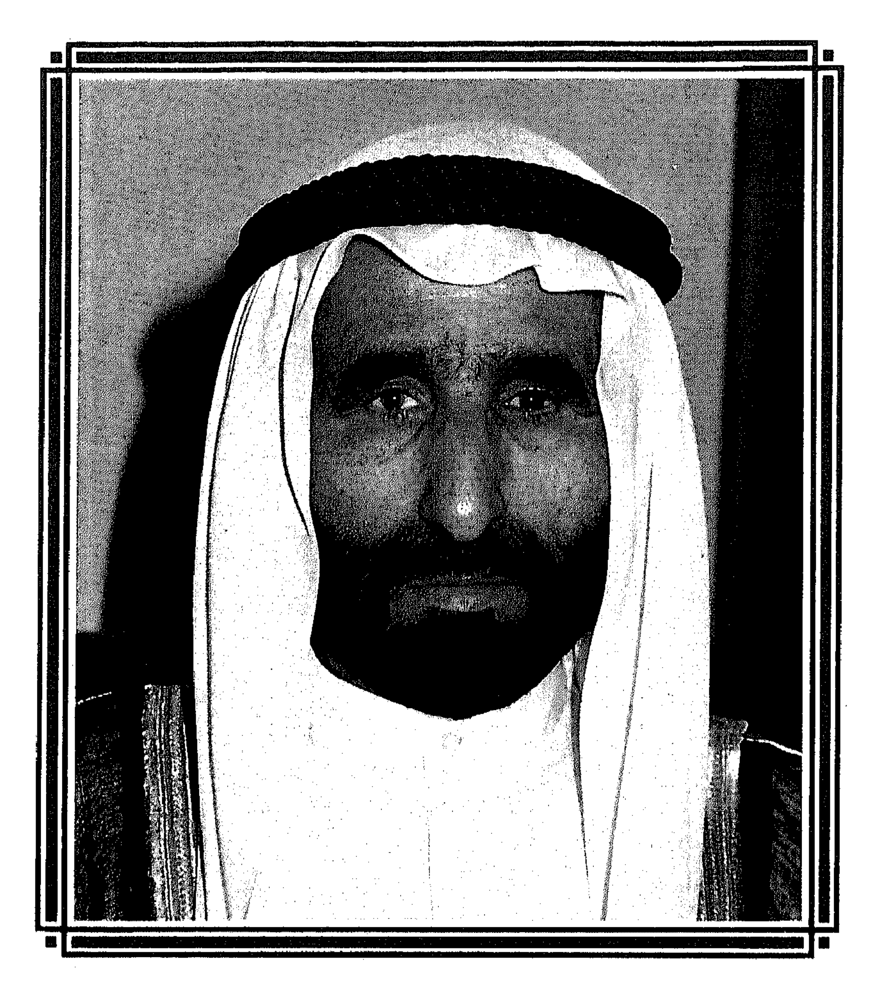
E-mail: dscgrak@emirates.net.ae

www.dsc_amiricourt.com




الله
بسم الله الرحمن الرحيم





صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي

حاكم إمارة رأس الخيمة





سمو الشيخ خالد بن صقر القاسمي

ولي العهد ونائب الحاكم



مقدمة الطبعة الثانية

يسرني وأنا أضع مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (أحمد بن ماجد حياته، مؤلفاته، استحالة لقاءه بفاسكو دي غاما) أن أشير إلى الاهتمام الذي ناله الكتاب عند جميع الباحثين والمهتمين بالتاريخ عامة وتاريخ الإمارات خاصة ، ولابد أن أنبه إلى أنه قد نفدت الطبعة الأولى لكثرة الطلب عليها لأن مرجعية أبحاث الكتاب كانت مجموعة مصادر قيمة وذات خصوصية علمية فريدة لأن علم الملاحة يومها لم يكن معروفاً عند العرب فقلة التأليف في هذا المجال وندرة التوثيق جعلت من الوثائق والمراجع العربية والأجنبية مهمة للغاية ،فاجتهد المؤلف اجتهاداً كبيراً للحصول عليها ، ولا أغالي إذا قلت أن المؤلف ممن شهد لهم بالدقة والشمول في كتاباته التاريخية القيمة التي جعلت منه بحق المؤرخ العربي الوحيد الذي نال قصب السبق في ترجمة كثير من الوثائق التي تخص منطقة الخليج العربي وبالأخص منطقة الإمارات العربية المتحدة ونتيجة لذلك كان على مركزنا* أن يتعهد بالرعاية والمتابعة لمثل هذه الأبحاث القيمة وذلك في شكل إصدارات محكمة طبعت خصيصا لإثراء المكتبة العربية في وقت قل فيه العطاء والتأليف . وتأتى هذه الأبحاث لتضع السيرة الحافلة - للعالم العربي المسلم أحمد بن ماجد ابن مدينة جلفار رأس الخيمة حالياً - بين أيدي المهتمين والباحثين بتراث هذه الأمة العربية التي أنجبت فطاحلة العلوم قاطبة فكانوا بمثابة النبراس والنور الذي أنار مسالك الحضارة التي انبهرنا بها رغم أنها من بنات أفكار علمائنا الأجلاء . أملنا كبير في أن تحظى هذه الإصدارات بالقبول الحسن من لدن الباحثين والدارسين .

والله نسأل أن يرزقنا السداد في القول والإخلاص في الفكر والعمل .

مدير المركز

د/ علي عبدالله فارس

* مركز الدراسات والوثائق بالديوان الأميري راس الخيمة

تصدير

كتاب ابن ماجد منظر الملاحة

البحث عن تاريخ الأعلام من أبناء الأمة والوطن ليس ترفا في الكتابة أو إسرافا في التأليف والطبع والنشر . إنما هو إحياء لعبقريات الأجداد الذين كانوا روادا في بناء الحضارة العربية والانسانية ، استفاد الغرب من علومهم وتطوروا بها في الوقت الذي تناسيناها فيه . ونحن اليوم نمضي في مسيرة النهضة العربية الشاملة بعد قرون وسنوات من الضعف والتخلف ، علينا أن نعود الى تاريخنا فنتبين ما فيه من عظات وعبر ونتلمس عطاءاته من علوم ومعارف تعيننا في مواكبتنا لركب الحضارة الحديثة . فننطلق من أصالة ذاتية تاريخية الى مستقبل أصيل راسخ متين .

وقد عمد صاحب السمو الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم امارة رأس الخيمة وولي العهد سمو الشيخ خالد بن صقر القاسمي الى الاهتمام بالأصول التاريخية وتشجيع البحث والدراسة العلمية للكشف عن ماضي أمتنا الحضاري وعن معالم تاريخها البارزة . ومن هنا كان الاهتمام بالبحث عن مؤلفات شهاب الدين احمد بن ماجد عالم البحرالعربي الشهير ابن مدينة جلفار التاريخية بإمارة رأس الخيمة لإبرازها واعطائه حقه من العناية بعلومه ومخترعاته لتسهم بالتالي في إثراء التقدم العلمي العربي القائم .

وقد عمل مركز الدراسات والوثائق برأس الخيمة ـ بحرص من سمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي رئيس الديوان الأميري ، على التعاون مع الأساتذة الباحثين والمؤلفين العلميين والمؤرخين لإبراز المؤلفات العلمية الخاصة بأحمد بن

ماجد واعداد الدراسات التوثيقية عنها تعميما للفائدة العلمية والثقافية وإيضاحا للحقائق الثابتة وكشفا للتشويهات المغرضة التي دُست على ابن ماجد وعلى مؤلفاته .

وجاء هذا الكتاب (احمد بن ماجد... منظر الملاحة في المحيط الهندي وبحاره الشاطئية) من تأليف الاستاذ ابراهيم خوري الذي أولى اهتماما متواصلا امتد لسنوات طويلة بعلوم ابن ماجد ومؤلفاته وقام بتحقيق العديد من كتاباته باكورة لسلسلة من الكتب العلمية التي نأمل ان تحيط بكل انتاج ابن ماجد العلمي ، البحري والفلكي والفكري .

ولعل هذا الكتاب الى جانب ماسيتبعه من كتب واصدارات يشكل رافدا علميا للمكتبة العربية وللدارسين والباحثين .

والله ولي التوفيق .

احمد جلال التدمري
مدير مركز الدراسات والوثائق
سابقاً

مقدمة

أحمد بن ماجد أشهر معالمة بحر الهند العرب في تاريخ الملاحة العربية ، لا يضاهيه إلا ابن فاطمة المغربي الذي عاش في القرن الثاني عشر/السادس الهجري ، وارتبط اسمه بالدوران حول إفريقية عن الطريق الغربية في بحر الظلمات أي المحيط الأطلسي ، وبالوصول إلى جزيرة القمر أي مدغشقر ، قبل البرتغاليين بثلاثة قرون .

وهو منظّر علم الملاحة العربي ، ومطبق علم الهيئة فيه ، وصاحب الاكتشافات الجغرافية الذي سبق الأوربيين في تعرفهم على بحر الهند من أقصاه إلى أقصاه ، وواضع نظريات جددت رؤية الجغرافيين القدامى إلى هذا المحيط ، وعللت هبوب رياحه الموسمية ووصفت الرياح المحلية والمد والجزر في الخليج العربي والبحر الأحمر وبحر العرب ، ومبتكر المصطلحات العربية في شتى العلوم والفنون التي تعتمد عليها ملاحته .

مع ذلك بقي منسياً خمسة قرون ، ولم ينشر إلا النزر القليل عنه وعن علمه حتى القرن العشرين . وقد آلينا على أنفسنا أن نحقق جميع مصنفاته ونحللها ونطبعها ، وقد فعلنا . ونود الآن أن نعرف به في الجزء الأول من هذا الكتاب ، وأن نعرض ملاحته الفلكية في جزء ثان .

وبالله التوفيق .

ابراهيم خوري



القسم الأول

حياة أحمد بن ماجد



تمهيد

عبثاً يحاول الباحث أن يعثر على نبذة عن حياة أحمد بن ماجد وأعماله في المراجع العربية الكبرى المطبوعة ، أو في ما هو معروف ومفهرس من مخطوطات جزيرة العرب العائدة إلى عصره . وتذهب تحرياته أدراج الرياح إن هو سعى إلى تقصيّ أخبار هذا الرجل العظيم في المصادر الأجنبية في البلدان المجاورة لجزيرة العرب كفارس أو العراق أو مصر أو فلسطين ، مع أنه زار القدس ، وأرسى مراكبه في موانىء ايران وفي مرافىء البصرة والقلزم والقصير على مدى سنين طويلة .

على أن اسم أحمد بن ماجد ورد في كتابين عربيين وفي كتاب ثالث تركي .

فالكتاب العربي الأول ، هو «العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية» لسليمان بن أحمد بن سليمان المهري . فقد جاء في الصفحة ١٧ منه ، س ٣ ـ ٤ : «وأحسن القياس ما كان معتدل الخشبات أي لا كبيرة ولا صغيرة ، كما قال أحمد بن ماجد في أرجوزته» . وفي «العمدة» ذاتها أيضاً ، في الصفحة ١٨٨ ، حاشية ٢ ، يقرأ اسم أحمد بن ماجد في استشهاد بيتين من إحدى أراجيزه المفقودة غير المسماة[1] . ولم يتحدد تاريخ تأليف هذه العمدة ، لكن يرجح أنها تعود إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر أي إلى ما يزيد على نصف قرن بعد وفاة أحمد بن ماجد .

---

(١) العلوم البحرية عند العرب ، مصنفات سليمان بن أحمد بن سليمان المهري ، الجزء الأول ، العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية ، تحقيق ابراهيم خوري ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٠ .

والكتاب العربي الثاني هو «غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة» ، المسمى «البرق اليماني في الفتح العثماني» ، تأليف قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي (٩١٧هـ/١٥١١م - ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) ، مفتي مكة وأحد قضاتها ، المعروف بميوله التركية وبصلاته الوثيقة بالدولة العثمانية وتحزّبه لها . وهذا الكتاب كتاب تاريخ ، جاء فيه عن «الفرتقال اللعين» حرفياً : «ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند إلى أن خلص منهم غراب إلى الهند . فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر ، إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر ، يقال له أحمد بن ماجد»[1] . وقد عنونه النهروالي في البدء «الفتوحات العثمانية للأقطار اليمانية» ، وصنفه عام ٩٨٢هـ/١٥٧٤م ، أي بعد مرور ثلاثة أرباع القرن على وفاة أحمد بن ماجد .

والكتاب التركي هو «المحيط» لأمير البحر علي بن الحسين ، المتوفى عام ٩٧٠هـ/١٥٦٢م ، الذي أتم تأليف محيطه في بلدة أحمد أباد ، تحت ولاية كوجرات الهند ، في أواخر شهر محرم الحرام من شهور سنة اثنتين وستين وتسعماية من الهجرة النبوية/آخر كانون الأول عام ١٥٥٤م ، أي حوالي نصف قرن بعد وفاة أحمد بن ماجد . وفيه يعلن هذا الضابط التركي صراحة أن كتابه ترجمة عن «أحمد بن ماجد» و«سليمان بن أحمد» (يقصد المهري) ، عن تصانيف كتاب الفوائد والحاوية وتحفة الفحول والعمدة والمنهاج وقلادة الشموس[2] . ويعود المترجم فيما بعد ، فيكرر إطراءه سعة اطلاع «أحمد بن ماجد» ويلقبه بمعلم بحر الهند[3] .

هذه الإشارات الثلاث إلى أحمد بن ماجد في ثلاثة كتب مختلفة التواريخ ، يتيمة ، لم نجد سواها في مراجعنا ، ولا سمعنا أو اطلعنا أن غيرنا عثر على شيء آخر يضاف إليها .

---

(١) «غزوات الجراكسة والأتراك في جزيرة العرب المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني» ، منشورات دار اليمامة في الرياض ، ص ١٨ .

(٢) مخطوطة ريفان رقم ١٦٤٣ بخط يد المترجم علي بن الحسين ، ورقة ١ ظهر ، س ١٥ ، وورقة ٣ وجه ، س ١٢ - ١٣ .

(٣) مخطوطة ريفان ، ورقة ٣٣ ظهر ، س ١٢ - ١٤ .

لكن هذا لا يعني أن جميع السبل سدت في وجهنا ، وأصبحنا عاجزين عن إيضاح جوانب حياته ، من اسمه وكنيته ، وألقابه ، ونسبه وانتمائه الأرضي ، ومولده ووفاته ، وزواجه وسكنه ، وثقافته ولغاته وأسفاره . فمؤلفاته مليئة بالتفاصيل عن هذه النواحي التي نود الآن أن نستعرضها واحدة واحدة ، مستخلصة من شعره ونثره ، أي من تصانيفه أو من مخطوطاتها .



الفصل الأول

صيغ اسمه ودلالة بعضها

لا نقصد هنا «باسمه» العلم الخاص الذي أطلق عليه وعرف به في حياته فقط ، بل أيضاً انتماءه إلى أبيه وجدّه الأول ثم الثاني والثالث . . . والأكبر ، تمهيداً لاستنتاج ما يجوز أو يتحتم استنتاجه من نسبه . لذلك نميّز صيغاً عديدة لاسمه ، تضمنها شعره أو نثره ، أو وضعت في تصدير وجيز ، كتبه النساخ أو سواهم ، يسبق أراجيزه وقصائده عادة .

أولاً ـ صيغ اسمه

آ ـ أقصر صيغة لاسمه :

فأقصر صيغة لاسمه أشير إليه بها ، هي تسميته «أحمد» ، التي جاءت على لسانه ، في أرجوزته «السفالية» في البيت ٦٩١ ، وفي أرجوزته «المعربة» في البيت ١٧٧ ، وفي قصيدته «الذهبية» في البيتين ١٧٦ و١٩١ ، وفي قصيدته «البليغة في قياس سهيل والرامح» في البيت ٤٧ ، وفي قصيدته المخمسة في المخمسة ١٦ .

ب ـ صيغ مختصرة لاسمه :

وتلي عدة صيغ مختصرة لاسمه

١ - هو ووالده :

منها صيغة «أحمد بن ماجد» ، أي هو ووالده ، التي وردت في «حاوية الاختصار في أصول علم البحار» في الفصل الحادي عشر في البيت ١٠٩ ، وفي متن مخطوطة تاجر لـ «كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» ، في الورقة ١٠٨ ظهر س ١٣ ، وفي عنواني كتاب الفوائد إياه في نسختي باريس والظاهرية المخطوطتين ، وفي تصدير أرجوزته «السفالية» ، وأرجوزته «الملعقية» ، وأرجوزته «قسمة الجمة على أنجم بنات نعش» ، وقصيدته «التائية» ، وقصيدته «ضريبة الضرائب» ، وقصيدته «المخمسة» .

٢ - هو ووالده وجده الأول

ومنها صيغة «أحمد بن ماجد بن محمد» ، أي هو ووالده وجده الأول ، التي أدرجت في تصدير أرجوزته «المعرّبة التي عرّبت الخليج البربري وصحّحت قياسه» .

٣ - هو ووالده وجداه الأول والثاني

ومنها صيغة «أحمد بن ماجد بن محمد بن عمر» ، أي هو ووالده وجداه الأول والثاني ، التي اشتمل عليها تصدير أرجوزته «النتخات لبر الهند وبر العرب من جاه اثنتي عشرة إلى جاه إصبع» .

٤ - هو ووالده وجده الثاني دون الأول

ومنها أيضاً صيغة «أحمد بن ماجد بن عمر» ، أي هو ووالده وجده الثاني ، التي حواها تصدير قصيدته «المكية» ، وقصيدته «نادرة الأبدال في الواقع وذبان العيوق» .

٥ - هو ووالده وأجداده الأول والثاني والثالث والرابع

ومنها أخيراً صيغة «أحمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل بن دويك» ، أي هو ووالده وأجداده الأول والثاني والثالث والرابع ، المذكورة في تصدير قصيدته «كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأساميها وأقطابها» .

جـ ـ صيغ مطولة لاسمه :

ولاسمه ثلاث صيغ مطولة :

١ ـ أولاها «أحمد بن ماجد بن عمر بن فضل بن أبي الركايب» في مقدمة مخطوطة تاجر لحاوية الاختصار في أصول علم البحار .

٢ ـ والصيغة الثانية هي «أحمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل بن دويك بن أبي الركايب» في مقدمتي المخطوطة الباريسية لحاوية الاختصار في أصول علم البحار ، ورقة ٨٩ ، س٣ ، والمخطوطة الظاهرية لها ، في الورقة ١٠١ وجه ، س ٧ ـ ٨ .

٣ ـ والصيغة الثالثة أطولها . لا ينقصها إلا اسم الجد الأول «محمد» لتصبح تامة . وهي «أحمد بن ماجد بن عمر بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معلق ، ابن أبي الركائب» . وقد وضعت في تصدير أرجوزته «قبلة الاسلام» .

د ـ الصيغة الكاملة لاسمه :

أما الصيغة الكاملة لاسمه حتى الجد التاسع ، فهي «**أحمد بن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معلق بن أبي الركايب**» . ويعثر عليها في متن مخطوطة باريس لكتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، في الورقة ٣ وجه ، س ١٥ ـ ١٦ ، وفي متن المخطوطة الظاهرية له في الورقة ٣ وجه ، س ٢١ ـ ٢٣ ، وفي تصدير أرجوزته «بر العرب في خليج فارس» وقصيدته «الذهبية» . وهكذا يتفق ما ورد في كتاب الفوائد مع ما هو شائع بين الناس في الأوساط البحرية عامة وعند النساخ خاصة . فلا مجال للشك في وجوده ولا في نسبة تصانيفه إليه ، لأن أحداً لم يتحدث عنه في المصادر الكبرى المطبوعة . من جهة ثانية ، تنطوي صيغة اسمه الكاملة على مضمون خاص سوف نحاول استجلاءه .

ثانياً ـ ما يستخلص من اسمه الكامل

ففي اسم أحمد بن ماجد التام ناحيتان جديرتان بالاهتمام والإبراز :

آ ـ **الناحية الأولى** أن علمي جديه الثامن والتاسع اغفلا ، واستعيض عنهما بكنيتي **«أبي معلق»** و**«أبي الركايب»** اللتين طغتا على علميهما الأصليين ، وتدلان على مهنتيهما .

فالمعلق ، بكسر الميم ، قدح ضخم أو علبة ضخمة ، تصنع من جلد الإبل ، ويعلقها الراعي أو الراكب على ظهر الراحلة معه ، فيحلب فيها ويشرب بها . وميزتها أنها خفيفة عندما تكون فارغة ، ولا تنكسر إذا حركها البعير الذي يحملها ملآنة ، أو طاحت على الأرض . وهذا دليل على أن جده الثامن كان يملك إبلاً ، ويحمل سقاء الماء على بعضها ، اشارة إلى قطع الإبل أماكن لا ماء فيها ، وهذا لا يحصل إلا في إبل القوافل التجارية . أما الإبل المرعية ، فلها أظماء ، أي مدد حبس عن الماء . وإذا أراد صاحبها سفراً بعيداً في البادية ، عودها أن تشرب خمساً أو سدساً ، أي أن ترد المناهل مرة واحدة كل خمسة أيام أو ستة أيام .

والركايب جمع ركاب ، بكسر الراء ، وهي الإبل التي تخرج ليجاء عليها بالطعام أو التي يسافر عليها إلى مكة المكرمة وتحمل عليها المحامل ، أو التي تؤجر بكراء ، ويحمل عليها متاع التجار وطعامهم . وهذا كلام صريح يثبت أن جده التاسع كان يمتلك إبلاً يكاريها للحجاج والتجار .

بالتالي ، لا يخطىء الباحث ، إن استنتج أن أجداد أحمد بن ماجد أصحاب إبل حمل ، عملوا في النقل البري إلى مكة أو إلى عدن أو إلى الشمال على الساحل أو حتى إلى أقصى ساحل الخليج العربي الغربي . وطرق القوافل بين هذه الجهات معروفة وقديمة . ولعلهم تعاطوا التجارة إلى جانب النقل .

ب ـ **الناحية الثانية** : أن ماجداً والد أحمد ، كان راسخاً في علم البحر ، ومتمكناً فيه ، هو ومحمد ، جده الأول ، ووالد أبيه . وقد عظم أحمد والده ، وقال عنه في

كتاب الفوائد : «وكان الوالد ـ أي ماجد ـ عليه الرحمة والغفران ، يسميه البربابين ربان البرين ، ونظم الأرجوزة المشهورة الحجازية فوق ألف بيت»[1] . وذكر في مكان آخر : «وكانت أرجوزة الوالد خيراً لي من جميع ميراثه في ذلك المكان»[2] . وروى نقلاً عن الربان علي الهبي قول هذا الأخير : «سافرت عند والدك المعلم الشهير ، فريد عصره في هذه الفن ، المعلم ماجد بن محمد بن عمر ، في مائة وأربعين (أي من النيروز)»[3] . وأشار إلى ظهرة قريبة من المرما وظهرته «سماها أكثر أهل ذلك الزمان ظهرة ماجد»[4] . وأطرى علم جده أيضاً : «وقد كان جدي ، عليه الرحمة ، محققاً مدققاً ، ولم يقرأ لأحد فيه (أي في بحر القلزم قلزم العرب)» ، لكنه جعل علمه دون علم والده ماجد : «فزاد عليه الوالد ، رحمة الله عليه ، بالتجريب والتكرار ، ففاق علمه علم أبيه»[5] .

إذن ، كان آل ماجد عريقين في النقل البري والتجارة البرية في الماضي ، وفي النقل البحري وشؤونه في وقت لاحق وفي عهد أحمد بن ماجد وعهد والده وجده . فهم بالتالي ضليعون في علوم الملاحة الفلكية التي توارثوها أباً عن جد .

---

(١) العلوم البحرية عند العرب ، القسم الثاني ، مصنفات أحمد بن ماجد ، تحقيق ابراهيم خوري ، الجزء الأول ، كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧١ ، ص ٣٤٤ ، س ٦ ـ ٨ ، أنظر أيضاً ص ٣٧٣ ، س ٧ ـ ٨ ، ص ٣٥٧ ، س ٨ ـ ٩ ، ص ٣٧٤ ، س ٧ ـ ١٠ ، ص ٣٨٥ ، س ٧ ـ ١٢ ، ص ٣٩٣ ، س ١ ـ ٢ .

(٢) المرجع ذاته ، ص ٣٧٥ ، س ٢ ـ ٣ .

(٣) المرجع ذاته ، ص ٣٣٥ ، س ٢ ـ ٤ .

(٤) المرجع ذاته ، ص ٣٨٩ ، س ١ ـ ٤ .

(٥) المرجع ذاته ، ص ٣٤٣ ، س ٨ ـ ٩ .



الفصل الثاني

كنـــاه وألـــقابـــه

وردت كنى أحمد بن ماجد وألقابه في مصنفاته وفي عناوينها أو تصديراتها ، وجاءت مستقلة أو مقترنة بصيغ اسمه المختصرة أو المطولة .

أولاً ـ كناه

كنّى أحمد بن ماجد نفسه بكنيتين ، هما «ابن ماجد» و«ابن أبي الركايب» .

آ ـ كنية «ابن ماجد»

فكنية «ابن ماجد» واردة في البيت ٢٤٧ من أرجوزته «النتخات لبر الهند وبر العرب من جاه اثنتي عشرة لجاه إصبع» . وعنها تفرعت أشباه كنى أخرى ، نقصد «ابن مجد» في البيت ٢٢ من قصيدته «المكية» ، «نجل ماجد» في البيت ٢٩ من قصيدته «القافية» ، و«ماجد ابن ماجد» في البيت ١٣ من قصيدته «عدة الأشهر الرومية» .

ب ـ كنية «ابن أبي الركايب» :

وجاءت كنية «ابن أبي الركايب» في البيت ١٥٤ من أرجوزته «الهادية»

وقد أبنا أهمية هذه الكنية في الفصل الأول ، وما يستخلص منها من أمور تتعلق بمهنة أجداده . أما كنية «ابن ماجد» فعادية ، وإن كنا نميل إلى الظن بأنها من باب الفخر والمفاخرة بالنسبة إليه .

ثانياً - ألقابه

ولأحمد بن ماجد ألقاب كثيرة ، يشير بعضها إلى تديّنه ، لا إلى مرتبته الدينية ، وبعضها الأخر إلى رسوخه في علم البحر .

آ - الألقاب الدينية :

فالألقاب الدينية هي الشهاب أو شهابٌ أو شهابُ الدين وما شابهها ثم حاجُّ الحرمين الشريفين.

١ - فقد جاء لقب «**الشهاب**» في حاوية الاختصار في أصول علم البحار، في البيت ١٠٩ من الفصل الحادي عشر، وفي أرجوزته «السبعية» في البيت ٢٨٧ ، وفي أرجوزته «قسمة الجُمَّةِ على أنجم بناتِ نعش» في البيت ٢٢١ ، وفي أرجوزته «الهادية» في البيت ١٥٣ ، وفي أرجوزته «برُّ العرب في خليج فارس» في البيت ٩٩ ، وفي قصيدته «الفائقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل» في البيت ٥٥ ، وفي قصيدته «مواسم السفر» في البيت ١٨ .

٢ - وجاء لقب «**شهاب**» في أرجوزته «تصنيف قبلة الإسلام» في البيت ٢٨٨ ، وفي قصيدته «الذهبية» في البيت ١٨٥ ، وفي قصيدته «ضريبة الضرائب» في البيت ١٨٤ ، وفي قصيدته «المكية» في البيت ١٦٩ و ١٧٠ ، وفي قصيدته «نادرة الأبدال في الواقع وذُبَّان العيُّوق» في البيت ٤٨ ، وفي تصدير قصيدته «التائية»، وفي عنوان كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد في مخطوطة باريس.

ويُلحق باللقبين السابقين، لقب «**شهاب الحق**» في البيت ٢٤ من قصيدته «ميميّة الأبدال»، ولقب «**شهاب العلم**» في البيت ٧٠ من قصيدته «كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأساميها وأقطابها».

٣ ـ وتضمَّن متن كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد في مخطوطة باريس في الورقة ٣ ظهر، س ١٥، وفي مخطوطة تاجر في الورقة ١٠٨ ظهر، س ١٣، وفي مخطوطة الظاهرية في الورقة ٣ وجه، س ٢١، لقب «**شهاب الدين**»، الذي ورد أيضا في تصدير أرجوزته «تصنيف قبلة الإسلام»، وأرجوزته «النتخات لبرِّ الهند وبر العرب من جاه اثنتي عشرةَ لجاه إصبع»، وأرجوزته «المعرِّبة التي عرَّبت الخليج البربري وصحَّحت قياسه»، وقصيدته «الذهبية»، وقصيدته «ضريبة الضرايب»، وقصيدته «المكية»، وقصيدته نادرة الأبدال في الواقع وذُبَّان العيُّوق».

ويُلحق بهذا اللقب، لقب «**شهاب الدين والدنيا**» الوارد في عنوان النسخة الظاهرية لكتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد.

٤ ـ لقب «**حاجّ الحرمين الشريفين**». وذُكِر لقب أحمد بن ماجد «حاج الحرمين الشريفين»، في متن كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، في نسخة باريس في الورقة ٣ ظهر، س ١٤، وفي نسخة الظاهرية في الورقة ٣ وجه، س ٢٠، وفي تصدير أرجوزته «النتخات لبرِّ الهند وبرِّ العرب من جاه اثنتي عشرة لجاه إصبع» وأرجوزته «قسمة الجُمَّة على أنجم بنات نعش»، وأرجوزته «برُّ العرب في خليج فارس»، وقصيدته «الذهبية»، وقصيدته «التائية»، وقصيدته «المكية»، وقصيدته كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأساميها وأقطابها».

ب ـ الألقاب العلمية

ولأحمد بن ماجد ألقاب علمية كثيرة، يطلقها هو على نفسه، منها رابع الثلاثة وما بمعناها، والرئيس المقدَّم أو رئيس علم البحر أو أستاذ فن البحر، والمعلِّم، وربَّان الجهازين.

١ ـ **رابع الثلاثة، رابع الليوث، رابع الليوث الثلاثة، خَلَفُ الليوث**. فقد ورد لقب «**رابع الثلاثة**» في البيت الثاني من قصيدته «البليغة في قياس سهيل والرامح» (للثلاثة رابع)، وفي البيت ١٦ من قصيدته «ميميّة الأبدال»، وفي متن كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد في مخطوطة باريس في الورقة ٢ ظهر،

س ١٤، وفي مخطوطة الظاهرية في الورقة ٣ وجه، س ٢٠، وفي تصدير أرجوزته «قبلة الإسلام»، وأرجوزته «الملعقية»، وقصيدته «التائية».

وجاء لقب **رابع الليوث** في تصدير قصيدته «كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها».

وتضمّنت مخطوطة تاجر لكتاب الفوائد لقب **رابع الليوث الثلاثة** في الورقة ١٠٨، ظهر، س ١٤.

واشتملَ تصدير أرجوزته «برّ العرب في خليج فارس» وتصدير قصيدته «المكية» على لقب **خلف الليوث**.

ويقصد أحمد بن ماجد بالليوث المعالمة الشجعان، ويستعمل لهم أيضا أسود البحر بالمعنى ذاته، كما في البيت ٦٠ من قصيدته «ضريبة الضرايب» وفي البيتين ٥٠ و ٥١ من قصيدته «البليغة في قياس سهيل والرامح»، وفي البيت ٥٦ من قصيدته «الفائقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل».

ويعني بالثلاثة محمداً بن شاذان وسهلاً بن أبان وليثاً بن كهلان. ويسمّيهم «الثلاثة رجال المشهورين، المؤلفين لا المصنّفين[1]، والمصنّفين المتقدّمين، وثلاثة الأحبار[2]، والمشايخ الثلاثة المتقدّمين[3]. لكنّه لا يعتبرهم ربابين أو معلّمين لأنهم «لم يركبوا البحر إلا من سيراف إلى برِّ مكران»[4]. وكل ما فعلوه هو أنهم جمعوا رهنامجاً نثريا جمعاً، ونقلوه من أهل كلِّ بر فيما يختص ببحرهم، ولم يُجرِّبوا ما أخذوه عن غيرهم ولا تحققوا من صحته. ويضيف: «وقد وقّرتهم بقولي إني رابعهم لتقدمهم في الهجرة فقط»[5]، أي لمجيئهم قبله تاريخياً. أما من الناحية العلمية فلا

---

(١) كتاب الفوائد، ص ١٤، س ٦، و ص ١٥، س ٢.
(٢) المرجع ذاته، ص ١٢٩، س ٣ و س ٦.
(٣) المرجع ذاته، ص ١٦١، س ٦.
(٤) المرجع ذاته، س ٢ - ٣.
(٥) المرجع ذاته، ص ١٨، س ٢.

يراعي شعورهم إطلاقا، ويقول: «أنا ألَّفت واخترعت وفعلت وعملت وجرّبت وصحّحت وهديت به المسافرين. وتصنيفنا خير من تصانيفهم، وعلمنا خير من علمهم»[1]، او «وجَللنا قدرهم، رحمة الله عليهم، بقولي: إني رابع الثلاثة، وربما في العلم الذي اخترعناه في البحر، ورقة واحدة تقوم في الصحة والبلاغة والفائدة والهداية والدلالة، بأكثر مما صنّفوه»[2].

٢ ـ الرئيس المقدَّم أو رئيس علم البحر أو أستاذ فن البحر

ويصف أحمد بن ماجد نفسه بأنه **الرئيس المقدَّم**» في البيت الثاني من قصيدته «ميمية الأبدال». ويعيد ذكر «**الرئيس المقدم**» **في المخمَّسة الأولى من قصيدته «المخمَّسة» . ويحدِّد الشروط التي يجب أن تتوفر في هذا الرئيس المقدَّم. وقيل عن ابن ماجد إنه** «**رئيس علم البحر، وأستاذ فن البحر**» في عنوان كتاب الفوائد في مخطوطة باريس.

والرئيس المقدم، لا سلطة فوق سلطته، يأتمر الربان بأمره وحتى النَّاخُذَهْ. والكلمة الأولى والأخيرة له في شؤون الملاحة.

٣ ـ **المعلِّم أو المعلم أسد البحر الزخار**. وعرف ابن ماجد بين الربابين والنُّساخ بأنه **المعلِّم**، مثلما جاء في تصدير أرجوزته «تصنيف قبلة الإسلام»، وأرجوزته «المعرِّبة التي عرَّبت الخليج البربري وصحَّحت قياسه»، وقصيدته «ضريبة الضرايب»، وقصيدته «نادرة الأبدال في الواقع وذُبَّان العيّوق»، وقصيدته «المخمسة». وسماه عنوان حاوية الاختصار في أصول علم البحار «**المعلم أسد البحر الزخَّار**». ويقصد بأسد البحر الزخَّار المعلم الذي تظهر قدرته وشجاعته في أسفار عرض البحر.

٤ ـ **ربّان الجهازين**. وجاء في البيت العاشر من قصيدته «الفائقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل» أنه **ربّان الجهازين**. والمقصود بالجهازين: آلة اليد أي حطبات او خشبات القياس بالأصابع، والإسطرلاب في القياس بالدرجات.

---

(١) كتاب الفوائد، ص ١٢٩، س ٣ و س ٦.

(٢) المرجع ذاته، ص ١٦، س ١٠ ـ ص ١٧، س ١.



الفصل الثالث

نسبه القبلي وانتماؤه الأرضي

حدّد أحمد بن ماجد نسبه القبلي بجلاء تام في شعره ونثره، وعرَّف بها وبانتمائه الأرضي بلا لبس. وتتضح هاتان الناحيتان من كلامه تصريحاً او تلميحاً.

اولا ـ نسبه القبلي

ويفتخر في البدء بعروبته وإسلامه وببني سعد، على ما جاء في البيت ١٠٩ من الفصل الحادي عشر من حاوية الاختصار في أصول علم البحار:

أحمـــدُ بنُ مـــاجـــدٍ الشهـــابْ العـــربيُّ المعقـــليُّ الشهـــابْ

فـ «العربيُّ» واضحة. أما «المعقلي» فنسبة إلى معقل. ويستبعد أن يكون معقل المقصود معقلا بن يسار الصحابي من مزينة مضر. ويرجَّح أن يكون معقلا بن سنانٍ الصحابي أيضا لكن من أشجع، وأشجع قبيلة من غطفان، وغطفان حي من قيس عيلان: غطفان بن سعد بن قيس عيلان. وبذا يكون ابن ماجد قد أبرز عروبته وقرابته من أحد الصحابة، ونسبته ضمناً إلى سعد بن قيس عيلان، التي سوف يعلن عنها صراحة وبطرق متنوعة.

آ ـ نسبته الى بني سعد

فهو يؤكد أنه سعدي في أرجوزته السفالية في البيت ٦٩١ منها، وفي قصيدته «الذهبية» في البيت ١٩١، وفي قصيدته «المكية» في البيت ١٦٩، وفي قصيدته «نادرة الأبدال في الواقع وذبَّان العيوق» في البيت ٣٩، وفي عنوان كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد في مخطوطة باريس، وفي متن هذا الكتاب، ص ١٠، س ٦، وفي تصدير أرجوزته «قبلة الإسلام»، وأرجوزته «النتخات لبر الهند وبر العرب من جاه اثنتي عشرة لجاه إصبع».

والسعدي نسبة إلى بني سعد. إلا أن السعود كثيرة في قبائل العرب. فكان لا بد أن يوضح أحمد بن ماجد سعداً المقصودة، فقال في قصيدته «عدَّة الأشهر الرومية» في البيت ١٣، إنه «يؤول الى سعد بن قيس بن عيلان». وتكرر هذا التعبير ذاته في تصدير قصيدته «ضريبة الضرايب». وقيس عيلان ابو قبيلة من مضر، واسمه الناس بن مضر بن نزار، وليس في العرب عيلان غيره.

ب ـ نسبته الى عامر

ويشير ابن ماجد الى انتمائه الى قبيلة عامر أيضا فمعد فعدنان في قصيدته المكية في البيت ٢٢ منها. وعامر هذا هو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان. وبذا تصبح نسبة ابن ماجد الى عامر مثل نسبته الى سعد بن قيس بن عيلان، لكن عن جدٍّ آخر.

جـ ـ نسبته الى مادر

وورد هذا العزاء الى مادرٍ في قصيدته «المكية» أيضا في البيت ١٦ منها. ومادر هذا جد بني هلال ن عامر بن صعصعة. فلا فرق اذن بين هذه النسبة الجديدة ظاهرياً وبين النسبات السابقة إلا في اختيار الجد.

د ـ نسب أحمد بن ماجد القبلي الكامل وما يستخلص منه

على هذا النحو، يستطيع الباحث أن يستخلص مما تقدم صيغة كاملة مختصرة لنسب أحمد بن ماجد، القبلي على الوجه التالي: أحمد بن ماجد. . . . بن

مادرٍ بن هلال بن صعصعة بن عامر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان اي الناس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهذا يعني أنه ينتسب الى القبائل العدنانية المقيمة في تهامة ونجد والحجاز، إجمالا، مع أن بعضها مثل هوازن نازلة في اليمن، وكذلك سعد قيس عيلان أو أفخاذ منها إذن أصل ابن ماجد يمني استناداً الى نسبه القبلي. وتؤيد أقواله هذا الاستنتاج عندما يتحدث عن انتماء أجداده الأرضي.

ثانيا ـ انتماؤه الأرضي

قيلت أربعة أقوال في انتماء أحمد بن ماجد الأرضي، اقترن أوّلها باسم علي بن الحسين (٩٦٢هـ/١٥٥٤م)، وثانيها باسم حمد الجاسر (١٩٦٨)، وثالثها باسم أنور عبد العليم (١٩٧٩)، والرابع باستقراء كتاب الفوائد. وتتناقض جميع هذه الروايات. إلا أن أسدَّها أقربها الى عصر ابن ماجد، أي رواية عليٍّ بن الحسين، ما لم تظهر وثائق مكتوبة جديدة حاسمة تنفيها.

آ ـ أحمد بن ماجد جلفاريٌّ من أمارة رأس الخيمة

١ ـ مصدر الخبر: علي بن الحسين نقلاً عن أوساط الخليج

فعليٌّ بن الحسين أمير بحر تركي، عيَّنه السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٥٤ م، وكلَّفه بإعادة السفن الباقية من أسطول سلفيه بيْري ريِّس ومراد، من ميناء البصرة إلى مرفأ السويس. فقادها من شط العرب الى بوشير، فالبحرين، فجزيرة قيس، فجزيرة القسم، ومرَّ بجلفار ورأس مسندم، وخرج من الخليج العربي بسفنه الخمس عشرة، فهاجمه أسطول برتغالي مؤلف من عشرين سفينة. لكنه استطاع رغم خسارته بعض سفنه، أن يكمل طريقه باتجاه صحار ومسقط وقلهات. الا أن اسطولاً برتغاليا ثانياً (٣٤ سفينة) اعترض طريقه، وهبَّت عليه رياح عاتية، عصفت بمراكبه، فأغرقت بعضها، وفرَّقت الباقي وقذفت به نحو بندري الديو وسُرَتَ، فاضطرَّ أن يرمي مدافعه في البحر. وأسعده الحظ بالوصول

الى دَمَنَ بعد تتويهٍ دام ثلاثة أشهر. وتخلّى عن سفنه الى بَخْداوَنْد خانْ حاكم سُرَتَ.

وكان مولعاً بعلوم البحر، فاتّصل في أثناء رحلته من البصرة الى دمن، خلال ثلاثة أشهر، بمعالمة السواحل وربابنة البلاد، فحدّثوه عن المعالمة القدامى وعن المعالمة المتأخرين، وجمع تصانيف أحمد بن ماجد وسليمان المهري، وأخذ عنها كتابه «المحيط» أو «مرآة البحر». وقال في الورقة ٣ وجه، س ٤ ـ ١٣ منه إن أحمد بن ماجد من جلفار من ولاية عمان، وأعطاه فيه لقب معلم بحر الهند في الورقة ٣٣ ظهر، س ١٢ ـ ١٤.

ولم يقدم علي بن الحسين حجة واحدة تدعم قوله، ولا أشار مطلقاً الى الجهة التي استقى منها نبأه، إلا أن سياق كلامه يحتّم أن يكون معالمة الخليج العربي وبحر الهند الذين تحدّث إليهم طيلة ثمانية أشهر،[1] هم الذين أخبروه بأن أحمد بن ماجد من جُلْفارَ وسليمان المهري من الشِّحْرِ، وهم الذين زوّدوه بنسخ من تصانيف هذين المعلمين، مما يدل على أن انتماء ابن ماجد الأرضي كان معروفاً وشائعاً حتى في الأساط البحرية القريبة والبعيدة. ويرجّح أيضا أن يكون علي بن الحسين قد اطّلع على البيت ٨٥ من الفصل الحادي عشر من حاوية الاختصار في أصول علم البحار، التي ترجم شيئاً منها وأدخله في كتابه، نعني:

تَمَّتْ بِشَهْـرِ الحَـجِّ في جُلْفَـارِ   أوطـانِ أُسْدِ البَحْـرِ في الأقْطَارِ

والمأخذ الوحيد على رواية علي بن الحسين خطأ تاريخي مزدوج: فعُمان لم تكن «ولاية» تركية وجُلفار لم تكن تابعة لعمان، بل كان ساحل عمان حتى رأس الحد وساحل الإمارات حتى قطر تابعين في تلك الأيام لمملكة هرموز العربية الواقعة تحت سيطرة البرتغاليين الاسمية منذ سنة ١٥٠٧ م.

---

(١) خمسة أشهر اقامة في البصرة وثلاثة أشهر ركوب بحر من البصرة الى دمن.

٢ ـ تأييد غبرييل فرّان رواية عليٍّ بن الحسين

وأيّد غبرييل فرّان رواية علي بن الحسين، واعتبرَ أحمد بن ماجد جلفارياً اعتماداً على وثيقة أمير البحر التركي وعلى تحليله البيت ٨٥ إياه.

ـ وعبّر فرّان عن قناعته، فقرأ «أُسْدَ» في الشطر الثاني، وهي بضم الهمزة وتسكين السين، قرأها بفتح الهمزة وتسكين السين للضرورة الشعرية، ليجعل هذا اللفظ مفرداً لا جمعاً، وليعني به ابن ماجد (أَسَدَ البحر = ابن ماجد)، كما وضع بين قوسين في الصفحة ٢٠٦، س ٢٩، من كتابه «الإرشادات الملاحية والرهمانجات العربية والبرتغالية، المجلد الثالث، المدخل الى الملاحة العربية الفلكية».

ـ وبرّر قناعته، ففهم «أوطان» بمعناها الحديث، في حين ينبغي أن يتقيد باستعمالها الأصلي في القرن الخامس عشر: فقد جاء في لسان العرب: الوطن المنزل تقيم فيه، أي بيت الإقامة المؤقتة، لا البناء الذي يملكه الانسان ويسكنه على الدوام. ولو كلّف فرّان نفسه عناء الرجوع الى قصيدة ابن ماجد «البليغة في قياس سهيل والرامح»، لوجد فيها الفكرة ذاتها مكرّرة ومشروحة في الأبيات ٤٩ ـ ٥٢، وهي التالية:

رَعى الله جُلفارَ وَمنْ قدْ نَشا بِهَا ... وأسقى ثَـراهَـا وَابِلاً مُتَتَـابِـعْ
بِهَا من أُسُودِ البَحْر كلُّ مُجَرَّبٍ ... وفَـارسِ بَحْرٍ للشَّـدائِـدِ بَـارِعْ
يسرُّك في الأوصافِ إنْ وُصِفَتْ لَهُ ... حَذورٌ جَسورٌ في المُهِمَّاتِ شَاجِعْ
إذا قامَ في شَيءٍ يُرَجَّى كَمالُهُ ... يقومُ ولَمْ يَمْنَعْهُ عَنْ ذَاكَ مَـانِعْ

ويستشهد غبرييل فرّان في أبحاثه بالمراجع البرتغالية مثل باروس، وألبوكُويْركي، ورَهْنَامَج فاسكو داغاما، وحوليّات دامياو، وخاصة كتاب داورتِهْ بَربوسَهْ. لكنه لم يحاول أن يستفيد من هذا الكتاب الأخير ليعرف معنى بيت ابن ماجد، لأن المؤرخ البرتغالي قال حرفياً عن جُلفار: «فمتى تجاوزنا بلدة بُروفامَ (تحويرُ خَور فكّان)، نصل إلى بلدة أخرى تدعى جلفار، يقيم فيها الأثرياء

ومشاهير المعالمة وكبار تجار الجملة. وفيها مصايد سمك هامة جداً وأماكن غوص لصيد اللؤلؤ الصغير والكبير. وإليها يأتي مسلمو هرموز ليشتروا اللؤلؤ وينقلوه الى الهند والى بلدان أخرى»[1].

- لكن تضمّن بيت الحاوية ٨٥ ناحية تسترعي الانتباه، فاتت المستشرق الفرنسي: فهذا البيت يفيد أن ابن ماجد لزم جلفار في شهر الحج سنة ٨٦٦ هـ/١٤٦٢ م، ولم يفارقها، مع أن هذا الشهر شهر حركة منتظمة، بحرا وبرا، لقاصدي مكة المكرمة من الحجاج، تضاف الى حركة النشاط التجاري المألوف في بحر الهند والخليج العربي والبحر الأحمر، وتزيدها انتعاشا. بالتالي، بقاء ابن ماجد في جلفار يعني أولا امتناعه عن السفر في ذلك الوقت رغم توفر أسبابه، ويعني ثانيا اختياره جلفار للاقامة فيها في تلك الفترة التي لا يركب فيها البحر، مما يدل على وجود رابطة وثيقة بينه وبينها دون سائر الأماكن. وفي أشعاره ما يثبت تعلقه بجلفار.

مهما يكن، لم يرم علي بن الحسين الكلام على عواهنه، بل نقل ما ظل شائعا بين الناس عن انتماء ابن ماجد الأرضي حتى بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على وفاته.

ب - أحمد بن ماجد نجدي من المملكة العربية السعودية

قال حمد الجاسر، حسبما نقل عنه عمران العمران وعبد الرحمن الرويشد: «إن ابن ماجد، البحار المعروف، وصاحب المؤلفات والأراجيز عن شؤون البحر والنجوم هو تميمي من بلدة ثادق، ولا تزال عائلته تعرف بأولاد النوخذ». وبلدة ثَادِقَ إحدى قرى العارض في نجد بإقليم المحمل شمال غربيَّ الخليج[2]. وأيد أهل ثادق قول الأستاذ حمد الجاسر. لكن لا يجوز قبول هذه الرواية، لأن أحمد بن ماجد من بني سعد بن قيس عيلان، وليس تميماً.

---

(١) كتاب دوارته بربوسه، المجلد الأول، ص ٧٣.

(٢) عبد الله الماجد، الربان النجدي احمد بن ماجد، مجلة العرب، ج ١، السنة الثالثة، رجب ١٣٨٨ هـ/تشرين الأول ١٩٦٨، ص ٥٥، س ١٧ - ١٩، وص ٥٦، س ١ - ٤.

وروى عبد الله الماجد، حسبما نقل له، أنه يوجد في بلدة ثرمداء في إقليم الوشم أسرة صغيرة تدعى «آل ماجد» يقولون إن جدَّهم كان ملاحاً. وكان لأول الأسرة مرتب من الدولة التركية في عهد جدهم، وأن ابن ماجد نفسه ينتسب الى بني سعد، وأهل ثرمداء من بني سعد بن زيد مناة بن تميم[1]. لكنه رفض الخبر لأن ابن ماجد ليس تميميا. ويرى هو أن ابن ماجد نجدي من نجدٍ السعودية هاجرَ مع أهله الى ساحل الخليج ليعمل في الملاحة والغوص، مثلما يفعل نجديُّو السعودية. اذن يتفق حمد الجاسر وعبد الله الماجد على أن ابن ماجد نجدي سعودي، ويختلفان على البلدة النجدية التي رأى فيها النور. ويؤيدهما في كون ابن ماجد نجدياً سعودياً، محمد حسن عوّاد[2] ورشدي صالح مُلحس[3] وخير الدين الزركلي[4]. ولم يعط هؤلاء الباحثون حجة واحدة تثبت أن نجداً المقصودة هي نجد السعودية.

جـ ـ أحمد بن ماجد ظفاري من سلطنة عمان

اهتم الدكتور أنور عبد العليم بالملاحة العربية سنة ١٩٦٦، فألَّف كتيِّباً من القطع الصغير، عنونه: «ابن ماجد الملاح»، ونشره في سلسلة أعلام العرب رقم ٦٣ سنة ١٩٦٧. وجاء فيه في حديثه عن مخطوطة باريس رقم ٢٢٩٢، ما يلي: «يحتوي هذا المخطوط على تسع عشرة مؤلفاً في الملاحة الفلكية وفنون البحر، لربّان عربي من **عُمانَ** يدعى أحمد بن ماجد السعدي او النجدي، كما كان يُسمّى»[5].

وفي سنة ١٩٦٧، نشر في مجلة تراث الانسانية مقالاً وسَمَه «الفوائد في أصل علم البحر والقواعد لابن ماجد الملاح»، وأعاد نشره في مجلة العرب سنة

---

(١) المرجع ذاته، ص ٥٦، حاشية ١.

(٢) جريدة البلاد، العدد ١٨٢٧ تاريخ ١٣٨٤/٨/٢٩ هـ حسب عبد الله الماجد.

(٣) جريدة أم القرى تاريخ ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٧ هـ حسب عبد الله الماجد

(٤) اطلب احمد بن ماجد في الأعلام.

(٥) انور عبد العليم، ابن ماجد الملاح، ص ٥، س ٨ - ١٠.

١٩٧٠[١]. ورد فيه هذا النص حرفيّاً: وهو ـ اي ابن ماجد ـ كان **قد نشأ في جُلفارَ من عُمان**، إلا أنه كان دائم التنقل بين الساحل الإفريقي والعربي وللمحيط الهندي، ولربما قضى في البحر أكثر مما قضى على البر من عمره»[٢].

وفي مطلع سنة ١٩٧٩، نشر كتيّباً صغيراً آخر، عَنونه: «الملاحة وعلوم البحار عند العرب»[٣] حوى ثلاثة نصوص، قطع فيها أن ابن ماجد من ظفار.

النصّ الأول: «ومن ثم نرى أن الفضل في تسمية «علم البحر» بهذا المفهوم، يجب أن يعود بالدرجة الأولى للملاح العربي أحمد بن ماجد الذي عاش في ظفار بجنوب الجزيرة في القرن الخامس عشر الميلادي»[٤].

النصّ الثاني: «ويعتبر فرّان (١٩٢٢) أول من ربط بين مرشد فاسكو دي جاما ـ سواء أكان المعلم كانا أو كاناكا ـ وبين الملاح العربي الشهير أحمد بن ماجد من ظَفَار»[٥].

النصّ الثالث: «وهو مقطع ورد ضمن ترجمة أنور عبد العليم لفقرة من مقدمة محيط علي بن الحسين: «... وكذلك جمعتُ الكتب التي ألفها الربابنة المحدثون من أمثال أحمد بن ماجد من ظفار، وسليمان المهري من الشحر...»[٦].

فإذا قارنّا هذا المقطع الثالث بالمقطع العثماني ـ اللغة العثمانية التركية ـ المقابل له في مخطوطة أريفان رقم ١٦٤٣ المكتوبة بخط يد علي بن الحسين، وجدنا أن فيها «أحمد بن ماجد من جُلفار من ولاية عمان». وإذا عدنا إلى نص فران الفرنسي المقابل له والمنقول عن اللغة العثمانية، لاحظنا أنه أدى النص العثماني بأمانة. إذن

---

(١) مجلة تراث الانسانية، المجلد الخامس، ٥ نيسان ١٩٦٧، ص ٢٧٤ ـ ٢٨٦، والعرب، ج ٩، سنة ٤، ربيع الأول ١٣٩٠ هـ/حزيران ١٩٧٠، ص ٨٣٢ ـ ٨٥١.

(٢) مجلة العرب، ص ٨٣٧، س ٢٥ ـ ١٧.

(٣) عالم المعرفة، الكويت رقم ١٣، المحرم/صفر ١٣٩٩ هـ/ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩.

(٤) انور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ٩، س ١١ ـ ١٤.

(٥) المرجع ذاته، ص ١٢٨، س ١ ـ ٤.

(٦) المرجع ذاته، س ١١ ـ ١٢.

الخلل عند عبد العليم. فإما أن يكون اعتبر جلفار تصحيفاً لظَفَار، فصحَّح نصاً بخطٍّ المؤلف لا يجوز تغييره، وإما أن يكون قد قرأ قراءة خاطئة والغلط فاحش في الحالتين.

د ـ أحمد بن ماجد نجدي من الجمهورية العربية اليمنية

جاءت نسبة «النجدي» في مخطوطتي باريس والظاهرية، في الفائدة الأولى من كتاب الفوائد، بآخر نسب أحمد بن ماجد الكامل، بعد كنية جده التاسع مباشرة: «أبي الركايب النجدي» مفصولة عن جده الثامن المكنَّى «أبا مِعْلَق»، بنسبة «السعدي»: «بن أبي معلق السعدي بن أبي الركايب النجدي». ووردت أيضا في تصدير حاوية الاختصار بعد كنية أبي الركايب أيضا دون أن يكون النسب كاملا. ولا يعثر عليها أبداً بعد أي صيغة من صيغ أحمد بن ماجد الأخرى، مطوَّلة كانت أم مختصرة، في حين ذُكِرت نسبته إلى بني سعد (السعدي) مراراً وتكراراً.

و «النجدي» نسبة الى نجد. لكن نجد نجدان: نجد السعودية ونجد اليمنية.

لذلك تثير هذه النسبة قضيتين: أولاهما من هو النجدي، والثانية ما هي نجد المقصودة.

١ ـ من هو النجدي: أحمد بن ماجد أم جده التاسع أبو الركايب؟

ولولا الفصل بنسبة «السعدي» بين «أبي معلق» وبين «أبي الركايب» في نسب ابن ماجد الكامل، لما جاز التساؤل من هو النجدي، لأن «النجدي» تعود عندئذ حتما إلى أحمد بن ماجد حسب السياق وحسب العرف والعادة في اللغة والأسماء. إلا أن وجود «السعدي»، العائد إلى أحمد بن ماجد في اسمه الكامل وفي الكثير من صيغ اسمه الأخرى، يُسوغ التفكير في أن نسبة «النجدي» بعد كنية أبي الركايب، تابعة الى هذا الجد: «ابي الركايب النجدي». وفي هذه الحالة، تصبح الآثار المسماة في رأس الخيمة «بيت النجدي» آثار منزل أبي الركايب ومن جاء بعده من نسله أي أجداد ابن ماجد. ويستتبع هذا التخريج أن أبا الركايب النجدي

كان ينقل الحجاج والتجار براً على ركائبه من رأس الخيمة الى مكة. ويستتبع أيضا أن آل ماجد كانوا مُستقرّين في رأس الخيمة قبل ابن ماجد بثلاثة قرون في الحد الأدنى، أي منذ القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، لأن أبا الركايب يمثّل الجد التاسع، أو الجيل التاسع قبل ابن ماجد. ولما كان العرف التاريخي يعتبر كل ثلاثة أجيال قرناً، فتسعة أجيال تساوي ثلاثة قرون. وما دام جد أحمد بن ماجد التاسع نجدياً، فهو نجدي أيضا، أي أن أصله من نجد مثل سائر أجداده الذين هاجروا منها إلى رأس الخيمة.

٢ - من ايّ النجدين جاء أجداد أحمد بن ماجد؟

لا شك إذن أن آل ماجد أتوا من نجد. ولا يحتاج الباحث أن يجهد نفسه ليعرف من أي من النجدين وفدوا. فأحمد بن ماجد نفسه يقول له، عندما يتغنى ببيت الشعر التالي، ويعلّق عليه:

تِهَـامَـةُ مَشْتـانَـا ونَجْـدٌ مصيفُنـا ونجـرانُ وَادينَـا الـذي نَتَخَـرَّفُ

ويشرحه قائلاً: «فالمراد بنجد هنا صعدة وما يليها، ونجران شرقها، وسد مأرب شاميّها للشرق، والجوف بقربه، والربع الخالي على مشارق الجميع»[١]. ويستتبع هذا الشرح أن ابن ماجد يقصد بـ «النجدي» نسبة الى نجد اليمن لا أي نجد أخرى، وبالتالي أن أصله وأصل آله من نجد اليمن ومن صعدة ذاتها.

ويبدو أن مدلول نجد عند المؤرخين اليمنيين لا يختلف عن مدلولها عند ابن ماجد. فالخزرجي يقول مثلاً: «وفي سنة اثنتين وخمسين، سار الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول، والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة، والعساكر المظفرية الى مدينة صعدة... ثم فتحت صعدة... ورتّبا في صعدة الأمير عز الدين بن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام وهبة بن الفضل. ورجع الأميران الى صنعاء. وفي ذلك يقول الأمير عز الدين عزّان بن

(١) ابراهيم خوري، كتاب الفوائد، ص ٣٧٩، س ١٢ - ص ٣٨٠، س ٣.

سعيد بن نسر بن حاتم على لسان الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام، ممتدحاً السلطان الملك المظفَّر:

سَـلامُ مَشُوقٍ وِدُّهُ مـا تَصَـرَّمَـا   يزورك من نَجْدِ وإنْ كُنتَ مُتْهِمَا(١)

فالقصيدة نُظمت في صعدة، وأُرسلت منها إلى تهامة. لكن جاء فيها «يزورك من نجد»، اي انَّ نجدا وصعدة مترادفتان في القصيدة اي في عرف أهل اليمن والخزرجي.

ولا نرى لزوماً للاستشهاد بأقوال الجغرافيين العرب. وكلام ابن ماجد واضحٌ وصريح: فهو وآله يمنيون في الأصل.

هـ ـ تقويم الروايات: أحمد بن ماجد جلفاري من أصل يمني

هذا ما قيل أو كتب عن انتهاء أحمد بن ماجد الأرضي. فما هي قيمته؟

١ ـ إن نسبة أحمد بن ماجد الى نجد السعودية تحتاج إلى اثبات عجز القائلون بها عن تقديمه. ولا يقبل المنطق ادعاءا عفوياً صادراً عن بلدة تادق أو ثرمداء، ولا يجيز العقل التسليم بشيء يناقض نسب ابن ماجد المبرهن عليه بشواهد واردة في تصانيفه. لذلك هذه الرواية مرفوضة برمتها.

٢ ـ ويستغرب كل الاستغراب رأي أنور عبد العليم المتقلب. ففي سنة ١٩٦٦، اعتبر أحمد بن ماجد عُمانياً، وفي السنة التالية، قال إنه جلفاري نشأ في جُلفار التابعة عمان في زعمه. وفي سنة ١٩٧٩، ابتدع ظفار، وعدّه ظفارياً بعد أن حرَّف ظفار عن جُلفار الواردة حرفياً في نص مقدمة علي بن الحسين. وبالتالي لا صحة إطلاقاً لنظرية عبد العليم، ولابد من ردها.

٣ ـ أما ما جاء في وثيقة علي بن الحسين من أن أحمد بن ماجد جلفاري، فصحيح، لا غبار عليه، لأن أمير البحر التركي لم يختلقه اختلاقاً، ولم يأت به

(١) الشيخ علي بن الحسن الخزرجي، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج ١، ص ١١١ ـ ١١٢.

مجازفة، بل تبصَّر فيه طيلة خمسة أشهر قضاها في البصرة يضاف إليها ثلاثة أشهر تنقَّل فيها من بندر الى بندر بين البصرة في العراق وبين دمن في جُوررات َ. وكانت نتيجة تحرِّيه من المعالمة وأهل البحر وسائر الناس تأكده أن ابن ماجد من جُلفار وسليمان المهري من الشِّحْرِ، وحصوله على تصانيف هذين المعلمين الشهيرين.

٤ ـ ولا يتعارض ما ورد في كتاب الفوائد على لسان ابن ماجد عن أصله وأصل آله. فهم من نجد اليمن ومن مدينة صعدة. ويستتبع هذا القول أنهم انتقلوا فيما مضى من الأيام من اليمن الى رأس الخيمة. وقد حدَّدنا ذلك التاريخ بالقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي على وجه التقريب.

الفصل الرابع

سنه ومولده ووفاته

عُثِرَ على اسم أحمد بن ماجد في مرجعين عربيين وفي مرجع واحد تركي. وهذا ما ذكرناه من قبل. لكن لا تحوي هذه المؤلفات شيئاً آخر عنه. بالمقابل تتضمن تصانيفه ومخطوطاته تواريخ أحداث وتواريخ نظم شعر ووصف حالته الصحية او الذهنية، وتفاصيل أخرى متنوعة عن حياته، يصح الوثوق بها واعتمادها أساسا لمعرفة سنه ثم تحديده على وجه الدقة الممكنة بتعيين تاريخ ولادته وتاريخ وفاته.

أولا ـ سن أحمد بن ماجد

ويهمُّ الباحث كثيراً أن يعرف هل طال عمر ابن ماجد وكم طال، لعلاقة هذا الموضوع المباشرة باتصاله المزعوم بفاسكو داغاما. ويوفِّر هو عناء الاستقصاء. ويجيب على هذا التساؤل، ويتأيد قوله بحجج حاسمة.

آ ـ **طول عمر ابن ماجد**. تثبت قصائد ابن ماجد وأراجيزه أنه عمَّر طويلا. فقد نظم قصيدته ضريبة الضرائب عام ٩٠٠ هـ/١٤٩٤ م، واستهلّها بالبيتين التاليين:

شبابٌ برأسي أعْجَبَ الناسَ منْ أمري　　أتاني عُقوبُ الشيبِ في آخرِ العُمْرِ

وأيُّ شبـابٍ بعدَ ستّينَ حِجَّـةً سَمَا في السَّما فوقَ السماكينِ والنَّسْرِ

ويقصدُ بالبيت الأول: أن الناس أصيبت بالذهول لأن شعره بقي أسود رغم تقدمه الكبير في السن، ولم يشب إلا في آخر عمره. وهذا يعني أنه كان في عام ٩٠٠ هـ/١٤٩٤ م تحت رهبة الموت، ويشعر بدنوّ أجله. ويأسف في البيت الثاني لذكر لفظ «شباب» لأن شبابه، بعد أن تجاوز كثيراً ستين عاماً، أصبح بعيداً جداً عنه بعد السماكين الأعزل والرامح والنسر الواقع عن الأرض. وهذا تأكيد أيضا أنه وصل إلى أقصى الكبر.

وفي العام ذاته، أي ٩٠٠ هـ/١٤٩٤ م، نظم قصيدته قسمة الجُمّة على أنجم بنات نعش، وقال فيها في البيت ٢٠٣:

لأنِّي قــد كُنْتُ أيّــامَ الـصِّبَـا هَـمَمْتُ فِـيْهَــا فــأَتَـتْني أشْـيَبَــا

والأشيب الأبيض الرأس. اذن لم يعد في رأسه شعرة واحدة سَوداء في عام ٩٠٠ هـ. وهذه إشارة واضحة الى طعنه في السن. ويعود في الشطر الثاني من البيت ٢١٤ من القصيدة ذاتها، فيكرِّر إحساسه بقرب منيته، فيقول: «خوفي أموت قبل أن تحررا». ويوصي بإصلاحها بعد مماته. وتعني هذه الوصية انتهاء عهد الاعتداد بالنفس عنده، وبداية شكه في قدرته لأنه لم يعد يسافر، بل يستطيع السفر، ليختبر ويجرّب ويدوّن كما كان يفعل طيلة حياته. وقد عبّر عن هذه الفكرة ذاتها في قصيدته ضريبة الضرائب، فقال في بيتها الـ ٤٣:

وَزِدْهُنَّ بالتجريبِ مــا استطَعْتَــهُ مَخَافَتُنَا أنْ لا يُسَــاعِدَنــا عُمري

ولم تراوده هذه الرؤى الكئيبة فجأة، بل مرت بخلده خمسة أعوام قبل أن ينظم قصيدتيه السابقتين. ففي عام ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م، صَنَّف القصيدة المكية، وقال في بيتها الـ ١٥١:

وصفتُ لَكُمْ تجريبَ خمسينَ حِجَّةً فَشَيَّبْنَ قَلْبِي لا تَقُلْ شَابَ ظاهري

فالقلب هنا يعبر عن العقل، إذ يقال في العربية: ما قلبك معك، وأين ذهب قلبك؟ أي ما عقلك معك وأين ذهب عقلك؟ والظاهر الرأس، من ظاهر كل شيء أعلاه، وظاهر الإنسان رأسه. ويفيد فعل «شيّبن» تغير لون الشعر من

أسود إلى أبيض فيما يتعلق بالرأس، وهو المعنى الحقيقي، أما فيما يتعلق بالعقل، فالمعنى المجازي مقصود، اي تحوَّل التمييز من سديد الى ضعيف. وبذا يصبح معنى البيت: في عام ٨٩٥ هـ، كان ابن ماجد قد أمضى خمسين سنة في البحر مسؤولاً عن المراكب، يُطبِّق فيها مبادىء علم الملاحة الفلكية، فلم تقتصر هذه المدة الطويلة على إنهاك قواه الجسدية ـ بدليل الشيب ـ بل أضعفت قواه العقلية أي حسن تمييزه للأمور.

ويستدل من جميع هذه الأقوال، الواردة على لسان ابن ماجد عن أوضاعه، أنه امتنع عن ممارسة مهنته منذ عام ٨٩٥ هـ، وأقام إما في بيته في مكة أو في بيت أهله أو بيتٍ ثانٍ له في صعدة أو جلفار أو سواها. وكان ما يزال حياً ومعتزلاً العمل في عام ٩٠٠ هـ.

وهكذا نرى أن ابن ماجد أشرف على الموت أو كاد في نهاية القرن التاسع الهجري، وقبل نهاية القرن الخامس عشر الميلادي. فماذا عنه في النصف الأول من القرن التاسع الهجري؟

ب ـ **تدربه في البحر الأحمر ومطالعاته**. إذا عدنا مرة أخرى الى تصانيفه، وجدنا بيتاً واحداً في حاوية الاختصار في أصول علم البحار يتعلق بهذه الفترة: وهو البيت ٧٦ من الفصل الحادي عشر منها أي:

قد راحَ عُمْري في المُطَالَعَاتِ وَكَثْـرَةِ التَّسْآلِ في الجِهَاتِ

وهذا يعني أنه أمضى سنيَّ عمره قبل تاريخ الحاوية، اي قبل ٨٦٦ هـ، ١٤٦١ م، يقرأ ويركب البحر. وهذا القول لا يسمن ولا يغني، لكنه لا يخلو من المعلومات غير المباشرة عن الفترة الأولى من حياة ابن ماجد، إذا أحسن تفسيره على ضوء ما يقصده بتعبير «الجهات»، شريطة أن يتوافق التفسير مع ما ورد في حاويته. فـ «الجهات» هنا سواحل بحر الهند، وكثرة التسآل في «الجهات» تعني الاستخبار المتواصل عن أصول الملاحة في تلك الأسفار الى شتى البلدان. فإذا علمنا أن أسفاره البحرية قادته إلى إفريقية الشرقية وفارس والهند وبلدان تحت الريح حتى بندر ملاَّقة، وإذا علمنا أيضا أنه تحدث عنها جميعا بشيء من التفصيل، وأورد آراء

معالمتها في الملاحة، حق لنا أن نتساءل لماذا لم يتكلم عن الصين بالدقة ذاتها[1]، ولماذا لم يتطرق الى الملاحة الصينية لا من قريب ولا من بعيد، واكتفى بالتصريح بأنه لم يستطع ضبط قياس الصين من معالمةٍ مجرَّبين[2]، وبأنه لا يعرف شيئاً عن الشراع الصيني[3]. ويتحول تساؤلنا الى استغراب عندما تعود الى ذاكرتنا الحملات الصينية السبع التي جاءت الى «المحيط الغربي» اي الهندي بين عام ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م وبين عام ٨٣٧ هـ/١٤٣٣ م، بسفنها الألف الضخمة، لاسيما وأن الحملات الثلاث الأخيرة منها[4] وصلت إلى ظفار والمكلا وعدن وجدة، وزار سبعة سفراء من الرحلة السابعة جدة ومكة عام ٨٣٦ هـ/١٤٣٢ م[5]، وقدَّموا الهدايا إلى شريف مكة بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسني، الذي أرسل بدوره هدايا إلى أمبراطور الصين.

فهل نستنتج من إغفاله الصينيين أنه لم يكن يعرف شيئاً عنهم، أم أنه كان ما يزال حدثاً أو لم يولد بعد؟ نظن أن افتراض الجهل عند ابن ماجد مرفوض رفضاً باتاً لأن سعة اطلاعه ثابتة في تصانيفه ولا تحتاج إلى إثبات. فلم يبق أمامنا إلا

---

(١) حاوية الاختصار في أصول علم البحار، فصل ٦، دير الصين، ص ٣٥، الأبيات ٧٢ - ١٠٤.

(٢) المرجع ذاته، فصل ٨، ص ٤٨، البيت ٣٨.

(٣) المرجع ذاته، فصل ١٠، ص ٥٨، البيت ٦١.

(٤) فيما يلي تواريخ الحملات الصينية وعدد سفن كل منها:

الحملة الأولى: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥ م - ٨١٠ هـ/١٤٠٧ م - ٣١٧ سفينة.

الحملة الثانية: ٨١٠ هـ/١٤٠٧ م - ٨١٢ هـ/١٤٠٩ م - ٢٤٧ سفينة.

الحملة الثالثة: ٨١٢ هـ/١٤٠٩ م - ٨١٥ هـ/١٤١٢ م - ٤٨ سفينة.

الحملة الرابعة: ٨١٦ هـ/١٤١٣ م - ٨١٨ هـ/١٤١٥ م - ٦٣ سفينة.

الحملة الخامسة: ٨٢٠ هـ/١٤١٧ م - ٨٢٢ هـ/١٤١٩ م - ...؟؟؟

الحملة السادسة: ٨٢٥ هـ/١٤٢١ م - ٨٢٦ هـ/١٤٢٢ م - ٤١ سفينة.

الحملة السابعة: ٨٣٥ هـ/١٤٣١ م - ٨٣٧ هـ/١٤٣٣ م - ١٠٠ سفينة.

(٥) كانت السفن الصينية تلفت النظر بعدد أشرعتها الكبيرة الذي يتراوح بين تسعة أشرعة و ٣ اشرعة حسب حجمها وغايتها.

الحالة الثانية، وهي إما أنه لم يكن قد رأى النور أو أنه كان ما يزال حدثاً، بالتالي بعيداً عن البحر وركوبه وشؤونه، فلا يُعقل في هذه الشروط أن يسمع أخبار الأساطيل الصينية أو يشاهد سفنها.

وهكذا لابد لنا أن نُسلِّم بأن أحمد بن ماجد عاش من الثلث الأول من القرن التاسع الهجري إلى آخره. وبوسعنا الآن أن نحاول تحديد تاريخ ولادته وتاريخ وفاته.

ثانيا - تاريخ ولادة أحمد بن ماجد

لكن يتعذر علينا تحديد ولادته بدقة. أما حساب تاريخها على وجه التقريب فممكن.

آ - أحمد بن ماجد معلم ماهر منذ سنة ٨٤٥ هـ /١٤٤١ م.

وصل أحمد بن ماجد منذ عام ٨٤٥ هـ إلى مستوى المعلم الماهر، الآمر الناهي في مركبه. ويستخلص هذا الوضع من قصيدته الذهبية التي نظمها سنة ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م، وجاء في بيتها التاسع ما يلي:

وَمَنْ باتَ يرعاهُنَّ خمسينَ حِجَّةً على طَلَبٍ عافَ الكرى في الغَيَاهِبِ

ويفيد هذا البيت أنه شرع يراقب النجوم ويقيسها منذ خمسين سنة اي منذ ٨٩٥ - ٥٠ = ٨٤٥ هـ. لكنه لا يسعه أن يقيسها إلا إذا ميز بعضها عن بعض، وعرف أماكن طلوعها وغروبها وظهورها ومدته، وأتقن استعمال آلات قياسها، وأجرى قياساتها في شتى الرؤوس، اي إلا اذا أصبح قديراً في الملاحة الفلكية أي علم البحر وتطبيق علم الهيئة فيه، بالتالي إذا صار معلماً ماهرا واكتسب جميع الخبرات اللازمة.

ويكرر خبرة الخمسين سنة مرتين أخريين. فيقول في البيت ١٥١ من القصيدة المكية إنه ضمَّنها «تجريب خمسين سنة»، ويقول في مختصر كتاب الفوائد

أيضا: «ما صنفت هذا الكتاب إلا بعد أن مضت لي خمسون سنة وما تركت صاحب السُكّان وحده، إلا أن أكون على رأسه أو من يقوم مقامي»[1]. فلا يكتفي بقياس النجوم وتحديد الطريق في البحر، بل يريد أن يتثبت أن صاحب السُكّان يجري السفينة في الاتجاه الصحيح المطلوب. فهو الآمر الناهي في جميع الأمور البحرية.

إذن تحمّل ابن ماجد منذ عام ٨٤٥ هـ أعباء جساماً، لا تلقى عادة على عاتق حديثي السن، ولا يتولاها إلا الرجال، وهذا يستتبع أن يكون ابن ماجد قد أصبح رجلا وولد حتماً قبل انتهاء الحملة الصينية السابعة اي قبل عام ٨٣٥هـ/١٤٣١ م لأن عشرة أعوام (٨٤٥ - ١٠ =٨٣٥) لا تجعل منه رجلاً.

ب ـ أحمد بن ماجد موجود قبل عام ٨٣٥ هـ/١٤٣١ م

ولو عدنا الى الحدث الصيني العظيم، نعني احتلال الصين جميع سواحل بحر الهند بما فيه سواحل افريقية الشرقية حتى مُنبَسَة، وتفاهمهم مع عرب الجنوب خاصة في هرموز وعدن، لاستنتجنا منه أنَّ ابن ماجد لم يسافر في بحر الهند قبل عام ٨٣٥ هـ.

بالفعل، ظل الصينيون خمسة وعشرين عاماً متواصلة (٨٠٨ هـ ـ ٨٣٧ هـ) يتنقلون بين بنادر بر الهند وبر العرب وبر الصومال وبر الزنج، ويُسَلِّمون حكامها وأصحاب السلطة فيها رسائل أمبراطورهم يونغ لو وهداياه، ويتلقون منهم رسائلهم وهداياهم له. وهذا يعني أنهم كانوا يترددون على مرافىء لا تخلو أبدا من السفن العربية أو المراكب التي تقصد الموانىء العربية. فلابد والحالة هذه، أن يراهم البحارة العرب وغير العرب، وأن يشاهدوا سفنهم الجبارة ويتناقلوا أخبارهم، ويتبادلوا الأحاديث عنهم في جميع أنحاء بحر العرب أو حوضة المحيط الهندي الغربية.

---

(١) كتاب الفوائد، ص ٢٠٢، س ٣ـ ٥.

ولا يمكن أن يخفى مثل هذا الحدث الخطير على أحد، لأنه دام ربع قرن، وزار فيه الصينيون البنادر العربية مرات عديدة وخاصة عدن، وذهبوا الى مكة المكرمة ذاتها. بالتالي انتشرت أخبارهم في اليمن والحجاز، أو، وهذا أضعف الاحتمالات، في الأوساط الحاكمة وأوساط أهل البحر والتجار فقط.

فلو كان أحمد بن ماجد يمخر عباب بحر الهند، لما فاته سماع الخبر الفريد، ولذَكَر واقعته، جرياً على عادته في الإشارة إلى الأحداث التاريخية الهامة الخاصة باليمن أو الحجاز او مصر في تصانيفه. لكن لا نقصد أنه كان بعيداً عن الملاحة في جميع البحار. فكلامه يفيد خلاف ذلك.

وإذا عدنا إلى أخباره عن جدّه الأول وأبيه، أدركنا أنه كان يصحب والده في أسفاره في بحر قلزم العرب، ثم استقل عنه.

بالفعل يُنبئنا أن جده محمداً أول من قام بإجراء قياسات نجوم في هذا البحر، ثم حقَّقها ودقَّقها مع مرور الأيام، وخلَّفها في النهاية لابنه ماجد. وكرَّر ماجد بعده هذه القياسات، وأعاد التحقيق والتدقيق فيها، ثم نقلها بدوره الى ابنه أحمد. وأمضى أحمد بإقراره الصريح أربعين سنة، وهو يعيد أعمال والده ماجد وجده محمد، ويحررها ويحققها ويدققها ويصلح أخطاءها ويتمِّم نواقصها[1]. ويتضح من هذه الأقوال الموثوقة، رغم تسمية ماجد ربَّان البرَّين اي بر العرب وبر الهند، أن آل ماجد اختصوا أصلا بالملاحة في بحر القلزم، وأن أحمد بالذات تدرب فيه عند والده، قبل أن يصير رجلاً ومعلماً ماهرا وينطلق الى بحر الهند، ويصول ويجول في هذا المحيط بعد رحيل الصينيين عنه. فلا غرابة إذن في عدم إطّلاعه على الحملات الصينية لأنه كان آنذاك ما يزال في بحر القلزم بعيداً عن نطاق نشاطهم. بالتالي كان حياً في الثلث الأول من القرن التاسع الهجري، أي الثلث الأول من القرن الخامس عشر الميلادي بقي أن نحدد متى ولد بالدقة المتيسِّرة.

---

(١) كتاب الفوائد، ص ٣٤٢ - ٣٤٤.

جـ ـ أحمد بن ماجد مولود سنة ٨٢٥ هـ/ ١٤٢١ م

فلو فرضنا أن ابن ماجد نزل الى البحر في سن الخامسة عشرة أو ما دونها قليلاً، نعني عندما توفَّرت له قوة جسدية كافية لكي يقوم ببعض الأعمال في المركب، وتوفرت له قوة إدراك وتمييز يفهم بها أحوال البحر وشؤون الفلك الملاحي ويحفظها، ولو اعتبرنا أن تدريبه وبلوغ خبرته مستوى خبرة المعلم الماهر استغرقا خمسة أعوام أو ما يقرب منها فقط لأنه متعلم، لحصلنا على عمره في سنة ٨٤٥ هـ: ١٥+٥ = ٢٠ عاماً في أضعف الاحتمالات. ويستخرج تاريخ ولادته بطرح الرقم ٢٠ من سنة ٨٤٥: ٨٤٥ - ٢٠ = ٨٢٥ هـ/١٤٢١ م.

ونرى أن هذه النتيجة قريبة جدا من الواقع، وتتوافق مع ما جاء في قصيدتيه ضريبة الضرائب وقسمة الجُمَّة على أنجم بنات نعش، اللتين نظمها عام ٩٠٠هـ. فقد ورد فيهما أنه أصبح أشيب، لا سواد في رأسه، وأنه أشرف على «آخر عمره» وأنه يخشى أن يتوفّاه الله قبل إنهائهما. ويقضي هذا الوصف أن يكون عمره آنذاك، في حال صحة حسابنا ٧٥ سنة (٩٠٠ ـ ٨٢٥ = ٧٥). وفي هذه السن يكون قد تجاوز الستين كثيراً، وفقاً لما تضمنه بيتا مطلع قصيدته ضريبة الضرايب.

ثالثا ـ تاريخ وفاة أحمد بن ماجد

وتثبت هذه السن أي الخامسة والسبعون دنوّ أجل أحمد بن ماجد، مثلما ورد على لسانه. وتفيد أقواله في سنة ٨٩٥ هـ أنه لم يعد يركب البحر لضعف بنيته الجسدية وقدرته على التمييز. فلا شك إذن أنه اعتكف بعدها في بيته ينتظر لقاء وجه ربه. مع ذلك، كتب في عام ٩٠٦ هـ، قصيدته القصيرة المخمسة التي ألح فيها على ضرورة التصرف بحكمة في البحر، ولم يأت فيها بشيء جديد لم يسبق له أن تحدث عنه مراراً وجملة وتفصيلا. وكان قد بلغ الحادية والثمانين في تاريخها. ثم انقطعت أخباره تماما. ونحن نعتقد أنه توفّي في هذه السنة ذاتها.

الفصل الخامس

زواجه ومنزله في مكّة

مرّة أخرى، لا غنى للباحث عن تصانيف أحمد بن ماجد، إذا أراد إيضاحَ بعض نواحي حياته الخاصّة، ولا سيّما زواجه وبيته في مكة. والنص الوحيد المعوَّل عليه في هذا الشأن، هو مطلع القصيدة المكية من البيت الأول حتى البيت الثاني والعشرين.

أولا ـ زوج أحمد بن ماجد عامريّة ثقفيّة

ويخبرنا البيت العاشر من هذا الاستهلال أنه متزوج:

تَــزَوَّجْتُهــا وَنَــا قليـلُ إقــامَتِي   وذا يَقْتَضي حالُ المُحبِّ المُسَافِرِ

ويحدد الشطر الثاني من البيت الرابع عشر نسبها بدقة، حيث جاء فيه:

. . . .   سقَى اللهُ أَهْلِيْهَــاثَقِيفاً وَعَـامِرْ

إلا أن ثقيفاً وعامرا (عامر بن صعصعة) وسعداً أحياء من هوازن من قيس عيلان. إذن زوجه من عشيرته الأقربين: فهي ثقفيةٌ عامرية هوازنية قيسية عدنانية، مثله تماما.

ثانيا - زوج أحمد بن ماجد مقيمة في مكة

وتقيم زوجه في مكة على حد قوله في البيت السابع عشر:

وَسِرْتُ بِقَلْبٍ كادَ يَقْضي تأسُّفاً وَزَوَّدْتُ مِنْ سُكَّانِ مَكَّةَ ناظِري

ويتردد ابن ماجد عليها في أوقات متباعدة جداً، ويبقى عندها وقتاً قصيراً لأنه دائم الأسفار في البحر. فإذا أراد زيارتها، جاء إلى جدة، وأبقى مركبه في بندرها، وانتقل منها إلى مكة في إحدى القوافل التي تسلك طريق الركاني - بير علي - الغار، وتصل إليها بعد مرور ثلاث ليالي. ولا ينفي وجود هذا الزوج في مكة وجود أزواج أخريات في صعدة أو جلفار أو غيرها من الأماكن لأن الشرع أجاز له ذلك. لكنه لم يتحدث إلا عن امرأته العامرية، ووصفها وحدها.

ثالثا - ولوعه بزوجه العامرية ووصفه لها

وقال ابن ماجد عنها إنها بيضاء تأكيدا على شرفها الرفيع، وكرمها وأخلاقها العالية فلا يراد بالمرأة البيضاء عند العرب بياض بشرتها ولونها، بل مدح أخلاقها والإشادة بكرمها ونقاء عرضها من الدنس والعيوب. وذكر ابن ماجد جمالها، فأثنى على بدانتها وعرض كتفيها، وعظم أردافها. ولم يفته أن يتكلم عن فرحة اللقاء ومرارة الفراق، فينشد:

فَلا حَضْـرَةٌ إلّا وفيهَـا تَـوَدُّعٌ ولا نَـظْرَةٌ إلا وفيها مَـوَاطِـرْ
مخافةَ وشـكِ البَيْنِ يـومَ رحيلِنا بِغَـيْرِ وداعٍ وانكسارِ الخَـواطِرْ[1]

---

(١) البيتان ١١ و ١٢ من المكية.

الفصل السادس

ثقافته ولغاته

كان ربابنة بحر الهند أميين في القرن الخامس عشر، ما عدا القلة القليلة منهم. وأحمد بن ماجد واحد من هذه النخبة التي تعرف القراءة والكتابة. لكنه بذّها بمعارفه اللغوية والفلكية وثقافته العامة والجغرافية، وفهمه بعض اللغات الأجنبية.

أولا ـ لغة أحمد بن ماجد العربية

لا ريبَ أن ابن ماجد أول من دوّن فن الملاحة وعلمها بلغة عربية فصحى شعراً ونثراً، وأغنى هذه الفصحى بمصطلحات جديدة، وشق طريقا جديدة في وضع المصطلحات العلمية يحسن الاقتداء بها، وأثبت قدرة العربية على التطور والتكيف مع المقتضيات الحضارية المستجدة. إلا أن اللغة التي كتب بها لم تصلنا سليمة، لأن النساخ لم يألفوا كتابة مبادىء علم البحر، فجاءت مخطوطاته الملاحية مشوّهة، يصعب تقويمها بالتمام والكمال، إذا لم تُكتشف لها نسخ أوفر عددا مما هو معروف منها عند الباحثين.

وتميّز أسلوبه بالدقة في معاني الألفاظ، والابتعاد عن اللغو والحشو في العرض، وتكثيف الحقائق العلمية المبحوثة، وهو القائل في حاويته في البيتين ٧٤ و ٧٥ من فصلها الحادي عشر:

فَلَوْ أُرِدْ تَـطْويْـلَ كُـلِّ فَـنٍّ   لَمْ تُـطِقِ النُّسَّاخُ تَنْسَـخُ عَنِّي
قَصْدِي الأُصولُ في عُلُومِ البَحْرِ   لا قَصْـدِيَ الهَرْجُ وَكُـثْرُ الشِّعْرِ

مع ذلك، يحوي نثره الملاحي قضايا عويصة، ويعيب شعره ضعف في السبك والأوزان وتماديه في استعمال الجوازات الشعرية المستقبحة أو غير الموجودة أصلاً، ووقوعه في ارتكاب بعض الأخطاء النحوية. ويعترف هو نفسه بجميع عيوبه، ويحذّر من أخطاء النساخ. من ذلك قوله في البليغة (الأبيات ٥٣ ـ ٥٥):

فَقِيْسُوا قِيَاسَاتي على البَحْرِ كلِّهِ   فَلَنْ تَجِدُوا فيهَا زِحَـافاً ودَافِـعْ
سوى الضيقِ والتنفيسِ هذي وديعَتي   لديكُمْ فَلا تَنْسُنَّ صَوْنَ الوَدا
وإلّا فَمِنْ سَهْـوٍ وكَـاتبِ زَلَّـةٍ   مُسْتَعْجِلٍ لا يُتْقِنُ العلمَ

وقوله في السبعية (البيت ٢٩٦):

إنْ كـانَ في ألفاظِهَـا والقَـافِيَـهْ   ضُعْفاً تَرى فيهـا المعاني وَافِيَـهْ

وقولُه في ضريبة الضرايب (البيتان ١٨٨ و ١٨٩):

فـأوسَمْتُها بـاسمِ الضَّرايبِ إنَّها   حَوَتْها ولو قَصَّرْتُ بالحقِّ في الشّعْرِ
فَما غَرضي في الخَبْرِ أو في فَصاحةٍ   ولكنْ مُرادي في الهِدَايَةِ والأجرِ

وقوله في كنز المعالمة (البيت ٥٧):

واللهِ واللهِ لولا ضيقُ قَافِيَتي   فَصَّلْتُها ، فَعَلَى الأخنانِ تَفْصيلُ

ثانيا ـ معارفُ ابنِ ماجد الفلكية

أما معارف ابن ماجد الفلكية فواسعة جدا، وسوف يأتي الكلام عنها بالتفصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب. وتطبيقه علم الهيئة في الملاحة رائع، ولم يتغير حتى الآن. وهو يعرف أسماء الكواكب العربية والمنقولة عن اليونانية وبعض أسماء الكواكب الفارسية. ويبدع في قياس ارتفاع نجوم الهداية بآلة اليد أو بالإسطرلاب بدقة أذهلت من قارن بين نتائجها وبين نتائج القياسات الحديثة من

المستشرقين المعاصرين في فرنسة (غروسيه غرانج). وما ذلك إلا لأنه اعتمد مبدأ التجريب وتكرار القياس الى أن يحصل على نتيجة لا تتغير. وهو أول من وصف بدقة السحائب الكبرى والصغرى الجنوبية التي يسميها الأوربيون سحائب ماجلاّن مع أن ابن ماجد أولى بهذه التسمية (السحائب السوداء والبيضاء).

ثالثا ـ ثقافة أحمد بن ماجد

ولا تقتصر معارف ابن ماجد على اللغة العربية وعلى تطبيق علم الهيئة في الملاحة، فمعلوماته الجغرافية تفوق كثيرا معلومات الجغرافيين العرب في البحر والسواحل والموسميات وتفسير هبوب الرياح والمد والجزر. ويتحدث أيضا عن الدين والتاريخ والجغرافية والأنواء والأدب والأنساب. ويعطي الانطباع بسعة اطلاعه، إذا صح أنه قرأ ما ذكره من كتب الفلك والكتب الأدبية، ومنها على سبيل المثال المجسطي وصور الكواكب وزيج البتاني وزيج الوغ بيك... في الفلك، وجمهرة أمثال العرب وبديعيات ابن حجة الحموي[1]. وتثير ثقافة ابن ماجد قضية تعلمه التي يستحيل حلها أو تفسيرها الآن: فأين تعلم؟ وهل تتلمذ على أحد مشاهير الشيوخ او العلماء في حفظ القرآن ودراسة الدين واللغة والأدب؟

رابعا ـ لغات أحمد بن ماجد

أخيرا، لا شك ان ابن ماجد يعرف أكثر من لغة، ويتقن قطعا التاميلية. وحجتنا قوله في الفصل الحادي عشر من حاويته (الأبيات ٦٧ ـ ٧٩):

قد راحَ عُمري في المطالعاتِ وَكَثْرةِ التسآلِ في الجهاتِ
وكم رأيتُ في قُطوطِ الشُّولِ ونَظْمِهِ والنثر والفصولِ

(١) تسمى أيضا خزانة الأدب وغاية الأرب، لابي المحاسن تقي الدين ابي بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي القادري الحنفي (٧٦٧ هـ/١٣٦٦ م ـ ٨٣٧ هـ/١٤٣٤ م). ويقال إنها لصفي الدين الحلي.

وكم نظرتُ في حسابِ العربِ وحِسْبَةٍ للهندِ مُنْذ كُنْتُ صَبي
لمْ أرَ شيئاً في اتفاقِ الأصلِ في القُمْرِ والزَّنْجِ صحيحَ النقلِ

وهذا يعني أنه يتقن لغة الشول، أي التاميلية، ويطالع كتبها نثرا وشعرا، ولا تتسنّى له هذه المطالعة إلا اذا كان يجيدها. ويحتمل أنه كان يعرف إحدى اللغات الزنجية، استنتاجا من البيت الرابع من البيت السابق ومن البيت ٦٩٣ من السفالية:

عرفتُها حتّى بقِيْ رُبَّانُها يَسألُني عَنْها وعن شِعْبَانِهَا

وتعود جميع الضمائر «ها» الى سفالة إلا اذا افترضنا أن ربابنة سفالة كانوا يتفاهمون مع ابن ماجد بواسطة الترجمة، وهذا غير معروف عند المعالمة. وربما كان يلم بالفارسية أيضا، أولا لأنه يستعمل أحيانا بعض أسماء الكواكب الفارسية رغم وجود أسماء عربية مقابلة لها، وترد هذه الأسماء المحدودة العدد بكثرة في تصانيفه، ثانيا لأنه يشرح الألفاظ الفارسية التي تتضمنها نصوصه.

لكن يتساءل الباحث ما اذا كان ابن ماجد يجيد اللغة الزنجية أو الفارسية، أم يعرفهما معرفة سطحية اكتسبها بالممارسة من تردده على البنادر. ولا يسع أحداً أن يأتي بالخبر اليقين بهذا الشأن. ولابد من انتظار فترة العثور على مصادر جديدة للبت في جميع هذه النواحي.

القسم الثاني

مؤلفات أحمد بن ماجد



تمهيد

أكثر أحمد بن ماجد من نظم الشعر العلمي الملاحي في وقت مبكر من حياته. ثم كتب، على نطاق أضيق وفي وقت متأخر، نثرا ملاحيا أيضا، علّق فيه على شعره، وشرح منه ما خيل إليه أو قيل له إنه بحاجة إلى إيضاح وتحشية. لكنه استمر يعرض علمه البحري بالقريض، ويفسره به. وتدرج إنتاجه، بلا كلل ولا ملل على مدى إحدى وأربعين سنة هجرية.

واهتمّ الملاحون والمؤرخون بأعمال ابن ماجد بعد مرور فترة وجيزة على وفاته. ففي القرن السادس عشر، نثر سليمان المهري تصانيفه. وترجم أمير البحر علي بن الحسين ما نثره المهري ونزراً قليلا من مؤلفات ابن ماجد الى اللغة التركية. وسمّى قطب الدين النهروالي المعلم العظيم باسمه، واتهمه بقيادة أسطول داغاما من ملندى الى الهند.

ولم يشر أحد الى شعر ابن ماجد ونثره في القرنين السابع عشر والثامن عشر، حتى ليظن المرء ان النسيان طواه وطوى نتاج عبقريته.

لكن اكتشف البارون جوزيف فون هامر في القرن التاسع عشر نسخة من كتاب المحيط التركي. فنشر علماء أفذاذ من أمثال برنسب، وبونيللي، وبيتنر، وتوماشيك بعض المقالات عنه.

وأعلن غودفروا دي مونبين في مطلع القرن العشرين (سنة ١٩١٢) عن وجود مخطوطتين في المكتبة الوطنية في باريس (رقم ٢٢٩٢ و ٢٥٥٩) تحويان مؤلفات أحمد بن ماجد وسليمان المهري. وفي سنة ١٩٢١، نشر سعيد الكرمي

مقالة عن مخطوطة الظاهرية في دمشق. وفي ١٩٢٥، نشر غبرييل فران مخطوطتي باريس مصورتين تصويرا بلا تحقيق. وفي سنة ١٩٣٧، لفت كراتشكوفسكي الأنظار الى مخطوطة لينغراد. وفي عام ١٩٧١، لوحظ وجود نسختين جديدتين إحداهما في البحرين عند الأستاذ علي التاجر والأخرى عند أحد المستشرقين الأمريكيين.

وهكذا تم التعرف تدريجيا على المخطوطات الملاحية العربية العائدة الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وشرع المستعربون والباحثون العرب يتحدثون عنها. لكن لم يجر أحد دراسة شاملة لها حتى الآن. وقد حقّقناها وحللناها كلها ونشرناها ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ومعهد الدراسات الشرقية. وأصبح بالامكان عرض ثبت كامل لتصانيف أحمد بن ماجد.

الفصل الأول

ثبتُ تصانيف أحمد بن ماجد

لم تذكر المصادر العربية ولا الأجنبية تصانيف أحمد بن ماجد. ولا تعرف اسماؤها إلا من مخطوطاتها القليلة حتى الآن، المتوفرة للباحثين. وهذا يعني أن احتمال ارتفاع عددها وارد جدا، لا بل حتمي في رأينا، لأن نسخاً كثيرة منها محفوظة في مكتبات خاصة، أو حتى عامة، لم يعلن عنها أو لم تفهرس بعد، ولا مجال للحصول عليها في الظروف الحالية لاستكمال الصورة عن التفاصيل النظرية المطروحة في المتداول منها.

فليس أمامنا إذن إلا تعداد مؤلفاته نقلا عما جاء في مخطوطاتها ذاتها، ولا سيما أن احمد بن ماجد درج على ذكر اسمه في متنها وعلى الإشارة في أحد تصانيفه أحيانا الى ما نظمه أو نثره من قبل. وأيسرُ ترتيب لها هو تقسيمها الى نثر وشعر، والى موجود ومفقود. ونبدأ بالشعر لكثرته، وننتهي بالنثر لقلّته.

وسوف نذكر اسم الإنتاج وتاريخه إن توفر، وقافية القصيدة وبحرها وعدد أبياتها.

أولا ـ أراجيز أحمد بن ماجد وقصائده

آ ـ الأراجيز والقصائد الموجودة

الاسم الكامل		التاريخ	البحر	عدد الأبيات
١ ـ حاوية الاختصار في أصول علم البحار		٨٦٦هـ/١٤٦٢م	الرجز	١٠٨٢
٢ ـ الأرجوزة السفالية		-	الرجز	٧٠١
٣ ـ الأرجوزة السبعية لأن فيها سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسة والإشارات		٨٨٨هـ/١٤٨٣م	الرجز	٣٠٥
٤ ـ أرجوزة تصنيف قبلة الإسلام في جميع الدنيا أو تحفة القضاة		٨٩٣هـ/١٤٨٧م	الرجز	٢٩٥
٥ ـ الأرجوزة الملعقية		-	الرجز	٢٧٣
٦ ـ أرجوزة النتخات لبر الهند وبر العرب من جاه اثنتي عشرة لجاه إصبع		-	الرجز	٢٥٥
٧ ـ أرجوزة قسمة الجمة على أنجم بنات نعش		٩٠٠هـ/١٤٩٤م	الرجز	٢٢١
٨ ـ الأرجوزة المعرَّبة التي عرَّبت الخليج البربري وصحَّحت قياسه		٨٩٠هـ/١٤٨٥م	الرجز	١٧٨
٩ ـ الأرجوزة الهادية		-	الرجز	١٥٥
١٠ ـ أرجوزة بر العرب في خليج فارس		-	الرجز	١٠٠
١١ ـ أرجوزة منازل القمر		-	الرجز	٤٨
١٢ ـ القصيدة الذهبية	باثية	-	الطويل	١٩٣
١٣ ـ القصيدة التائية	تائية	-	الطويل	٥٤
١٤ ـ قصيدة ضريبة الضرايب	رائية	٩٠٠هـ/١٤٩٤م	الطويل	١٩٢
١٥ ـ القصيدة المكية	رائية	-	الطويل	١٧٢
١٦ ـ قصيدة نادرة الأبدال في الواقع وذُبَّان العيُّوق	رائية	-	الطويل	٥٧
١٧ ـ القصيدة البليغة في قياس السُّهيل والرامح	عينية	-	الطويل	٦٤

الاسم الكامل		التاريخ	البحر	عدد الأبيات
١٨ - القصيدة القافيّة في معرفة المجهولات من النجوم اللواتي قُيِّدوا بالمنازل جيّدا	قافية	٨٦٥هـ/١٤٦٠م	الطويل	٣٣
١٩ - قصيدة كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج واسمائها وأقطابها أو القصيدة العربية	لامية	-	البسيط	٧٢
٢٠ - قصيدة ميميَّة الأبدال تقاس على ستّة أوجه	ميمية	-	الطويل	٦٤
٢١ - القصيدة الفايقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل	نونية	-	البسيط	٥٧
٢٢ - قصيدة عدّة الأشهر الرومية وكل شهر كم هو	نونية	-	الطويل	١٣
٢٣ - قصيدة مواسم السفر	نونية	-	الطويل	١٩
			المجموع	٤٦٠٣
٢٤ - القصيدة المُخمَّسة		٩٠٦هـ/١٥٠٠م	الطويل	١٧ مخمسة

ب - الأراجيز والقصائد المفقودة

الاسم الكامل	النصّ الوارد ذكرها فيه
٢٥ - أرجوزة الأرباع	الذهبية: البيت ١٦٠
٢٦ - أرجوزة قياس التير والسلّبار	الذهبية: ١٥٠ ، ثم ف ٣٦ - ١١٩ - ١٥٩ - ٢٠٩
٢٧ - أرجوزة قياس المربّعين الأوسطين	ف ٧١ - ٧٢
٢٨ - القصيدة الذهبية النسخة الأولى والثانية	استنتاج من الذهبية الموجودة: النسخة ٢
٢٩ - القصيدة التائيّة في القياس الأصلي	ف ٢١٩
٣٠ - قصيدة رائيّة الغَلَق	الذهبية: البيت ١٥٦
٣١ - قصيدة رائيةِ الكلِّ	الذهبية: البيت ١٥٣
٣٢ - القصيدة العينية في قياس المسافات	ف ٢٨٥
٣٣ - قصيدة لامية في قياس السلّبار والواقع	ف ١١٩
٣٤ - قصيدة ميمية العبرات	الذهبية: البيت ١٦١
٣٥ - القصيدة النونيّة الصغيرة	ف ١٠٨ - ١٢٦ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢١٩

الاسم الكامل	النص الوارد ذكرها فيه
٣٦ ـ القصيدة النونيَّة الكبرى أو قصيدة الخيل الذهبية:	١١٤، ١٤٢، ٤٨ ـ ١٠٤ ـ ٢١٢
٣٧ ـ قصيدة ميمية في قياس السماكين	ف ٧٨
٣٨ ـ قصيدة الترفًا ـ داليةٌ	ف ١٦١ ـ ١٦٢
٣٩ ـ قصيدة قياس الجاه ـ نونية	ف ١١٥
٤٠ ـ قصيدة لامية في السبعة السيارة وساعات الليل والنهار	ف ١٨٤
٤١ ـ ضريبة الضرايب، النسخة الأولى	الذهبية ١٥٩

ثانيا ـ أعمال أحمد بن ماجد النثرية

أما أعمال أحمد بن ماجد النثرية، فمحدودة عددا وحجما. والموجود منها يستغنى عنه بسهولة وبلا حرج، لأنه لا يتضمن معطيات او معارف جديدة لم ترد في شعره.

آ ـ الأعمال الموجودة:

والأعمال الموجودة هي:

١ ـ مختصر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد وتاريخه ٨٩٥هـ/١٤٨٩م.

٢ ـ والفصول.

٣ ـ والملُّ.

ب ـ الأعمال المفقودة:

والأعمال المفقودة هي:

٤ ـ مطوَّل كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (النسخة الأولى المطوَّلة)، وتاريخه ٨٨٠ هـ/١٤٧٥ م.

٥ ـ وشرح الذهبية.

هذا هو ثبت ما أعلن أحمد بن ماجد نفسه أنه ألفه في شتى تصانيفه الشعرية والنثرية. ولن نستغرب أن يفاجأ من يطَّلع على الأعمال المفقودة، عند العثور عليها، بوجود تصانيف أخرى، قد يشار اليها في متن النصوص المتوقَّع أن تكتشف عاجلاً أو آجلاً.

ومهما يكن نود أن نبرز ثلاث حقائق تتعلق بلائحتنا:

الحقيقة الأولى: تثير القصيدة الذهبية (رقم ١٢ في ثبتنا) قضية ضريبة الضرايب. فنحن نعلم أن النسخة الأولى من الذهبية نُظِمت قبل عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م، وأنها صُحِّحت عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م في الوقت الذي اختصرت فيه نسخة كتاب الفوائد المطوَّلة. ونلاحظ أن بيت الذهبية ١٥٩ يشير إلى قصيدة ضريبة الضرايب، وضريبة الضرايب المعروفة يعود تاريخها الى عام ٩٠٠هـ/١٤٩٤م. إذن لابد من افتراض وجود نسخة قديمة لضريبة الضرايب ترجع إلى ما قبل ٨٩٥هـ وحتى إلى ما قبل ٨٨٠ هـ، على غرار القصيدة الذهبية. او اعتبار هذا البيت مدسوساً بلا حجة مقبولة تدعم الانتحال. ثم إن البيت التاسع من الذهبية، وهو:

ومن بات يرعاهُنَّ خمسين حِجَّةً على طَلَب عافَ الكرى في الغياهبِ

يشبه ما جاء في البيت ١٥١ من القصيدة المكية:

وَصَفْتُ لكم تجريبَ خمسينَ حِجَّةً فشيبنَ قلبي لا تَقُلْ شابَ ظاهري

ويذكرنا بما قاله ابن ماجد بأنه لم يصنف كتاب الفوائد (يقصد المختصر) إلا بعد أن مضى له خمسون سنة في مراقبة صاحب السُكّان. بالتالي لابد من اعتبار عام ٨٩٥ هـ/١٤٨٩م تاريخ النسخة الثانية من القصيدة الذهبية، كما هو تاريخ القصيدة المكية وتاريخ مختصر كتاب الفوائد. أما نسخة الذهبية الأولى فتعود حتماً إلى ما قبل عام ٨٨٠ هـ/١٤٧٥م، مثلما نعلم.

الحقيقة الثانية: إن كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، الوارد نصُّه في جميع المخطوطات المعروفة حاليا، والمطبوع في مجمع اللغة العربية بدمشق،

هو فعلا المختصر الذي لخَّصه ابن ماجد عن النسخة الأولى المطولة التي صنفها سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥ م. ويعلم جميع الباحثين أن هذا المختصر مؤرخ وتاريخه مرقوم بالأحرف، وهو عام ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م.

الحقيقة الثالثة: عندما نشرنا حاوية الاختصار في أصول علم البحار، أشرنا الى ثمانية أبيات منحولة دُسّت فيها على الوجه التالي:

الفصل الرابع: البيت ١٧١.
الفصل الخامس: الأبيات ٦٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٣٦، ١٣٧.
الفصل السادس: البيت ٦٣.
الفصل التاسع: البيت ٣٩.

وعندما طبعنا الأرجوزة السفالية، أثبتنا أن مائة وستة أبيات، نُحِلت ودُسَّت فيها. فصار عدد أبياتها ٨٠٧ أبيات، صوَّرها وترجمها المستشرق شوموفسكي دون أن يلحظ ان ابن ماجد حدَّد العدد الصحيح أي ٧٠١ في البيت ٦٩١ من أرجوزته السليمة. ولا تخلو صفحات كتاب الفوائد أيضا من زيادات النسَّاخ، فكان لابد من لفت الأنظار الى هذه الوقائع لتصحيح الاستنتاجات الخاطئة الممكن أن تستخلص من الإضافات.

فهذه الحقائق الثلاث تنعكس على تعيين مراحل إنتاج أحمد بن ماجد الفكري وعلى نواحي أخرى سوف نتحدث عنها في حينها.

الفصل الثاني

مراحل تأليف تصانيف أحمد بن ماجد

بدأ أحمد بن ماجد يصنّف في علوم البحر في عام ٨٦٥هـ / ١٤٦٠ م، حين نظم قصيدته القافية في معرفة المجهولات من النجوم اللواتي قُيِّدوا بالمنازل جيداً. وختم تصنيفه الملاحي بنظم قصيدته «المخمَّسة» في عام ٩٠٦ هـ/١٥٠٠ م. وبذا امتد إنتاجه الفكري والملاحي على مدى ٤١ سنة هجرية أو ٤٠ سنة ميلادية بلا انقطاع.

اولا ـ نظرة إجمالية الى مراحل تأليف ابن ماجد

مع ذلك يبدو أنه توقف مرتين خلال هذه المدة الطويلة ليلقي نظرة إلى الوراء، ويمحِّص ما كتب، ويعلِّق عليه بنص نثري أو شعري.

آ ـ توقفه الأول

ففي عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥ م، كان قد نظم أراجيز وقصائد كثيرة، وأنهى في هذا العام ذاته كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، نعني النسخة المطوّلة، بعد اطلاعه على مؤلفات الذين سبقوه، على حدِّ قوله: «ولما اطّلعت على تأليفهم ورأيته ضعيفا بغير قيد، ولا له صحة كلية ولا تهذيب، هذّبت ما صح

منه، وذكرت الاختراعات التي اخترعتها، وصحّحتها وجرّبتها، عاماً بعد عام، في نظم الأراجيز والقصائد، وفي هذا الكتاب، عام ثمانين وثمانماية»[1] ويؤكد أنه ألف كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، النسخة المطوّلة، ليضمّنه بعض علم البحر ليشرح فيه ما عجز الربابين عن فهمه من أراجيزه وقصائده بحيث يقول: «فها أنا قد اختصرت منه ـ اي علم البحر ـ ما يليق لأهل زماني في هذا الكتاب، وسمّيته كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ألفته وصنّفته لركّاب البحر ورؤسائه. وفيه ما اشتبه من الحاوية والأراجيز»[2]. ويقسم أن القياسات الواردة في هذا الكتاب مجرَّبة ومكررة عشرين عاماً: «فوالله ما صنّفت هذه القياسات المنتخبات ـ اي قياسات النسخة المطوَّلة ـ إلا بعد أن كرّرت عليها عشرين سنة»[3]، أي أنه شرع يأخذ قياسات كتاب الفوائد المطوّل عام ٨٦٠ هـ/١٤٥٥ م. ويعتبر تاريخ ٨٨٠هـ/١٤٧٥ م انتهاء مرحلة إنتاج أولى وبداية مرحلة إنتاج ثانية.

ب ـ توقفه الثاني

وفي عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩ م، عاد أحمد بن ماجد، فألقى نظرة ثانية إلى الوراء. وأشار إلى كتاب الفوائد في نسخته الأولى المطوَّلة، فقال: «وكنا قد شرحنا كتاباً شخّصناه، وطال علينا الكتاب»[4] والى أنه صحَّح هذه النسخة الأولى المطولة في عهد قايتباي الملك الأشرف الذي قال عنه: «وهو ـ يقصد قايتباي ـ على أيامنا ـ أي أيام ابن ماجد ـ التي صحّحنا ـ الضمير عائد الى ابن ماجد ـ فيها هذا الكتاب ـ أي النسخة الأولى المطوَّلة ـ والذهبية»[5]. ويعني أنه قام بتلخيصه حيث قال: «ولها ـ أي الألفاظ الأعجمية ـ شرح يطول في هذا الكتاب ـ اي المخصر ـ

---

(١) كتاب الفوائد، ص ١٨، س ٤ ـ ٩

(٢) المرجع ذاته: ص ٩، ص ٤ ـ ٧.

(٣) كتاب الفوائد، ص ٢٠٦، س ٧ ـ ٨.

(٤) المرجع ذاته، ص ١١٢، س ٣.

(٥) المرجع ذاته، ص ١٦٧، س ٤ ـ ٦.

الذي نسعى في اختصاره من كل جانب لعل أن يكتفوا ويتحدثوا به لقلته واختصاره»[1]. وأسقط كثيرا من الأبحاث لكي لا يطول مختصره، فتحاشى الحديث عن الطول والعرض والبروج والممرات، لأنه «لا يليق بهذا المختصر»[2]، وتجنّب الكلام عن دجلة والفرات وسيحون وجيحون، «لأن منهم ما ينقسم على أجزاء كثيرة، لم يلق ذكرها بهذا المختصر»[3]. ولم يشأ أن يدخل في تفاصيل القياس الأصلي عند استقلال الصرفة الوارد في الحاوية، «فما حاجة أن يكرر ذكره ويطول الكتاب»[4]. وصرَّح بجلاء أنه يجمل علم البحر المشروح في شعره: «وكان قصدي اختصار النظم والعلم. ونظمت هذا الكتاب في عام خمس وتسعين وثمانماية من الهجرة النبوية ١٤٨٩ م»[5]. وبذا يختتم كتاب الفوائد المختصر مرحلة الإنتاج الثانية. ويعينّ بداية المرحلة الثالثة.

جـ ـ المثابرة على الإنتاج الفكري بعد عام ٨٩٥ هـ

أما المرحلة الثالثة فتمتد من عام ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م الى ٩٠٦هـ/١٥٠٠ م، وهو نهاية عهد ابن ماجد بالتأليف.

اذن يتوزع انتاج أحمد بن ماجد العلمي الملاحي على ثلاث مراحل كبرى:

١ ـ المرحلة الأولى: ٨٦٥هـ/١٤٦٠ م ـ ٨٨٠ هـ/١٤٧٥ م، ومدّتها خمس عشرة سنة هجرية.

٢ ـ المرحلة الثانية: ٨٨٠هـ/١٤٧٥ م ـ ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م، ومدتها خمس عشرة سنة هجرية أيضا.

٣ ـ المرحلة الثالثة: ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م ـ ٩٠٦ هـ/١٥٠٠ م، ومدَّتها إحدى عشرة سنة هجرية.

---

(١) المرجع ذاته، ص ١٢٨، س ٩ـ ١٠.
(٢) المرجع ذاته، ص ١٢٧، س ٧ـ ٨.
(٣) المرجع ذاته، ص ٢٢٨، س ٨ـ ٩.
(٤) المرجع ذاته، ص ٢٢٠، س ٨.
(٥) المرجع ذاته، ص ٣٩٣، س ٩ـ ١٠.

ثانيا ـ المرحلة الأولى: ٨٦٥ هـ/ ١٤٦٠ م ـ ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥ م

وقد تم في المرحلة الأولى تأليف التصانيف المؤرخة التالية:

١ ـ القصيدة القافية في معرفة المجهولات من النجوم اللواتي قُيِّدوا بالمنازل جيدا. وتاريخها ٨٦٥ هـ/ . ١٤٦٠ م. وهي أول قصيدة نظمها ابن ماجد في علم البحر فيما نعلم.

٢ ـ حاوية الاختصار في أصول علم البحار. وتاريخها ٨٦٦ هـ/١٤٦٢ م. وهي أهم وأشمل ما كتبه ابن ماجد شعراً ونثراً. وتتضمن جميع مبادىء علم البحر في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي.

٣ ـ كتاب الفوائد في أصول علم البحرِ والقواعد، النسخة الأولى المطولة، وتاريخها ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥ م.

وتثار في هذه المرحلة قضية أراجيز وقصائد، نظمت بين سنتي ٨٦٥ هـ و ٨٨٠ هـ عاماً بعد عام على حد ما جاء على لسان أحمد بن ماجد نفسه[1] ولم يرد أي إيضاح اضافي بشأن هذه المنظومات. لكن لا نستبعد ظهور ما يثبت صحة قوله في مستقبل قريب أو بعيد، لأنه عوّدنا ألا يرسل الكلام على عواهنه.

ثالثا ـ المرحلة الثانية: ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥ م ـ ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م

وصم إنتاج المرحلة الثانية أعمالا مؤرخة بدقة، وأخرى حدّد تاريخها على وجه التقريب، موجودة كانت أم مفقودة.

آ ـ الأعمال المؤرخة بدقة:

أما الأعمال المؤرخة بدقة، فتشمل:

١ ـ الأرجوزة السبعية لأن فيها سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسة والأشارات. وتاريخها ٨٨٨ هـ/١٤٨٣ م.

---

(١) انظر الحاشية الأولى من البحث وصفحتها.

٢ ـ الأرجوزة المعرِّبة التي عرّبت الخليج البربري وصححت قياسه. وتاريخها ٨٩٠ هـ/١٤٨٥ م.

٣ ـ أرجوزة تصنيف قبلة الإسلام في جميع الدنيا او تحفة القضاة. وتاريخها ٨٩٣ هـ/١٤٨٧ م.

٤ ـ مختصر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، وتاريخه ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م.

ب ـ الأعمال المحدد تاريخها على وجه التقريب:

وتتضمن الأعمال المحدد تاريخها على وجه التقريب، قياساً على مختصر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، او على ما ورد فيه او في القصيدتين الذهبية والمكية المزامنتين له:

١ ـ الأرجوزة السفالية. وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ، وحتى قبل عام ٨٨٠ هـ/١٤٧٥ م، لأنها مذكورة في البيت ١٦٢ من الذهبية.

٢ ـ الأرجوزة الهادية. وتاريخها قبل ٨٩٥ هـ، لأنها مذكورة في مختصر كتاب الفوائد، ص ٢٥١.

٣ ـ القصيدة المكية، وتاريخها ٨٩٥هـ قياساً على مختصر كتاب الفوائد، الذي جاء فيه: «وما صنفت هذا إلا بعد أن مضى لي خمسون سنة، وما تركت فيها صاحب السكان وحده، إلا أن أكون على رأسه أو من يقوم مقامي»[1]. وترد الفكرة ذاتها في البيت ١٥١ من القصيدة المكية:

وصفتُ لكمْ تجريبَ خمسينَ حِجَّةً فشيبنَ قلبي لا تَقُلْ شابَ ظاهري

وهذا يعني أن ابن ماجد نظم هذه القصيدة في عام تأليفه كتاب مختصر كتاب الفوائد، أي عام ٨٩٥ هـ.

---

(١) كتاب الفوائد، ص ٢٠٢، س ٣ ـ ٥.

٤ ـ قصيدة نادرة الأبدال في الواقع وذُبَّان العيُّوق، وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ لذكرها في البتيين ٣٦، و ٩٣ من القصيدة المكية.

٥ ـ قصيدة كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها. وتاريخها قبل ٨٩٥ هـ، لأنها مذكورة تلميحا في البيت ١٧٨ من الذهبية.

٦ ـ قصيدة ميمية الأبدال تقاس على ستة أوجه. تاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ لذكرها في البيت ١٦٥ من القصيدة المكية، وفي ص ٢١٣ من مختصر كتاب الفوائد.

٧ ـ القصيدة الفايقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل. وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ، لذكرها في البيت ٦٥ من القصيدة المكية وفي ص ٣٦، ٥٣، ٩٨، ١٣٦، ٢١١ من مختصر كتاب الفوائد.

٨ ـ قصيدة عدّة الأشهر الرومية وكل شهر كم هو، وتاريخها قبل ٨٩٥ هـ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد.

٩ ـ قصيدة مواسم السفر . وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص ٣٣٩ .

١٠ ـ أرجوزة الأرباع ، وتاريخها قبل ٨٩٥ هـ ، لأنها مذكورة في البيت ١٦٠ من الذهبية .

١١ ـ أرجوزة قياس التير والسلبار ، تاريخها قبل ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد في ص ٣٦ ، ١١٩ ، ١٥٩ ، ٢٠٩ .

١٢ ـ أرجوزة قياس المربعين الأوسطين ، تاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص ٧١ ، ٧٢ .

١٣ ـ القصيدة الذهبية ، النسخة الأولى وتاريخها قبل عام ٨٨٠ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص٥٧ ، ٧٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٤١ ، ١٧٦، ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٣٥ .

١٤ ـ القصيدة الذهبية ، النسخة الثانية وتاريخها عام ٨٩٥ هـ ، كما ورد صراحة عن تصحيح النسخة الأولى من كتاب الفوائد ، ص ١٦٧ .

١٥ ـ القصيدة التائية في القياس الأصلي ، وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص ٢١٩ .

١٦ ـ قصيدة رائية الغلق . وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لأنها مذكورة في البيت ١٥٦ من الذهبية .

١٧ ـ قصيدة رائية الكل . وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لأنها مذكورة في البيت ٢٥٣ من الذهبية .

١٨ ـ القصيدة العينية في قياس المسافات ، وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ٢٨٥ .

١٩ ـ القصيدة اللامية في قياس السلبار والواقع . وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في كتاب الفوائد ، ص ١١٩ .

٢٠ ـ قصيدة ميمية العبرات ، وتاريخها قبل ٨٩٥ لأنها مذكورة في البيت ١٦١ من الذهبية .

٢١ ـ القصيدة النونية الصغيرة ، وتاريخها قبل ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص ١٠٨ ، ١٢٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ .

٢٢ ـ القصيدة النونية الكبرى أو قصيدة الخيل ، وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص ٤٨ ، ١٠٤ ، ٢١٢ .

٢٣ ـ القصيدة الميمية في قياس السماكين ، وتاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص ٧٨ .

٢٤ ـ قصيدة الترفا ـ دالية ـ تاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر الفوائد ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

٢٥ ـ قصيدة قياس الجاه ـ نونية ـ تاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص ١١٥ .

٢٦ ـ قصيدة لامية في السبعة السيارة وساعات الليل والنهار ، تاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ لذكرها في مختصر كتاب الفوائد ، ص ٨٤ .

٢٧ ـ ضريبة الضرائب ، النسخة الأولى ، تاريخها قبل عام ٨٩٥ هـ ، لذكرها في البيت ١٥٩ من الذهبية .

٢٨ ـ شرح الذهبية وتاريخه قبل ٨٩٥ هـ ، لذكره في مختصر كتاب الفوائد ، ص ١٨ ، ٦٦ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ .

رابعاً ـ المرحلة الثالثة : ٨٩٥ هـ/١٤٨٩ م ـ ٩٠٦ هـ/١٥٠٠ م

ونظم أحمد بن ماجد في هذه المرحلة الثالثة أيضاً أعمالاً مؤرخة بدقة ، وأخرى حدد تاريخها على وجه التقريب ، موجودة كانت أم مفقودة .

آ ـ الأعمال المؤرخة بدقة :

واشتملت الأعمال المؤرخة على :

١ ـ أرجوزة قسمة الجمة على أنجم بنات نعش ، وتاريخها ٩٠٠ هـ/١٤٩٤ م .

٢ ـ وقصيدة ضريبة الضرائب وتاريخها ٩٠٠ هـ/١٤٩٤ م .

٣ ـ والقصيدة المخمسة وتاريخها ٩٠٦ هـ/١٥٠٠ م .

ب ـ الأعمال المحدد تاريخها على وجه التقريب :

وتضم الأعمال المحدد تاريخها على وجه التقريب :

١ ـ أرجوزة النتخات لبر الهند وبر العرب من جاه اثنتي عشرة لجاه إصبع . وتاريخها بين ٨٩٥ هـ و ٩٠٦ هـ لأنها ألفت بعد مختصر الفوائد الذي ذكرته في بيتها ٢٥٢ .

٢ ـ القصيدة البليغة في قياس السهيل والرامح . وتاريخها قبل عام ٩٠٠ هـ ، والأصح قبل ٨٩٥ هـ لأنها مذكورة في قصيدة ضريبة الضرائب في بيتها ١٤٢ .

خلاصة القول أن مجموعة أعمال ابن ماجد المعروفة حالياً ٤٦ عملاً ، ظهرت على ثلاث مراحل :

آ ـ فالمرحلة الأولى تميزت بانتاج أرجوزة طويلة وقصيدة قصيرة أي ١١١٥ بيتاً . ويضاف اليهما مطول كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، أي ما جملته ثلاثة أعمال ثابتة ، ما عدا غير المعروف من الأراجيز والقصائد المجهولة الأسماء حتى الآن . وغير الداخلة أصلاً في حسابنا العام لمؤلفاته في الوقت الحاضر .

ب ـ وضمت المرحلة الثانية ٣٠ عملاً شعرياً بين موجود ومفقود . ويشمل الموجود ٢٢٨١ بيتاً ، وعملين نثريين هما مختصر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد وشرح القصيدة الذهبية ، أي ما جملته اثنان وثلاثون عملاً كلها معروفة بأسمائها .

جـ ـ واقتصر انتاج المرحلة الثالثة على خمسة أعمال شعرية ما بين موجودة ومفقودة ، ويعد الموجود منها ٧٣٢ بيتاً .

تبقى أربعة أعمال شعرية ، عدة أبياتها ٤٧٥ بيتاً ، لا يمكن تحديد نظمها لا بدقة ولا بالتقريب ، وهي الأرجوزة الملعقية ، وأرجوزة بر العرب في خليج فارس ، وأرجوزة منازل القمر والقصيدة التائية . كذلك نجهل تاريخ كتابة الفصول والملل .

يتضح من هذا العرض أن انتاج احمد بن ماجد الفكري الملاحي اتبع خطاً بيانياً متصاعداً ، بلغ ذروته في المرحلة الثانية . ولم يلبث ان انحدر انحداراً حاداً في المرحلة الثالثة بعد أن استنفذ طاقته الإبداعية ، ولم يعد لديه ما يقوله ، وبلغ من الكبر عتياً .

وسوف تزداد هذه الصورة وضوحاً متى نوقش موضوع تصانيفه .

مؤلفات أحمد بن ماجد

المرحلة الاولى · ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م - ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م

آ - الأعمال المؤرخة :

١ - القصيدة القافية . ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م

٢ - حاوية الاختصار : ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م

٣ - مطوّل كتاب الفوائد : ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م

قصائد وأراجيز غير مسماة أشار إليها الفوائد

المرحلة الثانية ٨٨٠·هـ/ ١٤٧٥م - ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م

آ - الأعمال المؤرخة

١ - الأرجوزة السبعية . ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م

٢ - الأرجوزة المعرّبة : ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م

٣ - أرجوزة تصنيف قبلة الاسلام او تحفة القضاة . ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م

٤ - مختصر كتاب الفوائد . ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م

٥ - القصيدة الذهبية : ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م

٦ - القصيدة المكية : ٨٩٥هـ/١٤٨٩م

ب - الأعمال المؤرخة على وجه التقريب : قبل ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م

١ - الأرجوزة السفالية : ١٦٢ الذهبية

٢ - الأرجوزة الهادية مختصر الفوائد ٢٥١

٣ - قصيدة نادرة الابدال : المكية ٣٦، ٩٣

٤ - قصيدة كنز المعالمة وذخيرتهم . ١٧٨ الذهبية

٥ - قصيدة ميمية الابدال · المكية ١٦٥ ومختصر الفوائد ٢١٣

٦ - القصيدة الفايقة في قياس الضفدع الأول : المكية ٦٥ ، مختصر الفوائد ٣٦، ٥٣، ٩٨، ١٣٦، ٢١١

٧ - قصيدة عدة الأشهر الرومية : مختصر الفوائد ١٨٣

٨ - قصيدة مواسم السفر : مختصر الفوائد ٣٣٩

٩ - أرجورة الارباع . الذهبية ١٦٠

١٠ - أرجوزة قياس التير والسلبار . مختصر الفوائد : ٣٦، ١١٩، ١٥٩، ٢٠٩

١١ - أرجوزة قياس المربعين الأوسطين : مختصر الفوائد ٧١، ٧٢

١٢ - القصيدة الذهبية ، النسخة الأولى : مختصر الفوائد : ٥٧، ٧٠، ١٠٥،

المرحلة الثالثة : ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م - ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م

- الأعمال المؤرخة

١ - أرجوزة قسمة الجمة · ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م

٢ - قصيدة ضريبة الضرايب · ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م

٣ - القصيدة المخمسة : ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م

ب - الأعمال المؤرخة على وجه التقريب

١ - أرجوزة النتخات لبراهند وبر العرب : بين ٨٩٥هـ و٩٠٦هـ : ذكرت مختصر الفوائد · في بيتها ٢٥٢

٢ - القصيدة البليغة : ضريبة الضرائب ١٤٢ قبل عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م

المرحلة الأولى . ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م - ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م	المرحلة الثانية : ٨٨٠هـ/١٤٧٥م- ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م	المرحلة الثالثة : ٥ـ٨هـ/ ١٤٨٩م - ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م

١٠٦، ١٤١، ١٧٦،
١٩٠، ٢٠٥

١٣ ـ القصيدة التائية في القياس الأصلي . مختصر الفوائد ٢١٩

١٤ ـ قصيدة رائية الغلق · الذهبية ١٥٦

١٥ ـ قصيدة رائية الكل : الدهبية ١٥٣

١٦ ـ القصيدة العينية في قياس المسافات : مختصر الفوائد ٢٨٥

١٧ ـ القصيدة اللامية في قياس اسلبار والـواقع مختصر الفوائد ١١٩

١٨ ـ قصيــدة ميميــة العبرات . الذهبية ١٦١

١٩ ـ القصيـدة النـوبيـة الصغيرة : مختصر الفوائد : ١٠٨، ١٢٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٩

٢٠ ـ القصيـدة النـونيـة الكبرى أو قصيدة الخيل : مختصر الفـوائـد : ٤٨، ١٠٤، ٢١٢

٢١ ـ القصيدة الميمية في قياس السماكين : مختصر الفوائد ٧٨

٢٢ ـ قصيدة الترفا دالية · مختصر الفوائد ١٦١، ١٦٢

٢٣ ـ قصيدة قياس الجاه بوبية : مختصر الفوائد ١١٥

٢٤ ـ قصيدة لامية في السبعة السيـارة وساعـات الليل والنهار، مختصر الموائد ٨٤

٢٥ ـ صريبة الضرايب سحة أولى، الذهبية، ١٥٩

٢٦ ـ شرح الدهبية مختصر الفوائد : ١٨، ٦٦، ١٤١، ١٥٢، ١٦٢، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢

أعمال غير مصنفة

١ ـ الفصول

٢ ـ الملل

٣ ـ الأرجوزة الملعقية

٤ ـ أرجوزة بر العرب في خليج فارس

٥ ـ أرجوزة منازل القمر

٦ ـ القصيدة التائية



الفصل الثالث

وحدة موضوع تصانيف أحمد بن ماجد

عمل أحمد بن ماجد نيفاً ونصف قرن في الملاحة في المحيط الهندي وبحاره الشاطئية ، متنقلاً من بندر رئيس الى آخر ، ليقود السفن الى الجهة المطلوبة لقاء أجر معلوم . وكتب خلال إحدى وأربعين سنة منها ستة وأربعين عملاً ، لم يؤلف فيها بل صنف ، ولم يسلك مسلك الأقدمين ، بل نهج نهجاً جديداً ، ولم يأت بأشتات أفكار متفرقة ، بل تفرعت جميع أبحاثه عن أصل واحد احتواها كلها . وتستتبع أقواله أنه تخلى عن التقليد ، وجعل نفسه مختصاً بالتصنيف دون غيره ، واتبع نهجاً مستحدثاً في تصنيفه ، وضمنه علماً طريفاً يختلف عن تأليف سواه . فجميع هذه الأمور المستجدة في أعماله بحاجة الى ايضاح سوف نفصله في الفقرات التالية :

١ ـ ميزة تصنيف أحمد بن ماجد .
٢ ـ نهج أحمد بن ماجد في تصنيفه .
٣ ـ مضمون تصانيف أحمد بن ماجد .

أولاً ـ ميزة تصنيف أحمد بن ماجد

يعتبر أحمد بن ماجد نفسه مصنفاً ، ويقول في البيت ١٧٦ من القصيدة الذهبية :

وأمّا على رأي المُصَنِّفِ أحمدٍ   تزلزُلهــا بالـطولِ لا بالجـوانِبِ

فالمصنف اسم فاعل من صنف . وصنف ، بتشديد النون ، الشيء ، ميز بعضه عن بعض ، والتصنيف تمييز الأشياء بعضها عن بعض . اذن يقوم المصنف بعمل عقلاني وبإطلاق أحكام عقلانية ، بعكس ما يفعله المؤلف ، الذي يشتق من : ألفت بين الناس اذا جمعت بينهم بعد تفرق ، وألفت الشيء إذا وصلت بعضه ببعض ، ومنه تأليف الكتب ، أي جمعها جمعاً دون بذل جهد فكري خاص ، خلافاً لما هو متعارف عليه في أيامنا الحاضرة .

ويتضح هذا الفرق في المعنى اللغوي في ذهن ابن ماجد بجلاء تام ، ويجعله يرفض أن يعتبر نفسه أو أن يعتبره الناس مؤلفاً ، بل إنه ينبذ المؤلفين ويزدريهم ، مثلما فعل بالليوث الثلاثة حيث قال عنهم : «وهم مؤلفون لا مصنفون . . . ولم يركبوا البحر . . . وصاروا يسألون عن كل بر أهله ويؤرخون»[1] . ويكرر قوله في مكان آخر : «وهم مؤلفون لا مصنفون . . . ولما اطلعت على تأليفهم ورأيته ضعيفاً بغير قيد ، ولا له صحة كلية ، ولا تهذيب ، هذبت ما صح منه . . .»[2] .

مع ذلك لا يأنف من استعمال «ألف» بمعنى «جمع» ، ولا يتردد بتفضيل تصنيفه على تصنيف غيره ، اذا سلم لهم بالتصنيف ، فيقول : «وهم ألفوه ولفقوه من أهله وغيرهم ، وأنا ألفت واخترعت وفعلت وجربت وصححت وهديت . . . وتصنيفنا خير من تصانيفهم»[3] . وينطوي هذا الاستشهاد على تلميح الى نهج في التصنيف .

ثانياً - نهج أحمد بن ماجد في تصنيفه

ويتبع أحمد بن ماجد في تصنيفه منهجاً علمياً واضحاً يرتكز على ثلاثة أسس لا يحيد عنها البتة : هي اصطفاء صحيح القديم ، واختراع الأصول السليمة ، واختبار التليد المختار والطريف المبتكر .

---

(١) كتاب الفوائد ، ص ١٥ ، س ١ - ٦ .
(٢) المرجع ذاته ، ص ١٨ ، س ١ - ٥ .
(٣) المرجع ذاته ، ص ١٢٩ ، س ٨ - ١٠ .

آ ـ **اصطفاء صحيح القديم** : فهو لا يخطىء أعمال الأوائل جملة وتفصيلا ، بل يعترف باحتوائها بعض المعارف الصحيحة وكثيراً من اللغو والأمور المتعلقة بمرافىء ومدن أصبحت أطلالاً أو تبدلت أسماؤها ، إذا يقول : «وقد اندرست تلك البنادر والمدن وتنكرت أسماؤها»[1] . ويذكر أيضاً في مقدمة حاوية الاختصار في أصول علم البحار : «صنفتها ـ أي الحاوية ـ مما سلك في عصري من الأراجيز المصنفة والرهنامجات الواسعة المؤلفة الكبيرة المقدار الكثيرة التردد والتكرار . . . وكان قصدي الاختصار وإسقاط الحشو من هوش الإكثار»[2] .

اذن اختار ابن ماجد من أعمال القدماء خيار ما فيها ، لكنه أشار دوماً الى مصدره .

ب ـ **اختراع الأصول السليمة** : ولم يكتف بالرجوع الى الأقدمين ، بل مكنته ممارسة مهنته وركوب البحر وطاقته الخلاقة من ابتكار اختراعات جديدة يعتز بها ، ويذكر اثنين منها في البيت ١٦٦ من القصيدة الذهبية :

ومَنْ عَرَّفَ الموجَ الصليبي وريحَهُ   وركَّب مَغناطيسَكُمْ بالمراكبِ

ويشيد بما اكتشفه من أبدال وقياسات نجوم في البيت ١٧٩ من قصيدة ضريبة الضرائب ؛

قيـاساتُهـا كـالـدرّ هيَّ قـلايـدُ   سَمَحْنَ بها كَفَّايَ في عُنُقِ البَحْرِ

ويبالغ أيضاً في الافتخار بصفات البحر التي يضعها وبإشاراته ، ويقول في البيتين ١٧ و ١٨ من ميمية الابدال :

نوادرُ عِلْم البحرِ عنّي تَفَـرَّعَتْ   وخيرُ صفاتِ البحرِ تصدرُ عن فَمي
صفاتي صفاتٌ للهُدى وأشايري   بها يهتدى الأعمى الذي قلبُهُ عمي

---

(١) المرجع ذاته ، ص ١٦ ، س ٦ .
(٢) الحاوية ، ص ٥ ، س ١٥ ـ ص ٦ ، س ٤ .

ولا يفوته تعداد المجاري والمطالق او طرق الباحة او مسايرة البرور في شتى الأراجيز .

جـ ـ اختيار التليد المختار والطريف المبتكر : على ان ابن ماجد لا يقبل لا القديم المنقول عن السلف ولا الحديث المخترع بجهده ، إلا إذا تحقق من صحتها بالتجريب وبإعادته سنين طويلة . فهو يقول في البيت ٤٠ من الفصل الثالث من الحاوية :

إنَّ هـــذهِ حـــاويـــةُ المجّـــربِ لا شكَّ فيها عندَ كلِّ العربِ

ويذكر تكرار رصد قياساته عشرين سنة ونيفاً في البيتين ٢٩٢ و ٢٩٣ من الأرجوزة السبعية (٨٨٨ هـ) لأن فيها سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسة والاشارات :

وَإنْ يُـــرِدْ تصنيفَهـــا سِـــوَايَـــا لـــو كانَ مَنْ يكـونُ في دُنيايَـا
لم يَسْتَطِعْ . إنيّ عليهَا بالرَّصَـــدْ منـــذُ سنينَ فـوقَ عشرينَ عَـدَدْ

وفي كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد حيث جاء أيضاً : «وما صنفت هذه القياسات المنتخبات إلا بعد أن كررت عليها عشرين سنة»[1] . ويقول في البيت ٢٠٥ من أرجوزة قسمة الجمة على أنجم بنات نعش :

دُرْتَ الأقـــاليمَ عـلى تَهـذيبِهَـا أربعـــةَ أعـــوامٍ في تَجْـريبِهَـا

فلا غرابة والحالة هذه ، إذا وافق جميع الربابين على مجاريه وقياساته ، كما ورد في البيت ٦٠ من أرجوزة تحفة القضاة :

لم يَعْتَرِضْ لي أَحَدٌ في الناسِ في حِسْبَـةِ الـديـراتِ والقيـاسِ

---

(١) كتاب الفوائد ، ص ٢٠٦ ، س ٦ ـ ٨ .

ومع ذلك ، ينصح ابن ماجد الربان ألا يعتمد إلا علي تجريبه الشخصي وتحقيقه ومشاهدته العيانية ، مثلما قال في الحاوية :

لا تَعْتَبِرْ إلَّا بما جربْتَهُ أو أنْ يكونَ الوصفُ قدْ حقَّقتَهُ
وكلُّ ما جرَّبتَهُ يا ربَّانُ إعمَلْ بهِ في كلِّ ما تَعْتَانُ
ثمّ صفاتُ البرِّ والجبالِ إفْعَلْ بتجريبِكَ لا تُبَالِ[1]

ويوصي بان يعاد إجراء قياساته الجديدة بعد وفاته للتأكد من بقائها صحيحية :

فإنْ متُّ قِيسُوا ما اخترعتُ وعّولُوا عليهِ فَقَدْ هذَّبْتُهُ بالتجاربِ[2]

اذن يتمنى ابن ماجد أن يطبق المعالمة نهجه التجريبي حتى لو كان للتحقق من صحة ما قاسه هو ، لأنه يثق بدقة علمه على حد قوله :

وخُذْ منّيَ العلمَ الذي قدْ سمعتَهُ وجرِّبْ فأيّامي مَضَت بالتجاربِ[3]

فما هو هذا العلم الذي يتحدث عنه ؟ إنه بلا شك مضمون تصانيفه .

ثالثاً ـ مضمون تصانيف أحمد بن ماجد

استعمل أحمد بن ماجد في الكلام عن مضمون تصانيفه تعبيراً واحداً ، هو : علم البحر أو البحار» ، وكرر ذكره في أراجيزه وقصائده ، وبحث هذا العلم على وجه الإجمال ، ثم فصله تفصيلاً دقيقاً في جميع أعماله الشعرية ، وعلق عليه في أعماله النثرية المحدودة .

---

(١) الحاوية الفصل الأول ، الأبيات ٢٢ ، ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) القصيدة الذهبية ، البيت ٦٣ .
(٣) القصيدة الذهبية ، البيت ٦٣ .

آ ـ **علم البحر أو البحار أو الملاحة الفكلية** : ولا يجوز أن نفكر بأنه أراد بعلم البحر أو البحار ما نعني به الآن من دراسات مائية أو جغرافية ، لأنه قصد به الملاحة الفلكية ،أصول العمل فيها ومبادئها ، واعتبر أنه وضع قواعد جديدة لعلم جديد نفيس .

فهو يقول في البيت ٧٥ من الفصل الحادي عشر من حاوية الاختصار في أصول علم البحار :

قَصْدِي الأصولُ في عِلْمِ البَحْرِ   لا قَصدي الهرجُ وكُثْرُ الشِّعْرِ

وامتدح الحاوية إياها في البيت ١٥٤ من قصيدته الذهبية وقال عنها :

وحـــاويةُ العلمِ النفيسِ أفـادَهَا   ليجري عَليَها كلُّ آتٍ وذَاهبِ

وجزم أنه أول من كتب في هذا العلم :

كَشَفْتُ لِعِلْمٍ مـــا سُبِقْتُ لِمِثْلِهِ   وكلُّ فَتىً يَجني الذي هُوَّ زَارِعْ(١)

وعاد الى التأكيد على الفكرة ذاتها في البيت ١٣٧ من قصيدة ضريبة الضرايب :

فَخُذْ منْ علومٍ لا سَمِعْتَ ولا تَرى   لِذَا العِلْم مِن غيري وذي لذَّةُ العُمْرِ

وزاد فكرته وضوحا ، فشرح أنه يقصد علم البحر الفلكي ، حسبما جاء في البيتين ٦ و ٧ من الفصل الأول من الحاوية :

يـــا أيُّهــا الــطالبُ علمَ اليّمِ   إليكَ نَظْماً يا لَهُ مِنْ نَظْمِ

---

(١) القصيدة البليغة في قياس السهيل والرامح ، البيت ٤٤ .

في العلمِ والهيئَـةِ والحِسابِ[1]   ومـا هُـوَ آستُنْبِطَ للصَّـوابِ

ويقطع عنوانا حاوية الاختصار في أصول علم البحار ومختصر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد دابر كل تأويل بنصيهما الصريحين اللذين يثبتان ، هما والاستشهادات السابقة أن ابن ماجد صنف في علم البحر ، أي الملاحة البحرية ، وطبق فيها الهيئة ، أي أصول علم الفلك ، فصارت ملاحته فلكية ، ليهتدي بالنجوم وبانواء بعضها المسماة منازل القمر ، وبتواريخ طلوعها وغروبها محسوبة بالسنة الشمسية الملاحية اي النيروز العربي ، وبما يقابلها في السنة الرومية أي البيزنطية .

اذن ينحصر مضمون تصانيفه في البحث في الملاحة الفلكية ولا شيء سواها وهو يجمل هذه الملاحة الفلكية في أحد أعماله ، ثم يتناول تفاصيلها تفصيلاً في سائر تصانيفه .

ب ـ إجمال علم البحر في الحاوية وتفصيله في التصانيف الأخرى : وجمع أحمد بن ماجد ملاحته الفلكية الجديدة في أطول أراجيزه وأعظم مؤلفاته ، نعني على حد قوله «حاوية العلم النفيس» التي سماها كتاباً أي مصنفاً شاملاً قيماً :

لا تَـأْخُذِ الصفـاتِ منْ كتـابي   إلاَّ صفاتِ الصِدْقِ والصوابِ[2]

والكتاب في عصره اسم لكل ما خط مجموعاً ، نثراً كان أم شعراً . وهذه الحاوية مقسمة الى أحد عشر فصلاً يتناول كل فصل منها ناحية أو عدة نواحي من العلم النفيس .

---

(١) العلم : علم البحر . الهيئة : علم الهيئة أي الفلك . الحساب : يفسره ابن ماجد ذاته في البيت ١٧٠ من الفصل الرابع من الحاوية ، ويوضح أن المقصود حساب النيروز والأنواء والمنازل وحساب الروم أي السنة البيزنطية .

(٢) الحاوية ، الفصل الأول ، البيت ٣٦ .

وبعد انتهائه من نظم حاويته ومرور ردح من الزمن ، أدرك أن تكثيف البحث فيها لم يف جميع جوانب علمه الجديد حقها من التدقيق ، فعاد الى تفصيلها في أراجيز وقصائد لاحقة . وربما اشتملت المنظومة الواحدة على ناحية واحدة أو ناحيتين من علم البحر . ومن الأمثلة عليها .

١ ـ إفراد بعض القصائد لقياس بعض الكواكب : كقصيدة نادرة الأبدال في الواقع وذبان العيوق ، أو القصيدة البليغة في قياس سهيل والرامح ، او القصيدة الفايقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل .

٢ ـ أو تخصيص بعض الأراجيز لتفصيل مجاري بر معين ، مثل الأرجوزة السفالية أو الأرجوزة الملعقية أو أرجوزة النتخات لبر الهند وبر العرب من جاه اثنتي عشرة لجاه إصبع .

٣ ـ أو عرض ناحية معينة بدقة في أرجوزة أو قصيدة : كأرجوزة المنازل ، أو قصيدة عدة الأشهر الرومية وكل شهر كم هو ، أو قصيدة المواسم .

وربما تضمنت الأرجوزة أو القصيدة عدة نواحي من علم البحر ، متكاملة ومنسجمة فيها بيتها .

والمثال على ذلك :

١ ـ الأرجوزة السبعية لأن فيها سبعة علوم من علوم البحر غير الفراسة والإشارات .

٢ ـ وقصيدة كنز المعالمة وذخيرتهم في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها (تسمى أيضاً القصيدة العربية) .

وكان ابن ماجد قد أوصى في حاويته الأغرار من طلاب علم البحر ، من الذين لا يجرون السفن أي ممن ليسوا ربابين أو معالمة ، أن يستعينوا بـ «أستاذٍ» أي معلم ، عند مطالعة نظمه :

والشـرطُ لا يُقْـرَأ بـــلا أستـاذِ إنْ لَمْ يكُنْ للفُلكِ غيرَ حادي[1]

(١) الحاوية ، الفصل الأول ، البيت ١٠ . والفلك : السفينة ، والحادي كناية عن الربان أو المعلم ، من حدا الأبل أي ساقها وغنى لها .

وقد تبين له في الخمسين من عمره تقريباً أن المعالمة والربابين والمستجدين على حد سواء ، يحتاجون الى شرح بعض أبياته وبعض أبحاثه الفرعية ، فقرر أن ييسر لهم إدراك معاني أشعاره ، وشرع يكتب لهم فوائد[1] أي تعليقات أو حواشي أو شروحاً ، جمعها في كتاب واحد سماه كتاب الفوائد أي كتاب الشروح في أصول علم البحر والقواعد ، وقال عنه : «ألفته وصنفته لركاب البحر وزؤسائه ، وفيه ما اشتبه من الحاوية والأراجيز وغيرها للطالبين»[2] .

وهكذا يتضح أن «الحاوية» تستقطب جميع ماكتبه أحمد بن ماجد ، وأنها أعظم تآليفه ، وأن كل ما جاء بعدها أتى إيضاحاً لها . فهي أصل وما سواها فرع . وهي تتضمن بالتالي الملاحة الفلكية العربية ، وكل ما تبقى شرح لها أو تفصيل لما أجمل فيها . وتنطوي هذه الحقيقة على ردّ ما قيل حديثاً وما زال يقال في أوساط المستشرقين المهتمين بالملاحة في المحيط الهندي ، مِن أن تصانيف ابن ماجد «إرشادات ملاحية» فقط أو «كتب طريق» أو «دفاتر» مسير في البحر . ويعد البدء بنقلها الى اللغات الأجنبية بعد وفاة كاتبها بقليل أحد الأدلة الحاسمة على إرسائها علم الملاحة البحرية ، الذي لم يُعرف من قبل .

---

(١) الفائدة : ما استفاد المرء من علم أو مال . ويستعملها النحاة وغيرهم بمعنى معرفة اضافية أو حالة خاصة أو حاشية على هامش النص الأصلي يعلقون فيها عليه . فيصبح المقصود بكتاب الفوائد كتاب الشروح أو كتاب التعليقات .

(٢) كتاب الفوائد ، ص ٩ ، س ٦ - ٧ .

مقارنة مخطوطي الحاوية والفوائد

الحاوية

مقدمة نثرية واحد عشر فصلاً نظماً

المقدمة : توخى ابن ماجد من نظم الحاوية حفظ علم البحر ، وهداية الملاحين . واعتمد فيها على ماسلك في عصره من أراجيز ورهمانجات . وسماها حاوية الاختصار في أصول علم البحار .

ناقص مايعادل الفائدة الأولى ➤

الفصل الأول : الثناء على الأستاذين ، تقديم الأرجوزة اشارات ومعارف يحتاج إليها الربابين واحتياطاتهم قبل السفر .

الفصل الثاني : منازل القمر والاخنان وأزوامها وأصابع دورة السماء

الفصل الثالث : دوام القياس ستة أشهر ، منازل القمر في القياس ، النيروز العربي ، السنة القمرية والشمسية ، بدء السنين النيروزية : العربية الهندية السلطانية .

ناقص مايعادل الفائدة السادسة ➤

الفوائد

مقدمة واثنتا عشرة فائدة

المقدمة : لعلم البحر قيمة معنوية اجتماعية ، وأهمية دينية لمعرفة القبلة ، وأهمية تجارية لنقل السلع بين البلدان .

ويجدر بالعالم ان يلزم التواضع لأن اكتساب العلم يدوم مدى الحياة وقد اختصر من العلم كتاباً سماه كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد وشرح فيه : **ماشتبه في الحاوية والأراجيز على الطالبين .**

الفائدة الأولى : أصل فنون البحر، اسم ابن ماجد الكامل - تاريخ الملاحة القديمة، نظم ابن ماجد الاراجيز والقصائد ثم مطوّل كتاب الفوائد سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م - اعتماد الملاحة العربية على حجر المغناطيس ومنازل القمر واخنان الحقة .

الفائدة الثانية : أسباب ركوب البحر ومعارف المعلم الماهر

الأسباب : المنازل ، الأخنان، الدير، المسافات الخ .

معارف المعلم الماهر : النجوم ، البرور ، الاشارات

خصال المعلم الماهر : الصبر، الشدة ، العدل ، الخ

الفائدة الثالثة · منازل القمر .

الفائدة الرابعة : الاخنان .

الفائدة الخامسة : مايحتاج إليه الملاحون : معرفة الكتب الكبار في الفلك والجغرافية ، شهور الروم ، تواريخ الأمم ، معرفة السيارات والهداية بالنجوم الثوابت .

الفائدة السادسة : دير الملّ والمطلق والاقتداء

	وتصنيف الفوائد بعد ٥٠ سنة تجربة (المختصر) .
الفصل الرابع : القياس الأصلي وبدائله، باشيات المنازل .	**الفائدة السابعة** . الباشيات وقياسات الجاه والفرقد والنعش ومفسدات القياس .
الفصل الخامس الديرة من جزيرة جرون الى باب المندب فجدة . الديرة من سيبان الى القصير ـ ديرة بر بربرة، ديرة بر الزبح وجزره .	← **ناقص مايعادل ١٣٣ بيتاً**
الفصل السادس دير بر فارس وبر الهند وسيلان وبري خليج البنغال الغربي والشرقي ، وبر السيام وبر الصين .	← **ناقص مايعادل ١٠٧أبيات**
الفصل السابع الديرة من ملاقة لجاوة ، دير جزر تيمور دير جزر اندمبد ، مطالق الجزر ، دير دورة سيلان ، دير جزر الفال والذيبة ، مطالق بر القمر وبر بربرة وبر الجمجمة .	← **ناقص مايعادل ١٨٥ بيتاً**
الفصل الثامن **المسافات** بين بر العرب وبر الهند ، وبين بر النات وبر السيام ، وعلى رؤوس جاه ١١-١٠ ٥-١ وفراقد اصبع ، واستخراج المسافات .	← ناقص مايعادل ٦٩ بيتاً
انظر الفصلين ١ و ١١ ←	**الفائدة الثامنة** الاشارات والسياسات وترتيب المركب والعسكر ـ الطوفان واشاراته
ناقص مايعادل الفائدة التاسعة ←	**الفائدة التاسعة** دورة البحر في جميع الدنيا . دورة السماء والأرض بالدرجات . تصنيف المعالمة الى دون وماهر ومصنف .
ناقص مايعادل الفائدة العاشرة ←	**الفائدة العاشرة** الجزر الكبار : جزيرة العرب ، القمر ، شمطرة ، جاوة ، الغور ، سيلان ، زنجبار ، البحرين ، بني جاوان ، سقطرة .
الفصل التاسع قياس الجاه من ١١ الى اصبع ، ومن فرقدين سبع الى اصبع ، ومن نعش ١٢ الى اصبع	← **ناقص مايعادل ٦٩ بيتاً**
الفصل العاشر معرفة تغني عن الاستواءات ، تفصيل القلع جري الماء في الباحة	← **ناقص مايعادل ٧٨ بيتاً**
ناقص مايعادل الفائدة الحادي عشرة ←	**الفائدة الحادية عشرة** مواسم السفر : من بر العرب والهند والسند الخ مواسم السفر .
ناقص مايعادل الفائدة الثانية عشرة ←	**الفائدة الثانية عشرة** بحر قلزم العرب
الفصل الحادي عشر معرفة المنازل الطالعة والآفلة ـ معرفة بروج المنازل ـ معرفة الساعات ـ معرفة النجم الزوجي ـ معرفة اشاير الطوفان ـ الخاتمة وتاريخ الأرجوزة وعدد أبياتها الاجمالي وعدد أبيات فصولها .	← ناقص مايعادل الفصل الحادي عشر



الفصل الرابع

نقل بعض مصنفات أحمد بن ماجد إلى اللغة التركية
كتاب المحيط

انتشرت تصانيف أحمد بن ماجد انتشاراً واسعاً في أوساط أهل البحر العرب ، وهو على قيد الحياة ، فأخذ المعالمة يتحلّقون حوله في المراسي ، ويرجعون اليه في حل قضاياهم الملاحية المستعصية عليهم[1] . ونثر سليمان المهري شعره في كتبه المعروفة .

وتجاوز الاعتماد على تصانيف ابن ماجد جزيرة العرب ، إذ نُقل بعضها الى لغة الأردو ، وبعضها الآخر الى اللغة التركية العثمانية . ثم تناولها الباحثون بالدرس والتمحيص في القرنين التاسع عشر والعشرين ، فترجمت ثلاث أراجيز الى اللغتين الروسية والبرتغالية . وترجمت السفالية وكتاب الفوائد الى اللغة الانكليزية . ولن نتحدث هنا عن الترجمة الهندية التي نقل لنا خبرها أحد الباكستانيين المختص باللغة العربية ، لأننا لم نطلع عليها ولا رأيناها ، ولا قرأنا بحثا عنها ، وإن كان أحد معالمة جزر المالديف ، وهو سيد حسين سيدي ، أعطى جيمس برنسب صورة الدائرة نقلا عن «ماجد كتاب» الذي شاهده برنسب بأم عينيه[2] ، ونكتفي باستعراض باقي الترجمات ، وأقدمها التركية .

---

(١) الفوائد : ص ٢٣٥ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، وأماكن متفرقة في القصائد والاراجيز (البيت ١٨٥ من الذهبية) .

(٢) الارشادات الملاحية والراهمانجات العربية والبرتغالية ، الجزء الثالث ، مدخل الى الفلك

أولاً - ما تُرجم من أعمال ابن ماجد الى اللغة التركية العثمانية

وقد وردت الترجمة التركية في كتاب «المحيط» لأمير البحر التركي علي بن الحسين[1] . وللمحيط مخطوطتان ، عرفهما المستشرقون ، إحداهما محفوظة في المكتبة الوطنية في فيينا ، والثانية في المكتبة الوطنية في نابولي . وقد عثرنا نحن على نسخته الأصلية في ريفان . وهي في ١٣٥ ورقة (١٥ سطراً في الصفحة ، ٨ كلمات في السطر ، خط نسخي جيد) . آخرها : «تم الكلام بتوفيق الله ، الملك العلّام ، في بلدة أحمد أباد ، عاصمة ولاية كوجرات هند ، في آخر شهر محرم الحرام من شهور سنة ٩٦٢ من الهجرة النبوية ، عليه أفضل الصلاة ، وأكمل السلام» . وهذا يعني ان هذا الكتاب حرر بعد مرور قرابة نصف قرن على وفاة ابن ماجد .

ويقسم المحيط الى مقدمة وعشرة أبواب ، تضم ٥٠ فصلاً . ويقول مؤلفه إنه «ترجمة[2] عن تصانيف معالمة قدامى ، هم ليث بن كهلان ومحمد بن شاذان وسهل بن ابان ، وعن تصانيف معالمة متأخرين : احمد بن ماجد من «جلفار في ولاية عُمان» وسليمان بن احمد «من الشحر»[3] ، وإنه نقله عن «الفوائد ، والحاوية ، وتحفة الفحول ، والعمدة ، والمنهاج ، وقلادة الشموس »[4] . فماذا كان نصيب «الفوائد» و«الحاوية» من هذه الترجمة التركية ؟ لقد عدنا الى مخطوطة ريفان التركية ، المكتوبة بخط علي بن الحسين ، وقارنّا متنها بنصوص تصانيف ابن ماجد والمهري ، فحصلنا على النتائج التالية :

الملاحي العربي ، ص ١٠ .

(١) هكذا جاء اسمه في مخطوطة ريفان ، ورقة ٢ ، وجه ، س٢ . وله كتب أخرى منها ترجمة «الفتحية» لعلاء الدين علي قوشتجي ، و«مرآت المماليك» (وهي رحلته من جوزرات الى القسطنطينية) .

(٢) مخطوطة ريفان ، ورقة ١ ظهر ، س ١٥ .

(٣) مخطوطة ريفان ، ورقة ٣ ، وجه ، س٩ - ١٥ .

(٤) سماها بعناوينها المختصرة ، مما يدل على انها شائعة ومعروفة .

جدول ـ ١

مقارنة نص «المحيط» بنصوص ابن ماجد والمهري

نص المحيط	موضوعه	الأصل العربي المترجم أو تأليف علي بن الحسين(١)
المقدمة ورقة ١ ـ ٩ظ	حمدلة ، تمجيد السلطانين سليم وسليمان ، والباعث على الترجمة عن مؤلفات الليوث الثلاثة وتصانيف ابن ماجد والمهري وفهرس الكتاب .	وضع علي بن الحسين
الباب الأول ورقة ٩ظ ـ ١٧و	الأفلاك والكواكب وعناصرها	
الفصل ١ : ٦ظ ـ ٨ظ	صفة الأفلاك والكواكب	تحفة الفحول ص١٦-١٧ شرح التحفة ص١٤٢
الفصل ٢ : ٨ظ ـ ١١و	تجزئة الدورة	تحفة الفحول : ص١٨ شرحها : ص٥٨ الحاوية ف٢ ، الأبيات ١٤-٢٨
الفصل ٣ : ١١و-١٢و	بيان ما بين الأخنان من أصابع قياسية	التحفة : ص١٨-٢٠ شرحها : ص٥٨-٦٩
الفصل٤ : ١٢و-١٣ظ	أسماء الأخنان وأبعادها عن القطب بالدرجات والأصابع	العمدة : ص٨ ـ ٩
الفصل ٥ : ١٣ظ ـ ١٦ظ	القياس وألواحه	وضع علي بن الحسين
الفصل ٦ : ١٦ظ ـ ١٧و	غاية ارتفاع الكواكب	العمدة : ص١١
الباب الثاني : ورقة ١٧و-٢٧و	أسس السنين القمرية والشمسية والرومية والقبطية والفارسية	
الفصل ١ : ١٧و-١٧ظ	أيام السنة القمرية وشهورها	قلادة الشموس : ص٦ مع اضافة
الفصل ٢ : ١٧ظ ـ ١٨ظ	أسّ السنة القمرية	قلادة الشموس : ص٦-٧ مع اضافة
الفصل ٣ : ١٨ظ ـ ١٩ظ	أسّ السنة الشمسية أس سنة البروج الرومية والقبطية	قلادة الشموس : ص٧ ـ ٨ مع اضافة

(١) تشير صفحات هذا العمود الى العلوم البحرية عند العرب ، القسم الاول ، الجزء ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق ابراهيم خوري مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

الفصل / الورقة	الموضوع	المصدر
الفصل ٤ : ١٩ظ ـ٢٣و	السنة الشمسية أي سنة البروج	قلادة الشموس : ص٨ ـ٩ مع اضافة
الفصل ٥ : ٢٣و ـ٢٥و	السنة الرومية	قلادة الشموس : ص٩ ـ١٠مع اضافة
الفصل٦ : ٢٥و ـ٢٦و	السنة القبطية	قلادة الشموس . ص١٠مع اضافة
الفصل ٧ : ٢٦و ـ٢٧و	السنة الفارسية والنوروز	قلادة الشموس · ص١١مع اضافة
الباب الثالث: ورقة ٢٧و ـ٣٢ظ	الأزوام والترفات وحقيقة الديرة	
الفصل ١ : ٢٧و ـ٢٧ظ	الأزوام	تحفة الفحول : ص٢١
الفصل ٢ : ٢٧ظ ـ٢٩و	الأزوام الموضوعة بين الأخنان	تحفة الفحول : ص٢١ ـ٢٤ المنهاج : ص٥
الفصل٣ : ٢٩و ـ٣٠ظ	ترفات الأخنان أي أصابعها	المنهاج : ص٦ العمدة : ص١٥ التحفة : ص٢٢ ـ٢٤ شرحها :ص١٠
الفصل٤ : ٣٠ظ ـ٣٢ظ	حميقة الديرة	التحفة : ص٢٥ ـ٢٦ مع اضافة عن المغناطيس
الباب الرابع : ٣٢ظ ـ٤٠و	دير فوق الريح وتحت الريح	
الفصل ١ : ٣٢ظ ـ٣٧و	دير وروّوس بحر الحجاز وجزره	العمدة : ص٢٨ ـ٢٩
	دير ورؤوس وجزر بر العجم	العمدة : ٢٩ ـ٣٠ الحاوية :ف٥ الأبيات٥٣ ـ٧١
	دير بر العرب كارض الجزر والاحقاف والأطواح وجزر عُمان وجزيرة جرون	العمدة . ص٣٠ ـ٣٢
	دير بر العجم كمكران والسند وجوزات وكنكن وتلوان ومليبار	العمدة : ص٣٢ ـ٣٥ الحاوية : ف٦ البيتان٨ ـ٩
	دير بر الزيالع والمدجان والسومال والزنج وسفالة	العمدة : ص٣٥ ـ٣٧
الفصل ٢ : ٣٧و ـ٣٨و	دير المطالق	العمدة : ٣٧ ـ٣٩
الفصل ٣ : ٣٨و ـ٣٩	دير تحت الريح دير بر الشوليان	العمدة : ص٣٩ ـ٤٠
	والنات وورسا والبنج	العمدة · ص٤١
	دير بر السيام ، دير بر الصين وماه الصين	العمدة : ص٤٢
الفصل ٤ : ٤٠و ـ٤٥ظ	دير جزيرة القمر	العمدة : ص٤٤ ـ٤٧مع اضافة
	دير جزر ررين	العمدة : ص٤٧ ـ٤٨مع اضافة

	دير جريرة سقطرة	العمده : ص٤٨-٤٩
	دير جزر الفال	العمدة : ص٤٩-٥٣
	دير جزر الذيب	العمدة : ص٥٣-٥٦
	دير جزيرة سيلان	العمدة : ص٥٦-٥٨ مع اضافة
	دير جزر اندمان وجزر ناكباري	العمدة : ص٥٨-٦٢
	دير جزر بحريات بر السيام	العمدة : ص٦٢-٦٥
	دير جزيرة شمطرة	العمدة : ص٦٥-٦٩مع اضافة
	دير جزيرة جاوة	العمدة : ص٦٩-٧١مع اضافة
	دير الحزر الحموبيات الشرقيات	العمدة : ص٧١-٧٣
الفصل ٥: ٥٤ظ-٥٧و	أحوال مملكة تحت الأرض	وضع علي بن الحسين
الباب الخامس : ٥٧و-٦٥ظ	القياسات واصطلاح أهل البحر	
الفصل ١: ٥٧و-٥٧ظ	القياس	تحفة المحول : ص٢٧
الفصل ٢: ٥٧ظ-٥٨و	القياس الأصلي	تحفة الفحول · ص٢٨مع اضافة
المصل ٣: ٥٨و-٥٨ظ	لواحق القياس	تحفة الفحول : ص٢٩
الفصل ٤: ٥٨ ظ -٥٩و	أسامي الأخنان	الفوائد : ص١١٣، ١٣٨ العمدة : ص٢٢-٢٣
الفصل ٥: ٥٩و-٦٠ظ	دورة الفرقدين على القطب	العمدة : ص٢٥-٢٧مع اضافة
الفصل ٦: ٦٠ظ-٦٢و	باشيات منازل القمر	العمدة :ص١٠٤-١٠٦مع اضافة
الفصل ٧ : ٦٢و-٦٣ظ	شروط صاحب الدرك	العمدة : ٢٧ الفوائد : ص٢٨-٣٠مع اضافة
الفصل ٨· ٦٣ظ-٦٥ظ	قياس الكواكب بصحة القياس	العمدة : ص١٠٧-١١٠مع اضافة
الباب السادس : ٦٥ظ-٧٨ظ	قياس البرور المشهورة	
الفصل ١: ٦٥ظ-٦٦و	اختلاف قياس الجاه	المنهاج : ٢٣-٢٤
الفصل ٢: ٦٦و-٧٥و	قياس الجاه	المنهاج : ص٢٤-٤٨مع اضافة
الفصل ٣: ٧٥و-٧٧و	قياس الفرقدين	المنهاج : ص٤٩-٥٤
الفصل ٤: ٧٧و-٧٨و	قياس النعش	المنهاج : ص٥٤-٥٨

الباب السابع : ٧٨ظ-٩٢و	المسافات	
الفصل ١ : ٧٨ظ-٧٩ظ	المسافة	التحفة : ص٣٢ شرح التحفة :ص١١٣
الفصل ٢ : ٧٩ظ-٨٠ظ	تقسيم أنواع الحساب	العمدة : ص١٩-٢١
الفصل ٣ : ٨٠ظ-٨٣ظ		
الفصل ٤ : ٨٣و-٩٠و		
الفصل ٥ : ٩٠و-٩١و	المسافة بين بر العرب وبر الهند	المنهاج : ص٩٠-٩٣
الفصل ٦ : ٩١و-٩٢و	مسافة بعض المواضع	المنهاج : ص٩٩-١٠٠مع اضافة
الباب الثامن : ٩٢و-١٠١و	الأرياح والمواسم	
الفصل ١ : ٩٢و-٩٣و	الأرياح	التحفة : ص٣٤-٣٥ الفوائد : ص٥٠ المنهاج : ص١٠١
الفصل ٢ : ٩٣و-٩٤و	المواسم على أيام النيروز	العمدة : ص١١١مع اضافة
الفصل ٣ : ٩٤ظ-٩٦ظ	القسم الأول من الضرب الأول يسمى رأس الريح	العمدة : ١١١-١١٢
	مواسم تحت الريح في هذا الوقت من الهند واليها	العمدة : ص١١٣-١١٤
الفصل ٤ : ٩٦ظ-٩٨ظ	القسم الثاني من الضرب الأول وهو آخر الكوس	العمدة : ص١١٥-١١٦
	مواسم أسفار تحت الريح من برعدن الى بنادر الهند	العمدة : ص١١٦-١١٧
الفصل ٥ : ٩٨ظ - ١٠١ و	الضرب الثاني في مواسم ريح القبول وهو الأزيب مواسم تحت الريح لبر العرب القريب منه	العمدة · ص ١١٨ - ١١٩ العمدة : ص ١١٩ - ١٢٠
الباب التاسع :الأسفار ١٠١ و- ١٢٨ ظ		
الفصل ١ : ١٠١ و- ١٠٤ ظ	جزر بحريات بر العرب	العمدة : ص ١٢١ - ١٣٠
الفصل ٢ : ١٠٤ ظ - ١٠٦ و	جزر بحريات بر العجم	العمدة : ص ١٣٠ - ١٣٥
الفصل ٣ · ١٠٦ و- ١٢٨ ظ	الأسفار وعلامات قرب البرور	
	السفر من باب المندم الى جبل زقر وسيبان	العمدة . ١٣٦ - ١٣٧
	السفر من سيبان إلى جدة في الريح المخالف	العمدة : ص ١٣٧ - ١٤٠
	السفر من سيبان الى سواكن	العمدة : ص ١٥١ - ١٥٥
	السفر من حدة الى عدن	العمدة : ص ١٦٠ - ١٦١

السفر من سواكن الى عدن	العمدة ، ص ١٦١ - ١٦٣
السفر من زيلع الى جوزرات	العمدة: ص ١٦٣ مع إضافة
السفر من بربرة الى جوزرات	العمدة: ص ١٦٣
السفر من عدن الى جوزرات	العمدة: ص ١٦٣ - ١٦٥
السفر من قشن الى جوزرات	العمدة: ص ١٦٥ - ١٦٦
السفر من خلفات الى جوزرات	العمدة: ص ١٦٦
السفر من ظفار الى جوزرات	العمدة: ص ١٦٧
السفر من قلهات الى جوزرات	العمدة: ص ١٦٧ - ١٦٨
السفر من عدن الى منيبار	العمدة: ص ١٦٨ - ١٧٠
السفر من ديو الى مشقاص	العمدة: ص ١٧٠ - ١٧١
السفر من ديو الى الشحر وعدن	العمدة: ص ١٧١ - ١٧٢
السفر من مهايم وشيول الى بر العرب	العمدة: ص ١٧٣ مع إضافة
السفر من الديو الى جزر الديب	العمدة: ص ١٧٣ - ١٧٤ مع إضافة
السفر من الديو الى مسكت وهرمور	العمدة: ص ١٧٥ - ١٧٧
السفر من كنباية الى عدن آخر الموسم	العمدة: ص ١٧٧ - ١٧٩ مع إضافة
السفر من دابول الى عدن	العمدة: ١٧٩
السفر من جوة سندابور الى عدن	العمدة: ص ١٨٠
السفر من هنور وبادقلة لعدن آخر الموسم	العمدة: ص ١٨٠ - ١٨١
السفر من الديو إلى ملاقة	العمدة: ص ١٨٢ - ١٨٥
السفر من الديو إلى شاتي جام أي بنجالة	العمدة: ص ١٨٦ - ١٨٨
السفر من ملاقة الى عدن	العمدة: ص ١٨٩ - ١٩٠
السفر من شاتي جام بنجالة الى بر العرب	العمدة: ص ١٩٠ - ١٩١

الباب العاشر: المحذورات والطوفانات
١٢٨ ظ - ١٣٥

الفصل ١ : ١٢٨ ظ - ١٢٩ ظ

الفصل ٢ : ١٢٩ المحذورات ظ - ١٣٥	العمدة : ص ١٩١ - ١٩٣ مع إضافة
ديهل	الحاوية : ف ١١ ، الأبيات ٣٠ - ٥١
الطوفانات	المنهاج : ص ١٠٢ - ١٠٤

يتضح بجلاء من هذه المقارنة أن علياً بن الحسين نقل حرفياً الى لغته التركية :

١ ـ تحفة الفحول بأبوابها السبعة وبعض شرحها .

٢ ـ وقلادة الشموس بفصولها الستة .

٣ ـ ومعظم العمدة ، أي :

- خمسة فصول من فصول الباب الأول الخمس عشرة .
- وثلاثة فصول من فصول الباب الثاني الأربعة .
- وجميع فصول الباب الثالث .
- وجميع فصول الباب الرابع .
- وفصلين من الباب الخامس .
- وجميع فصول الباب السادس .
- وجميع فصول الباب السابع .

٤ ـ وتسعة فصول طويلة من المنهاج ، هي :

- فصلا المقدمة .
- وأربعة فصول من فصول الباب الثاني الخمسة .
- وفصلان من فصول الباب الرابع الأربعة .
- وفصل من الباب الخامس .

٥ ـ وقدراً محدوداً جداً من حاوية الاختصار ، وكتاب الفوائد .

ويعني هذا النقل أن علياً بن الحسين ترجم تصانيف المهري وفقرات نادرة جداً من فوائد ابن ماجد وحاويته . ويوحي إما بأنه عجز عن فهم شعر ابن ماجد الملاحي ، وهذا هو الأرجح وإما أنه اعتبر أن المهرى نثره ، فلم يكلّف نفسه عناء ادائه ، وهذا موضوع آخر لا يمكن حسمه إلا بتحليل طويل مستقل .

ثانياً ـ ترجمة كتاب المحيط التركي الى اللغات الأوربية

مهما يكن ، نقل «المحيط» الى بعض اللغات الأوربية في القرن التاسع عشر ، فاطلع العالم الغربي ، بصورة غير مباشرة على بعض الفكر الملاحي العربي المتقدم . ومهد الطريق لدراسة التصانيف العربية في وقت لاحق من القرن العشرين . ويلخص الجدول التالي ما ترجم من هذا الكتاب ومن ترجمه واللغة المترجم إليها ونشر الترجمة . ويفيد هذا الجدول كثيراً ، لأن جميع المستشرقين في القرن العشرين عادوا الى محتويات المحيط المترجمة ، عندما درسوا النصوص العربية .

جدول ٢
ترجمة كتاب المحيط الى اللغات الأوربية

القسم المترجم	المترجم	اللغة المترجم إليها والناشر
المقدمة	بونيلي	نشرت في مجلة : Rendiconti della R.Acad Lincei عدد تشرين الأول ١٨٩٤ ، ص ٧٥٣ ـ ٧٥٤
الباب الأول	همر وبرنسب	المانية وانكليزية مجلة الجمعية الآسيوية البنغالية تشرين الأول ، ١٨٣٨ ، ص ٨٦٧ ـ ٨٨٠
الباب الثاني	همر وبرنسب	المانية وانكليزية، مجلة الجمعية الآسيوية البنغالية عدد تشرين الأول ١٨٣٩ ، ص ٨٢٣ ـ ٨٣٠
الباب الرابع	بونيلي	نشره في مجلة Rendiconti della R.Acad Lincei عدد تشرين الأول ١٨٩٤ ، ص ٧٥٤ ـ ٧٧٧

	بتنر	المانيـة كتـاب (ص ٥٥ ـ ٧٩) : Die Topographischen Capitel des Indischen Seespiegels Mohit
الباب السادس	بونيلي	نشره في مجلة : Rendiconti della R.Acad dei Lincei عدد كانون الثاني ١٨٩٥ ، ص ٣٧ ـ ٤٩
	بتنر	الالمانية : كتاب : Die Topographischen ص ٧٧ ـ ٩٠
الباب السابع	بونيلي	نشره في مجلة Rendiconti della R.Acad. dei Lincei عدد كانون الثاني ١٨٩٥ ، ص ٤٩ ـ ٥١
	بتنر	المانية : ص ٩٠ ـ ٩٢ من كتاب Die Topographischen
الباب الثامن	همر وبرنسب	الالمانية والانكليزية م ج ا ب ، تشرين الثاني ١٨٣٤ ، ص ٥٤٧ ـ ٥٥٣
الباب التاسع	همر وبرنسب	الالمانية والانكليزية : م ج ا ب ، آب ١٨٣٦ ، ص ٤٤٥ ـ ٤٦٨ .
الباب العاشر	همر وبرنسب	الالمانية والانكليزية : م ج ا ب ، تشرين الأول ١٨٣٧ ، ص ٨٠٥ ـ ٨١٢

الفصل الخامس

نقل تصانيف أحمد بن ماجد الى اللغات الأوربية

نسي العالم ، فيما يبدو ، تصانيف أحمد بن ماجد ، بعد الترجمة التركية لها ، وأهملها حتى مطلع القرن العشرين ، أي ثلاثة قرون ونصفاً . وهذه ظاهرة غريبة ، تتنافى مع سنة التطور والتقدم . وسوف نعود اليها في القسم الثالث ، ونثبت أن البرتغاليين نقلوا مبادىء الملاحة العربية في بحر الهند الى لغتهم منذ وصولهم إليه ، وطبقوها في أسفارهم . ثم نقلت تلك المبادىء عنهم الى اللغات الاسبانية والفرنسية والانكليزية ،دون أن يشار البتة الى أخذها من تصانيف أحمد بن ماجد . وهذه الناحية لا تعنينا الآن ، وما يهمنا هو التعريف بإيجاز بترجمات بعض أعماله الى اللغات الروسية والبرتغالية والانكليزية .

أولاً ـ ترجمة السفالية والمعلقية والتائية الى اللغة الروسية

يمتلك المتحف الأسيوي لأكاديمية العلوم في لينينغراد (المعهد الشرقي حالياً) مخطوطة وحيدة في العالم ، تضم ثلاث أراجيز لأحمد بن ماجد ، أخبر المستشرق الروسي كراتشكوفسكي المستشرق الفرنسي غبرييل فران بوجودها ، وهي السفالية والمعلقية (الملعقية) والتائية .

وفي عام ١٩٥٧ ، نشر شوموفسكي هذه الأراجيز الثلاث مصورة بلا تحقيق في ٤٦ صفحة ، وقرنها بترجمة روسية لها ، ووضع لها فهارس وخريطة تقريبية

محدودة الأسماء في ١٩٨ صفحة أخرى ، ووسم كتابه : «ثلاث (كذا) رهمانجات المجهولة لأحمد بن ماجد ، ربان رحلة فاسكو دي جاما (كذا) ، وهي مأخوذة عن النسخة العربية الفريدة التي توجد في مكتبة معهد الاستشراق ، عني بنشرها وتحقيقها (كذا) وترجمتها الى اللغة الروسية ، ووضع الفهارس ثيودور شوموفسكي»[1] .

لا شك ان شوموفسكي بذل جهوداً مضنية في هذا العمل الشاق ، وشجع الباحثين على الإقدام على دراسة الملاحة العربية في بحر الهند . إلا أن حصيلة أبحاثه خيبت الآمال . فهو لم يأت بجديد ، بل ارتكب أخطاء ، لا يجوز الوقوع فيها .

آ ـ **كأن يقرأ** لفظ «السير» «التير» (ص ١١٥ ، س ٤٦) ،
أو عظمي «البالي» ، عظمي «الليالي» (ص ١١٧ ، س ٢٨)
أو تعرف «السبيل» ، تعرف «السليل» (ص ١١٧ ، س ٣٥) ،
أو «تجبروا عامين» ، «تجيز عامين» (ص ١١٩ ، س ٤٠) ،
أو «بحريز الملل» ، «بجزيرة المل» (ص ١٢٤ ، س ٢٥)
أو «يسقي ويكبر» ، «يسقي ديلبر» (ص ١٢٥ ، س ٢٦) ،
أو «أشرار البلا» ، «أشرار سيلا» (ص ١٢٧ ، س ٣٤) ،
أو «كنكن» ، «كبلن» (ص ١٣٠ ، س ٢٠) ،
أو «شط اللج» ، «شط اللجون» (ص ١٣٠ ، س ٣٦) ،
أو «مكّيًا» ، «مكجى» ، (ص ١٣١ ، س ١٢) ،
أو التعدي» ، «النعدي» ، ويعتبره مكاناً مجهولاً (ص ١٣٤ ، س ١١) ،
أو «البلد» (=مسبار العمق)، «البلدة» (=منزل القمر) (ص١٣٥ ،س١١)،
أو أن يفهم «مأرب (=حاجة)، «مأرب» (المدينة التاريخية) (ص١٣٠ ،س٤١)،
أو «الفؤاد»، (بتخفيف الهمزة) كوكب فؤاد الأسد أي نجم الفا «ليو»، الفراد.

---

(١) طبع بمطبعة المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي . موسكو ـ لينغراد ، ١٩٥٧ .

ب ـ أما زلته الكبرى ، التـــي لا تغتــفــر ، فهي أنه لم يلحظ الانتحال في السفالية ، ولم يفطن أن أبياتها سبعماية بيت وبيت ، مثلما جاء في البيت ١٧ من الوقة ٩٦ وجه ، في حين بلغ عدد أبيات مخطوطة ليننغراد ٨٠٧ أبيات . بالتالي أقحمت فيها ١٠٦ أبيات ، اعتبرها شوموفسكي لابن ماجد ، واستخلص منها نتائج فاسدة لفساد أساسها ، سوف نتحدث عنها في ترجمة السفالية الى الانكليزية .

ثانياً ـ نقل الترجمة الروسية للسفالية والمعلقية والتائية الى اللغة البرتغالية

وقد انتقلت أخطاء شوموفسكي الى الأوساط العلمية في أوربة ، خاصة الى الوسط البرتغالي الذي تحمس باحثوه لعمله ، لأن الأبيات المدسوسة تشيد بهم وبعلمهم الملاحي ، فنقل ميرون مالكييل جيرمونسكي كتاب شوموفسكي الى اللغة البرتغالية سنة ١٩٦٠ ، ونشرت مقالات طوال عن علاقة ابن ماجد بالبرتغاليين (فاسكو داغاما) وعن تقديره لمعارفهم البحرية ، واستشهدت بأبيات السفالية المنحولة وانتقلت سقطات شوموفسكي الى الوسط العربي بعد أن قام منير مرسي بترجمة دراسة شوموفسكي ونشرها في القاهرة سنة ١٩٦٩ .

ثالثاً ـ ترجمة السفالية الى اللغة الانكليزية

وصدرت في عام ١٩٨٣ ، ترجمة السفالية الى اللغة الانكليزية في مدينة كويمبرة البرتغالية في كتاب عنوانه «السفالية ، أو الملاحة العربية على سواحل افريقية الشرقية في القرن الخامس عشر ، نشره مركز الدراسات الكرتوغرافية القديمة ولجنة الأبحاث العلمية لما وراء البحار ، وضمت صفحاته الـ ١٣٨ ، ذات القطع الكبير ، مقدمة وثلاثة أبواب : بحث الباب الأول منها الانتحال في السفالية ، وحوى الباب الثاني أداءها بالانكليزية ، وتضمن الثالث فهارس وتعليقات موجزة عليها .

وقد انطلق الباب الأول من خمس حجج دامغة ، أثبتت وقوع الانتحال في السفالية ، واقتضت استبعاده منها ، لتأتي نظيفة مما يشوبها : هي تاريخ نظم السفالية ، وطعن ابن ماجد في السن أو وفاته ، وتاريخ الرحلات البرتغالية الى الهند ، وعدد أبيات السفالية ، واختلال سياق وحدتها وترابطها في «النص المصور المنشور» .

ولم يذكر تاريخ نظم السفالية فيها ، إلا أن نسخة الذهبية الثانية ، المؤرخة في ٨٩٥ هـ/ ١٤٨٩ ح ، تحيل الى ست عشرة أروجوزة وقصيدة لابن ماجد ، ذكرت السفالية في عدادها في بيت الذهبية ١٦٢ . اذن كتبت هذه الأرجوزة قبل عام ١٤٨٩ م ، أي ثماني سنوات قبل أن يتحرك فاسكو داغاما في اتجاه الهند في الحد الأدنى . من ناحية أخرى ، نظمت نسخة الذهبية الأولى قبل عام ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥ م[١] . بالتالي ، نظمت السفالية قبل سنة ١٤٧٥ م أي ٢٢ عاماً قبل أن يتوجه فاسكو داغاما الى الهند عام ١٤٩٧ . وعليه لا يسع ابن ماجد أن يضمن سفاليته أحداثاً وقعت بعد ٢٢ سنة من انتهائه من نظمها ، أو إذا تسامحنا الى أقصى حد ، وقعت بعد ثماني سنوات من كتابتها .

كذلك يستبعد طعن ابن ماجد في السن أو حتى وفاته ، حصول اي اتصال بينه وبين البرتغاليين ، او اطلاعه على رحلاتهم أو أخبارهم . فقد كان منزوياً في منزله في مكة أو صعدة أو جلفار منذ عام ٨٩٥ هـ/ ١٤٨٩ م ، ولم يعد يركب البحر . فكيف يلتقي بفاسكو داغاما ؟ ثم كيف يلتقي بفاسكو داغاما في ميناء ملندة ذاته ، ويتعاطى السكر معه ، وهو الرجل الدين التقي ، وهو- اي ابن ماجد ، لم يدخل مرفأ ملندة في حياته ، ولم يشر اليه إلا مرة واحدة في جميع تصانيفه ، ولم يتحدث عنه إلا سماعاً حسبما روي له . كما جاء في السفالية إياها وحدها :

وبعـدهَـا أولاً تـرى ملنـدي وقيـلَ رأسُـهُ طـويـلاً يُـدي[٢]

(١) مختصر كتاب الفوائد ، ص ٢٨ وص ١٦٧ .
(٢) البيت ٢٨١ من السفالية النظيفة .

أما الحجة الثالثة فصارت واضحة ، لأن ابن ماجد كان قد أنهى حياته الملاحية عندما ظهر البرتغاليون في المحيط الهندي . ثم إن الجزيرة العربية لم تسمع بهؤلاء الفرنج البرتغاليين قبل سنة ٩٢٠ هـ/١٥١٤ م ، أي بعد وفاة أحمد بن ماجد . فكيف يتسنى لهذا الرجل أن يعرف أخبارهم ويرويها ، وهو مقيم في جزيرة العرب التي لا تعرف شيئاً عنهم ، عندما كان فيها على قيد الحياة؟[1] .

ويحسم عدد أبيات السفالية الموضوع حسماً باتاً ، لأن ابن ماجد حدده تحديداً دقيقاً في البيت ١٧ من الورقة ٩٦ و ، من مخطوطة لينغراد ، وجعله ١٠٠٧ . فكل الأبيات الزائدة والحالة هذه أي ١٠٦ ، منحولة ومدسوسة في هذه الأرجوزة . ويتأيد أخيراً الانتحال باختلال تسلسل البحث والسياق اللغوي .

لذلك كله ، يحتم المنطق السليم تعيين الأبيات الدخيلة ، وحذفها ، وهذا ما حصل .

ويضم الباب الثاني تحليل السفالية وتقسيمها الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . على غرار ما فعل ابن ماجد في الحاوية ، أعظم وأشمل تآليفه . وتعرف المقدمة بالسفالية وبمؤلفها وناظمها . ويتحدث الفصل الأول عن الخطوط البحرية ، عبر بحر العرب وعن انتهائها الى السيف الطويل . ويشرح الفصل الثاني الملاحة من السيف الطويل الى السواحل مروراً بالهيرابين الأول والثاني . ويوضح الفصل الثالث الملاحة بموازاة بر الزنج والأخوار . ويعرض الفصل الرابع الملاحة على الساحل وفي الباحة مقابل سفالة . ويبحث الفصل الخامس والأخير الملاحة بين ساحل افريقية الشرقية وبين جزيرة القمر وسائر الجزائر مقابله . ثم تقوم الخاتمة علم السفالية وتحدد عدد أبياتها .

ويشتمل الباب الثالث على فهارس ، صنفت كواكب الملاحة (اتجاه ، هداية ، كواكب درجة العرض ، ابدال الخ) . وعددت الأماكن الجغرافية ، وشرحت المصطلحات الملاحية . ونحن قمنا بهذا العمل لاستدراك ما وقع من أخطاء في الدراسات السابقة .

---

(١) ابن المطهّر ، «روح الروح» ، ورقة ٦ ظ ، و ١١ ظ .

رابعاً ـ ترجمة كتاب الفوائد الى اللغة الانكليزية

أخيراً ، في عام ١٩٧١ ، ترجم جيرالد ر . تيبتز ، المستشرق الانكليزي ، كتاب فوائد أحمد بن ماجد ، ووضع لعمله العنوان الطويل التالي : «الملاحة العربية في المحيط الهندي قبل مجيء البرتغاليين ، وهو ترجمة كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ، لأحمد بن ماجد النجدي ، مصحوبة بمدخل عن تاريخ الملاحة العربية . وبحواشي عن التقنيات الملاحية وعن طوبوغرافية المحيط الهندي ، وبمعجم مصطلحات الملاحة» .

وقسم تيبتز نصه الانكليزي الى أربعة أقسام وملحقين ، ومدخل عام :

القسم الأول : الملاحون وتصانيفهم : ص ١ لى ص ٦٥ .

القسم الثاني : كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد لأحمد بن ماجد (أي الترجمة) : من ص ٦٥ الى ص ٢٦٩ .

القسم الثالث : النظرية الملاحية : من ص ٢٦٩ الى ٣٩٣ .

القسم الرابع : طوبوغرافية النصوص الملاحية : من ص ٣٩٣ الى ص ٥٠٥ .

الملحق الأول : نهج مقارنة مخطوطتي باريس والظاهرية : من ص ٥٠٥ الى ص ٥١٠ .

الملحق الثاني : ارقام وقياسات بعض مجموعات الكواكب الغالب استعمالها : من ص ٥١٠ الى ص ٥١٣

معجم الألفاظ الملاحية : من ص ٥١٣ الى ص ٥٤٦ .

الفهارس : فهرس أسماء الكواكب : من ص ٥٤٦ الى ص ٥٥٢ .

فهرس أسماء الأماكن باللغة العربية : من ص ٥٥٢ الى ص ٥٦٩ .

فهرس أسماءالأماكن مكتوبة بالأحرف الانكليزية : من ص ٥٧٠ الى ص ٥٩٥ .

فهرس المصطلحات التقنية مكتوبة بالأحرف الانكليزية : ٥٩٦ ـ ٥٩٩ .

فهرس عام : من ص ٦٦٠ الى ص ٦١٤ .

وسنكتفي الآن بالكلام عن مدخل تيبتز العام ، لأنه يستعرض فيه اكتشاف كتاب «المحيط» ، والنصوص الملاحية العربية ، ونهجه في دراستها ، بل في دراسة كتاب الفوائد ، على أن نحلل عمله ونقوّمه في القسم الثالث : دراسة الأوروبيين تصانيف احمد بن ماجد .

يقع هذا المدخل في ثماني صفحات مرقمة بالأرقام الرومانية من ١١ إلى ١٨ . ويتضمن عجالة عن كتاب «المحيط» التركي ، وتعداد مخطوطات النصوص الملاحية العربية ، وتقويم كتاب الفوائد ، ويستهله تيبتز بتوقعه إلمام العرب بشيء من علم البحر ، لا وجود مصنفات نظرية ملاحية عندهم .

أولاً - توقع تيبتز وجود علم بحر عربي محدود ، لا علم ملاحي نظري

وينطلق من مسلمة صحيحة اعتبرها حتمية ، تقضي بوجوب وجود نوع من علم الملاحة عند البحارة الذين اعتادوا أن يعبروا المحيط الهندي في القرون الوسطى ، في رحلات تستغرق الواحدة منها عدة أسابيع يغيب البر في أثنائها عن أنظارهم . ويخلص الى القول بأن مؤلفين عرباً كلاسيكيين ، كالمسعودي ، ذكروا نبذاً من هذا العلم ، وأن بعض التآليف العربية ، مثل عجائب الهند ، أعطت لمحة سريعة عنه . كذلك يشير البرتغاليون ، ممن سافروا إلى الهند في وقت مبكر ، في مصنفاتهم ، إلى بعض جوانب هذا العلم وإلى خرائطه الدقيقة وآلاته . **«لكن لم يدر في خلد أحد ، والكلام لتيبتز على الدوام ، أن هؤلاء الملاحين كتبوا مصنفات نظرية تناولت الملاحة ، أو شكلت مرشدات بحرية شبيهة بدفاتر الطريق (روتيرس) الأوروبية»** .

ونود أن نتوقف قليلاً عند هذه الفكرة . فنحن لا ندري لماذا يستغرب تيبتز إبداع العرب في علم الملاحة ، وهم المبرزون في سائر العلوم ، وفيه ، منذ أقدم العصور وعندما كانت أوربة بأجمعها غارقة في دياميس الجهل في القرون الوسطى . في جميع الأحوال ، هذه فكرة خاطئة ، وعكسها هو الصحيح ، ولا يقاس في العصر الوسيط ما عند العرب على ما عند أوربة ، بل ما عند أوربة على ما عند العرب . فنصوص أحمد بن ماجد الأساسية مؤلفة قبل النصوص الملاحية

الأوربية بقرن كامل : فهي الأصل والأعمال الأوربية فرع . وقد أرسل فاسكو داغاما نسخة منها إلى الملك مانوييل منذ رحلته الأولى (١٤٩٧) . وتشبه «كتب البحر» الانكليزية العائدة إلى القرن السادس عشر ، مبنى ومعنى ، حاوية ابن ماجد وفوائده ، لاسيما «دليل البحر» The Rutter of the Sea (١٥٢٨) لروبرت كوبلند ، و«فن الملاحة» La Arte de Navegar لمرتين كورتس الاسباني (١٥٥١)، الذي نقله إلى الانكليزية سنة ١٥٦١ ، رتشارد ايدن بعنوان : The Arte of Nauigation... Written in the Spanish tongue by Martin Curtes (London, 1561) و«قواعد البحر» لوليام بورن (١٥٧٤) A Regiment or Rule for the Sea ونرى ان جميع هذه الكتب مستوحاة من ابن ماجد عبر اللغتين الاسبانية أو البرتغالية أو كلتيهما . مهما يكن ، يبدو أن تيبتز لم يقرأ هذه المؤلفات الانكليزية ، وليس لديه فكرة عنها .

ثانياً - اكتشاف كتاب «المحيط» التركي

ويوجز تيبتز خبر عثور البارون جوزيف فون هامر - بورغستال على ذكر «عمل بحري» لسيدي علي جلبي (يقصد عليا بن الحسين) في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة ، ويتحدث عن اطلاع البارون على وجود مخطوطة له في المكتبة الوطنية (متحف بوربونكو) في مدينة نابولي ، وعن شرائه نسخة منه في القسطنطينية سنة ١٨٣٢ . ويشير إشارة عابرة إلى الترجمة المنشورة في مجلة الجمعية الآسيوية في بمباي (١٨٣٦)، وإلى أبحاث برنسب وكونغريف ولويجي بونيلي وبتنر وتوماشيك .

ولابد من وقفة ثانية هنا لتصحيح زلتين وقع فيهما تيبتز ، ولتلافي نقص معلومات لا ندري كيف فاته .

١ - فالزلة الأولى قبوله خبر ذكر «المحيط» في كشف الظنون (ص ١١ روماني ، س ١٢-١٤ من كتابه)، مع أن بونيلي صحح هذا الخطأ في شهر تشرين الأول سنة ١٨٩٤ ، وأيّد غبرييل فرّان تصحيحه سنة ١٩٢٨ ، وقالا إن حاجي

خليفة ذكر «المحيط» لا في كشف الظنون ، بل في كتابه المسمى «تحفة الكبار في أسفار البحار»، ورقة ٢٨ ظهر . ولو شاء تيبتز أن يتحقق من الخبر ، لما كان عليه إلا أن يرجع إلى كشف الظنون الذي درجه في ثبت مصادره (ص ٢١ روماني) .

٢ ـ الزلة الثانية قول تيبتز حرفياً (ص ١٢ روماني ، س ٣٠ـ٣٧ من كتابه) : «إن سيدي جلبي (يقصد علياً بن الحسين) سمى بدقة مصادر «المحيط» العربية في مقدمة كتابه ، وبلغت عشرة مصنفات عدّاً ، الثلاثة الأولى منها قديمة ، والسبعة الباقية حديثة (معاصرة له تقريباً على وجه التقدير) . وهذه المصادر هي ، حسب سيدي جلبي ، (١) عمل ليث بن كهلان ، (٢) عمل سهل بن أبان ، (٣) عمل محمد بن شاذان ، (٤) عمل أحمد بن ماجد الجلفاري من عمان ، وستة أعمال لسليمان بن أحمد من الشحر ، أسماؤها (٥) الفوائد ، (٦) الحاوية ، (٧) تحفة الفحول ، (٨) العمدة ، (٩) المنهاج ، (١٠) قلادة الشموس» . ولا يسع المرء إلا أن يتساءل من أين جاء تيبتز بهذا النص . فلو عاد إلى بونيلي الذي جاء في مراجعه (ص ١٩ روماني)، أو كان دقيقاً في نقله عن غبرييل فران[١]، لتحاشى الوقوع في مجموعة من الأخطاء الجسام الواردة في فقرته السابقة . ولو ربط بين ما ضمّنه هذه الفقرة (ثلاثة رهمانجات لليوث الثلاثة) وبين ما ترجمه في ص ٧١ (س ٥ـ١٨) من كتابه (رهمانج واحد) لأدرك أن أداءه لأقوال علي بن الحسين لا يستقيم ، بل خاطىء جملة وتفصيلاً ، خاصة أنه ينسب عملين من أعمال ابن ماجد إلى سليمان المهري . وتحسم القضية حسماً باتاً ترجمة مقدمة المحيط الصحيحة عن مخطوطة ريفان الأصلية (رقم ١٦٣٤).

---

(١) المرشدات الملاحية والراهنامجات البحرية العربية والبرتغالية ، م٣ ، المدخل الى الفلك الملاحي العربي ، ص ١٩١ ـ ١٩٨ ، وص ٢٥٠ ـ ٢٥٥ .

مقدمة محيط «علي بن الحسين»
(الورقة ٣)

«في أثناء إقامتي خمسة أشهر في البصرة سنة ٩٦١ هـ/ ١٥٥٤م، التي امتدت حتى هبوب الرياح الموسمية، وفي أثناء سفري في البحر من البصرة إلى الهند الذي استغرق ثلاثة أشهر من أول شهر شعبان إلى آخر شهر شوال (٢ تموز ـ ٢٧ أيلول ١٥٥٤)، لم افوّت لحظة واحدة خلال هذه الأشهر الثمانية، لا في النهار ولا في الليل، دون أن أتباحث في شؤون الملاحة، أنا ومعالمة السواحل وربابنة البلاد الذين كانوا على السفينة. فعرفت أن المعالمة القدامى في فارس وهرمز وهندوستان، ليثاً بن كهلان ومحمداً بن شاذان وسهلاً بن أبان، عملوا على طريق الهند في الماضي. وجمعت أيضاً تآليف المعلمين المتأخرين أحمد بن ماجد من جلفار في ولاية عمان وسليمان بن أحمد من الشحر من ديار الجرز: الفوائد، والحاوية، وتحفة الفحول، والعمدة، والمنهاج وقلادة الشموس. وتعمقت في دراسة كل منها. ففي الواقع، يشكل غاية الإشكال السير في بحر الهند بلا هذه الوثائق، ويحتاج إليهما المعالمة والرؤساء والبحارة، ويلزمهم دوماً معلم لأنهم يجهلون المعارف الأساسية. لذلك رأيت واجباً لازباً علي أن أنتخب أحسن مافيها، وأن أترجمه إلى اللغة التركية في كتاب لطيف الترتيب، يستغني الذين يرجعون إليه عن المعلم وعن استشارته. ولتحقيق هذه الغاية، توكلت على الله وعلى أنبيائه العظام وأوليائه الكرام، وبدأت الترجمة مباشرة بنشاط، وألحقت بها شروحاً مفيدة، وأنهيتها في زمن يسير بعناية الملك القدير. وسميت كتابي «المحيط» لأنه يحوي جميع الأمور الغريبة في الملاحة».

٣ ـ أخيراً يؤخذ على تيبتز إغفاله، في خلاصته عن المحيط، الإشارة إلى المخطوطة رقم ١٨٤ الموجودة في المكتبة الوطنية في مدينة فيينة، وإلى نسخة ريفان رقم ١٦٣٤ المكتوبة بخط علي بن الحسين نفسه.

هنده دوشلوب اکرچه ذکر اولنسه صدد دن چقلور
تفصیلی کتاب مرآت الممالکده ذکر اولنمشدر کاه بنا بو
محلده تکرار ایراد اولنموب بیاننه قلمده قادیله اولنسه موسم
زماننه دك بتون آی بصره ده ناچار توقف اولنوب وبغداد
بصره دن دیار هنده واصل اولنمه اول شهباننده غایة
شواله دك تمام اوج آی اولوب بو بالجمله ذکر اولنان سکز
آیده کمالده اولان معلملر ورنا ملرایله روز وشب علم
دریایه متعلق مباحثه دن بر آن خالی اولمیوب فارسی و
عربی وهندوستان معلملرینك قدماسندن لث ی
کهلان ومحمد بن شادان وسهل بن آبان مقدما دریای
هنده ده نه طریق ایله عمل اتدکلری معلوم ایدینوب و
متاخرلردن ولایت عمانده معلم احمد بن ماجد
ودیار جرزده شهر نام شهیردن سلمان بن احمد تألیف
اتدکلری کتابلردن فوائد وحاویه وتحفة الفحول وعمده
ومنهاج وقلادة الشموس نام کتابلر جمع اولنوب وهر

بری تتبع قلنوب فی الواقع دریای هندده انلرسز عسن
غایت مشکل اولوب اما قپود انلر وریسلر وکشتی بانلر
اول معلملردن مجرد ار اولمیوب دائما معلمه محتاج اولوب
کندولرك وقوفلری اولمادوغی اجلدن بو فقیره واجب
ولازم اولدیکه ذکر اولنان کتابلر انتخابا اولنوب
وترجمه قلنوب ترکی دلده بر لطیف کتاب ترتیب اولنه
که هر زمانده معلمه احتیاج اولمیوب ذکر اولنان کتابه
مراجعه ایدنلر مرآده واصل اولوب معلمدن مستغنی الحال
اولنوب شایله حضرت مقلب [illegible] عنایتنه توکل وانبیای
عظام واولیای کرامك همتلرینه توسل ایدوب
[illegible] زمان ودلدن ترجمه یه مباشرة قلنوب
[illegible] الحاقی اولنوب زمان یسیر ده بعنایة
الملك القدیر اختتام بولوب وذکر اولنان کتاب علم
دریانك جمیع امور غریبه سن احاطه قلنمسی اچون محیط
[illegible] ایدن احوال [illegible] واقع

الورقة ٣ من مخطوطة المحيط (أريفان)

ثالثاً ـ مخطوطات النصوص الملاحية العربية المترجمة في كتاب المحيط

ويصر تيبتز في بدء حديثه عن مقال غودفروادي مومبين عن مصادر المحيط العربية ، على خطئه ، ويكرر أن علياً بن الحسين عدّد عشرة مراجع عربية لكتابه . ويشير إلى نشر غبرييل فران مخطوطتي باريس رقم ٢٢٩٢ (ابن ماجد) و٢٥٥٩ (ابن ماجد والمهري) مصورتين بلا تحقيق في المجلدين ١و٢ مما سماه «المرشدات الملاحية والرهنامجات العربية والبرتغالية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وإلى تدبيجه مقالات عن بعض هذه النصوص البحرية العربية ، وطبعه مجلداً ثالثاً بعنوان «المدخل إلى الفلك الملاحي العربي»، جمع أبحاثاً بحرية لبرنسب ، وكونغريف ، ودي سوسور ، وفرّان نفسه . ثم يذكر مقال الكرمي عن مخطوطة الظاهرية بدمشق ، وترجمة شوموفسكي مخطوطة لينغراد ونشرها بالروسية . وينهي كلامه المكثّف إلى أقصى حد بأحكام قيمية تناولت أعمال من سبقوه ، نختار منها على سبيل المثال :

١ ـ قوله حرفياً : «إن فران يلفت النظر إلى أن كتاب سيدي جلبي كان في الواقع ترجمة سيئة جداً للنصوص العربية (ص ١٥ روماني ، س ١ـ١٤ من كتابه)»، في حين جاء حرفياً على لسان فران : «ترجم سيدي علي حرفياً المصادر العربية ، ولم يزد عليها سوى إضافات تافهة أو لا فائدة منها ، أو يؤسف لها (المدخل إلى الفلك الملاحي العربي ، ص ٢٥٥ ، س ٥ـ٨)». وعلّق فران في مكان آخر (ص ١١٦ ، س ٢٥ـ٢٧ من المرجع ذاته) على الحاشية ٢ من ص ١١٥ لليوبولد دي سوسور بقوله بين قوسين معقوفتين : «ليست جميع المعلومات الملاحية والفلكية الموجودة في المحيط سوى ترجمة تركية ، ضعيفة أحياناً ، للنصوص الملاحية العربية موضوع الطبعة الحالية» .

٢ ـ وقوله حرفياً أيضاً : لم يضف مدخل شوموفسكي في كتاب قصائد لينغراد إلا شيئاً قليلاً جداً إلى معارفنا الملاحية والطوبغرافية على حد سواء» (ص ١٥ روماني ، س ٢٩ـ٣٠). والشطط صارخ في هذا الحكم ، لأن السفالية عرّفتنا بملاحة العرب في بحر الهند مقابل إفريقية الشرقية وجزرها ، والملعقية بالملاحة بين كاليكوت وجزر إندونيسة .

٣ ـ واتهامه دي سوسور بالتقصير في بحثه عن الكواكب المستعملة لتحديد درجة العرض (ص ١٥، روماني ، س ٣٦ ـ ص ١٦ روماني ، س ١ـ٥). وهذا قول باطل ، سوف نفصّله في بحث الهداية بالنجوم .

رابعاً ـ نهج تيبتز في ترجمة كتاب الفوائد وعرض الأبحاث التابعة لها

وهكذا طعن تيبتز في أعمال الذين سبقوه ، وتوخى ، فيما يبدو ، أن يعطي قارئه انطباعاً بأن دراسته تسدّ فراغاً فكرياً ملاحياً لم يستطع أحد أن يملأه قبله . فهو يعتبر أن كتاب فوائد ابن ماجد مصنف أساسي لدراسة فنه الملاحي ، بل لمعرفة كل علم الملاحة في المحيط الهندي . بالتالي ، يتضح بجلاء أن ما تدعو الحاجة إليه الآن ، قبل إجراء أي بحث عن ملاحة هذا المحيط ، يتمثل في ترجمة هذا النص الهام إلى أقصى حد ، والتعليق عليه بحواشي تامة تشرحه . ولابد أيضاً أن تتضمن الإيضاحات عرض النظرية المبني عليها هذا النص والنصوص الأخرى من وجهة نظر مصنفيها أنفسهم ، والتعريف بالكواكب التي يقيس ارتفاعها الملاحون ، ومحاولة تبيان كيفية استعمالها وسببه ، واستعراض الوسائل الأخرى التي لجأ إليها البحارة ليحافظوا على صحة مجراهم ويتحاشوا ما يعترضهم في المحيط من أخطار متنوعة ، وإعطاء صورة عن شكل سواحل المحيط الهندي الطوبغرافي . . هذا ما سعى تيبتز إلى إنجازه . وهذا يعني في ذهنه وعلى حد تعبيره :

١ ـ أن يمهد لترجمته ببحث عن الملاحين ومصنفاتهم أي القسم الأول من كتابه (ص ١ـ٦٥)

٢ ـ وأن يثبت بعد ذلك ترجمته الفوائد في القسم الثاني من كتابه (ص ٦٦ـ٢٦٨)

٣ ـ وأن يشرح النظرية الملاحية العربية اعتماداً على كافة النصوص : (ص ١٦ روماني ، س ٣٦) في القسم الثالث من، كتابه (ص ٢٦٩ـ٣٩٣).

٤ ـ وأن يخص طوبغرافية النصوص الملاحية بالقسم الرابع من كتابه (٣٩٣ـ٥٠٢) .

وتسترعي الانتباه ناحيتان خطيرتان في هذه الخطوط العريضة :

١ ـ الناحية الأولى التناقض الصارخ بين ما أكده تيبتز من أن كتاب الفوائد يحتوي فن ابن ماجد الملاحي بل علم ملاحة المحيط الهندي بأجمعه ، وبين عجزه عن استخلاص مبادىء الملاحة منه وحده واضطراره إلى الاستعانة بكافة النصوص التي فهمها لا التي توفرت لديه .

٢ ـ الناحية الثانية ابتعاده ، في معظم ما كتب ، عن كتاب الفوائد وعن ابن ماجد عامة وتركيزه على سليمان المهري .

أما دراسته الفعلية بالتفصيل فسيأتي تحليلها فيما بعد في القسم الثالث .

القسم الثالث

دراسة الأوروبيين تصانيف أحمد بن ماجد



تمهيد

أشرنا مراراً إلى أن العالم تناسى أحمد بن ماجد مدة طويلة امتدت من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين . وهذه الظاهرة غريبة ومستغربة بحد ذاتها ، يتردد العقل في قبولها أو يأباه . فلا يمكن أن يطوي النسيان بين ليلة وضحاها ، رجلاً مثله ، بلغ شهرة فريدة في حياته عند العرب والعجم على حد سواء ، وتنقل بين سواحل بحر الهند وبين سواحل خلجانه الفرعية كالخليج العربي والبحر الأحمر ، طيلة نصف قرن ونيف ، وتناقلت معالمة البحار الجنوبية ، على اختلاف جنسياتها ، مبادىء ملاحته المعروضة في تصانيف شعرية ونثرية ، تحدث عن نسخها واستعملها أكثر من ربان . بالتالي ، لابد أن شيئاً ما قد حدث أغنى العرب والأوروبيين عن الرجوع إلى نسخ تآليف أحمد بن ماجد ، أو قلل من الاعتماد عليها . وأظن أن عاملاً مزدوجاً أدى إلى هذا الإهمال الظاهري ، وتمثل أولاً في صياغة معالمة عرب لها بلغة أقرب متناولاً إلى أفهام الربابنة ، وثانياً ، في وصول نسخها إلى أوربة ونقلها إلى لغات هذه القارة ، لاسيما البرتغالية ثم سائر اللغات الأساسية .

فسليمان المهري ، أحد المعالمة المشهورين الذين نثروا مصنفات أحمد بن ماجد . وأعتقد أن الربان العربي عمر الخبير في ملاحة الخليج العربي ، معلم آخر اعتمدت أعماله ، غير المكتشفة حتى الآن ، على علم ابن أبي الركايب .

كذلك ثبت أن فاسكو داغاما سطا عام ١٤٩٧ على إحدى السفن العربية ، واستولى على مخطوطات ملاحية عربية ، بعث بها إلى الملك مانويل . وهذه المخطوطات نسخة من تآليف أحمد بن ماجد ، لأنها الوحيدة التي كانت متوفرة

ومتداولة في القرن الخامس عشر . وقد تبين لنا من المقارنة بين «قواعد البحر» المنشور سنة ١٥٧٤ لوليام بورن وبين أصول الملاحة عند ابن ماجد ، أن التماثل شبه تام ، بينهما في الترتيب والأفكار . ويستحيل أن يكون هذا الشبه وليد الصدفة لأن وليام بورن ألف كتابه بعد مرور حوالي ٧٠ سنة فقط على وفاة ابن ماجد ، ونقله عن «رهمانج البحر» (١٥٢٨) الذي ترجمه كوبلند عن الفرنسية ، وعن «فن الملاحة» (١٥٥١) لمرتين كورتيس الاسباني الذي ترجمه ريتشارد إيدن . وتستقي جميع هذه المرشدات الأوربية الانكليزية والفرنسية والاسبانية أفكارها من لشبونة التي تلقّت المعلومات تباعاً من بحر الهند ، لاسيما المخطوطات العربية باعتراف فاسكو داغاما نفسه . ويتطلب هذا البحث الطويل العودة إليه في كتاب مستقل . وما يهمنا الآن هو استعراض دراسات القرن العشرين الفرنسية ، والروسية ، والبرتغالية ، والإنكليزية . وسوف نتناولها على التوالي .

الفصل الأول

المستشرقون الفرنسيون وأعمال أحمد بن ماجد

لو أردنا أن نحصي الفرنسيين الذين تحدثوا عن أحمد بن ماجد من قريب أو من بعيد ، وتناولوا نصوصه أو بعضها بالدراسة أو بالتقويم ، لحصلنا على باحثين كثيرين ، اشتهر منهم عالمان عظيمان ، نعني المستشرقين الكبيرين غبرييل فرّان وليوبولد دي سوسور ، في النصف الأول من القرن العشرين . ويحاول فرنسي آخر ، يدعى غروسيه غرانج ، ما يزال على قيد الحياة ، أن يقوم بأبحاث تفصيلية طريفة عن الملاحة العربية . ونظن أن التعريف بهؤلاء الثلاثة وبأعمالهم كاف في الوقت الحاضر لإعطاء فكرة شبه كاملة عن إسهام الفرنسيين بدراسة ابن ماجد .

أولاً ـ هنري غروسيه غرانج

آ ـ منشوراته

كان هذا الباحث قبطاناً في المحيط الهندي ، ثم تقاعد . وقد توسمنا فيه الخير قبل سنة ١٩٧١ اعتماداً على مثابرته على دراسة النصوص الملاحية العربية وطرحه علينا أسئلة رزينة وإثارته استفهامات صائبة ، وعلى أساس خبرته الطويلة في الأسفار البحرية وإقدامه على زيارة سواحل بحر العرب في مراكب معاصرة ،

فنشرنا له ، باللغة الفرنسية ، ضمن أحد كتبنا عن العلوم البحرية عن العرب[1] بحثاً عن الملاحة العربية . نعني مقال :

١ ـ «العلوم الملاحية العربية». وكان قد نشر من قبل :

٢ ـ «الملاحة العربية في الماضي : نظرات جديدة عن طرقها المطبقة في بحر الهند» في مجلة الملاحة الفرنسية ، باريس ، ١٩٦٦ .

واستمر نشاطه على مدى السبعينات والثمانينات ، فطبع الأبحاث التالية حسب تسلسلها الزمني :

٣ ـ المؤلفات الملاحية العربية ، مجلة ارابيكا ، مجلد ١٩ ، ليدن ، ١٩٧٢ .

٤ ـ «خريطة ملاحية عربية من القرون الوسطى»، مجلة الملاحة الفرنسية ، رقم ٨٧، باريس ١٩٧٤ .

٥ ـ كيف يبحر العرب اليوم في المحيط الهندي ، إضافات وتصحيحات ، مجلة ارابيكا ، مجلد ٢٢، ليدن ، ١٩٧٥

٦ ـ الملاحون العرب في القرون الوسطى ، بعض النجوم المرصودة في بحر الهند ، مجلة ارابيكا ، مجلد ٢٤ ، الكراس الأول ، ١٩٧٧

٧ ـ المخطوطات العربية القديمة (بحر الهند) ، آراء حول بعض المصطلحات الخاصة ، ارابيكا ، المجلد ٢٦ ، الكراس الأول ، ١٩٧٩ .

٨ ـ أخيراً يطبع حالياً «معجم الملاحة العربية في بحر الهند» ، وكان يتوقع أن يطرح في الأسواق في خريف سنة ١٩٨٨ ، ما لم يحصل تأخير غير مقصود . وقد حصل التأخير وارجىء النشر والطبع إلى عام ١٩٨٩ .

ب ـ نهجه في البحث واحكامه على اعمال احمد بن ماجد

يعتمد غروسيه غرانج على النصوص الملاحية العائدة الى ابن ماجد والمهري بآن واحد . ويستخلص منها أفكاراً متفرقة ، لا يحاول البتة ربطها بعضها

---

(١) ابراهيم خوري ، العلوم البحرية عند العرب ، تحقيق وتحليل ، القسم الأول ، مصنفات سليمان بن احمد بن سليمان المهري ، الجزء الثالث ، ص٨٨٥ ـ ٩٧٣ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١ .

ببعض ، ليخرج منها بعلم ملاحي متماسك . فلا يوحي نهجه حتى الآن ، وبعد مرور حوالي عشرين عاماً على بدئه بدراسة النصوص البحرية العربية ، انه يستهدف الانتقال من الخاص الى العام وإعطاء قارئه صورة إجمالية عن الملاحية العربية .

ويطيب له ، فيما يبدو ، أن يتناول نقاطاً تفصيلية ، ويشرحها ، ويدعم إيضاحاته لها باستشهادات تحيل إلى تصانيف المعلمين العربيين الكبيرين . وتستغرب في بعض مقالاته عناوينها التي لا تدلّ على مضمونها . فمقاله الموسوم «كيف يبحر العرب اليوم في المحيط الهندي ، إضافات وتصحيحات» ينصبّ على جمع الألفاظ الملاحية العربية المعاصرة . كذلك ، يشرح مقاله «المخطوطات العربية القديمة (بحر الهند) ، آراء حول بعض المصطلحات الخاصة» ألفاظاً تقنية واردة في المخطوطات العربية . وعلى نحو مماثل ، تتطرق مقالته «الملاحون العرب في القرون الوسطى ، بعض النجوم المرصودة في بحر الهند» الى تحديد التسميات العلمية الحديثة المقابلة لبعض الكواكب الملاحية .

وإذا صدف واختار عنواناً عاماً لتحاليله ، كما في «الملاحة العربية في الماضي» او في «العلوم الملاحية العربية»، فهو يحولها الى فقرات متفككة ، لا صلة بينها ولا يوحدها تسلسل ظاهري أو ضمني .

ويشعر غروسيه غرانج قارئه بأنه لا يستلطف أحمد بن ماجد ، وينتهز الفرص او يخلقها خلقاً ، ليطعن به أو ليعلق تعليقات لاذعة على بعض أقواله . من ذلك ، اعتباره سنة ١٩٧١ ، ابن ماجد ملاحاً «متعلماً على نفسه»[1] متناسياً انه تدرب عند والده ماجد ربان البرين . لكنه عاد الى تقديره عندما أخذ يفهمه بعض الشيء ، وقال عنه سنة ١٩٧٧ : «يجب علي ان اشير الى واقع له أهميته . فقد كنت ، لبضع سنوات خلت ، اعد قياسات المهري أصح من قياسات ابن

---

(١) ابراهيم خوري ، العلوم البحرية عند العرب ، تحليل وتحقيق ، القسم الأول مصنفات سليمان بن احمد بن سليمان المهري ، الجزء الثالث ، ص٢٩٦ ، س٢٣ .

ماجد ، نظراً لوضوح الأول إذا ما قورن بادعاء الثاني المشوش . فقد غرتني الظواهر»[1] . وأثنى عليه في مكان آخر ، وقال : «على ضوء ما عبّرنا عنه ببضع كلمات ، نصيب في التحليل الصحيح اذا قلنا إن المهري ملاح عالم في المناسبات . اما ابن ماجد فمجرب ومتحمس ، تعلل خصاله الفريدة شهرته الثابتة على الدوام»[2] . مع ذلك ثابر غروسيه غرانج يجرّح بابن ماجد في المقال ذاته الذي اعترف فيه بعبقريته ، وسخر منه ، وقال : «إلا أن ابن ماجد الطيب وضع ذنب الدجاجة في صورة الشلياق»[3] . واعتبره «بارعاً جداً في إرباك قارئه حتى لو كان أحد معاصريه ، حتى ليظن المرء أن لديه غايات خفية»[4] .

جـ - ميزته ومحذورات تحاليله

لاشك أن غروسيه غرانج ضليع في علم البحر الحديث . وهذه ميزته الأولى والكبرى التي تؤهله لدراسة النصوص البحرية العربية العائدة إلى القرون الوسطى ، شريطة أن يبقيها في نطاقها الزمني ويبتعد عن تطبيق مبادىء الملاحة المعاصرة عليها .

وله ميزة ثانية ، نسميها منهجية إذا جاز لنا هذا التعبير : فهو لا يقوّم أفكار أحمد بن ماجد على أساس كتاب الفوائد وحده ، بل يحاول أن يستشهد بتصانيفه الشعرية أيضاً .

---

(١) الملاحون العرب في القرون الوسطى ، بعض النجوم المرصودة في بحر الهند ، ص٤٦ س١٩ - ٢٣ .

(٢) المرجع ذاته ، ص٥٧ ، س١٩ - ٢٣ .

(٣) المرجع ذاته ، ص٥٢ ، س٧ - ٨ . والخطأ المشار اليه وارد في كتاب الفوائد ، لكنه من الناسخ .

(٤) المرجع ذاته ، ص٥٤ ، س١٦ - ١٨ .

مقابل ذلك ، يفوته إدراك بعض التراكيب اللغوية وفهم بعض معاني الألفاظ ، فيستخلص من النص عكس المقصود أحياناً . وهذه ناحية خطيرة في متون الكتب الأدبية العادية ، فما بالنا في متون الكتب العلمية العويصة أمثال تصانيف أحمد بن ماجد . وهو يحيل إلى الكتب الملاحية النثرية التي حققناها ، لكنه لا يرجع إلى الشعر الملاحي الذي قوّمناه ، مما يدل انه ليس في متناول يده ، وعلى انه يرى نفسه مضطراً الى الرجوع إلى أبيات أو جمل غير قويمة أو مدسوسة أو منحولة ، لا يتصور أنها تضلله أحياناً أو يبني عليها أحكاماً خاطئة . وهذا ما حصل له في بعض ابحاثه . من ذلك مثلاً استبداله «غامز» بـ«غامر» ، رغم اتفاق مخطوطات الظاهرية وباريس ولينغراد على «غامز» ، ورغم أداء هذا اللفظ المعنى الصحيح المقصود أي الكابس الشراع[1]. من ذلك أيضاً ، جعله فعل «خاير» يعني يميل ٩٠ درجة عن المجرى[2] في حين يقصد به فاضل بين عدة مجاري ، وأختار أحسنها . وقس على هذه التخريجات .

وأخطر من هذا المنحى ظن غروسيه غرانج أن بوسعه فهم ابن ماجد من كتابات المهري النثرية السهلة الفهم . وهذا خطأ جسيم ، لأن ابن ماجد أعمق فكراً وأوسع آفاقاً وأكثر خبرة وأسفاراً وأقدر على صياغة مبادئه بأسلوب خاص به لابد من دراسته بمعزل عن أي مؤلف آخر ، علماً أن المهري نقل كثيراً ـ باعترافه أحياناً ـ عن ابن ماجد .

مهما يكن ، لا تكفي المقالات المحدودة العدد التي كتبها غروسيه غرانج لتقويم جهوده ، ولابد من انتظار صدور معجمه لمعرفة مدى إسهامه في إيضاح بعض نواحي الملاحة العربية .

---

(١) المخطوطة الباريسية : ورقة ٨٢ وجه ، س١٢ : بالشمال الغامز . الظاهرية : ورقة ٩٣ وجه : س١٠ : بالشمال الغامز . مخطوطة لينغراد : ورقة ٩٥ ظهر ، س٤٥ : بالازيب الغامز (السفالية المطبوعة : البيت ٣٨١) .

انظر ايضا «المخطوطات الملاحية القديمة» ص٩٥ بأجمعها .

(٢) «المخطوطات الملاحية القديمة» ص٩٧ ، فقرة٧ .

ثانياً ـ غبرييل فرّان

غبرييل فرّان علم من أعلام الاستشراق ، وعالم ألمّ باللغات والآداب والعلوم الشرقية لاسيما بعض لغات الشرق الأقصى واللغة العربية ، واكتسب شهرة واسعة في الأوساط العلمية العالمية والعربية لاهتمامه بالملاحة العربية ، واعتبر عندنا حجة في كل شؤونها . وقد وضع مشروعا طموحا جدا تضمّن نشر النصوص الملاحية العربية والبرتغالية العائدة الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وترجمتها الى اللغة الفرنسية وشرحها والتعليق عليها .

آ ـ مشروع غبرييل فران الأصلي والمعدّل :

واقتصر مخطط مشروع غبرييل فران الأصلي على اصدار أربعة مجلدات فقط ، هي :

١ ـ المجد الأول . طبع مرشدات ابن ماجد الملاحية مصورة تصويرا عن المخطوطة رقم ٢٢٩٢ المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس ، أي ما يعادل متناً عربياً عدد صفحاته ٣٥٢ صفحة .

٢ ـ المجلد الثاني . طبع مرشدات سليمان المهري وابن ماجد الملاحية مصورة تصويرا عن المخطوطة رقم ٢٥٥٩ ، المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس ، اي ما يساوي متنا عربيا عدد صفحاته ٣٠٨ صفحات .

٣ ـ المجلد الثالث . ترجمة الأقسام الجغرافية من المخطوطتين ٢٢٩٢ و٢٥٥٩ ، والتعليق عليها وإرفاقها بمعجم المصطلحات الملاحية العربية .

٤ ـ المجلد الرابع . ترجمة بضعة رهمانجات قديمة برتغالية .

إلا أن فران عدّل هذا المخطط الأصلي ، وارتأى اضافة مجلد جديد ، وجزّأ مواد المجلد الثالث الأصلي ، وأضاف موضوعا جديدا الى المجلد الرابع ، فأصبح مشروعه المعدل النهائي يضم ستة مجلدات على النحو التالي :

١ ـ المجلد الأول . صورة المخطوطة رقم ٢٢٩٢ كما في المخطط الأصلي .

٢ ـ المجلد الثاني . صورة المخطوطة رقم ٢٥٥٩ كما في المخطط الأصلي .
٣ ـ المجلد الثالث . المدخل الى الفلك الملاحي العربي .
٤ ـ المجلد الرابع . ترجمة مصنفات سليمان المهري عن المتن العربي المصور في المجلد الثاني .
٥ ـ المجلد الخامس . ترجمة الأقسام الجغرافية من مرشدات ابن ماجد الملاحية عن المتن المصور في المجلدين الأول والثاني .
٦ ـ المجلد السادس . ترجمة بضعة رهمانجات قديمة برتغالية ، ومعجم المصطلحات الملاحية العربية .

ب ـ منشورات غبرييل فران عن ابن ماجد :

نشر غبرييل فران بعض الكتب ومقالات كثيرة ، نذكر منها ما خصّ بها ابن ماجد وحده أو مع غيره ، أو أفردها لنصوصه الملاحية حصرا أو مع نصوص سليمان المهري ، مرتبة حسب تسلسلها الزمني في الصدور .

١ ـ أخبار رحلات ونصوص جغرافية عربية وفارسية وتركية عائدة الى الشرق الأقصى ، تمتد من القرن الثامن الى القرن السابع عشر ، مترجمة ومحشّاة . مجلدان ، باريس ، ١٩١٣ ـ ١٩١٤ .
٢ ـ ملاقة ، مالايو ، ومالايور ، المجلة الآسيوية ، ١٩١٨ ، ص ٣٩٣ ـ ٤٨٤ ، (١٢) (١٩١٨) ، ص ٥١ ـ ١٥٤ .
٣ ـ كوين لوين والملاحات القديمة بين المحيطات في البحار الجنوبية ، المجلة الآسيوية (١٣) ١٩١٩ ، ص ٢٣٩ ـ ٣٣٣ ، ٤٣١ ـ ٤٩٢ ، (١٤) ٢٠١ ـ ٢٤١ .
٤ ـ ربّان فاسكو داغاما العربي والمرشدات الملاحية العربية في القرن الخامس عشر ، حوليات الجغرافية ، ١٩٢٢ ، ص ٢٨٩ .
٥ ـ العنصر الفارسي في النصوص الملاحية العربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، المجلة الآسيوية ، ١٩٢٤ ، (٢٠٤) ١٩٣ ـ ٢٥٧ .
٦ ـ المرشدات الملاحية والراهمانجات العربية والبرتغالية في القرنين الخامس

عشر والسادس عشر ، المجلد الأول ـ ابن ماجد ، المتن العربي ، ١٩٢١ ـ ١٩٢٣ .

٧ ـ المرشدات الملاحية والراهمانجات العربية والبرتغالية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، المجلد الثاني ـ المهري وابن ماجد ، ١٩٢٥ .

٨ ـ المعلمان أحمد بن ماجد وسليمان المهري ، في المجلد الثالث من المرشدات الملاحية والراهمنجات العربية والبرتغالية ، الموسوم المدخل الى الفلك الملاحي العربي ، ١٩٢٨ ، ص١٧٧ ـ ٢٥٧ .

ويتضح لنا من استعراض هذه المنشورات :

١ ـ ان غبرييل فران طبع كتابين (رقم ٦و٧) ضمّنهما صور النصوص الملاحية العائدة الى ابن ماجد وسليمان المهري لا غير ، وبلا تحقيق .

٢ ـ وأنه طبع كتابا ثالثا (رقم٨) حوى اعادة طبع أبحاث متفرقة لجيمس برنسب ، وهـ . كونغريف ، ول .دي سوسور ، وله هو ايضا (المعلمان ابن ماجد وسليمان المهري) سمّاه المدخل الى الفلك الملاحي العربي .

٣ ـ ويمثل ما تبقى من أبحاثه مقالات تناولت تحريات هامشية ، مثل إرشاد ابن ماجد المزعوم لفاسكو داغاما ، والألفاظ الفارسية في النصوص الملاحية العربية ، وإعطاء فكرة أوجز من موجزة عن تصانيف هذا المعلم الكبير .

ويلاحظ الباحث أن فران توفي سنة ١٩٣٥ ، أي بعد مرور سبعة أعوام على نشره الكتاب الثالث سنة ١٩٢٨ . فهل يُعقل أنه لم ينتج شيئا في هذه المدة ، وهل يعقل أن تكون هذه المنشورات المحدودة حصيلة ١٥ سنة ونيِّف من الجهد المتواصل ؟ ويتساءل المرء : ألم يخلّف فران أبحاثا اخرى مدوّنة بخط يده ، ومحفوظة عند ورثته ؟ لا أدري إذا كان أحد اتصل بهؤلاء الورثة واستفهم عن هذا الموضوع .

مهما يكن ، يبدو لنا أن غبرييل فران استسهل نصوص سليمان المهري ، فركّز عليها ، واستصعب متون ابن ماجد فتحاشى الغوص فيها ، واستعاض عن ذلك بالتأكيد على قضايا جانبية خاطئة بحد ذاتها ، أسدلت ستارا كثيفا على ملاحة

احمد بن ماجد ، وعلى انتقالها الى الأوساط الملاحية الاوروبية التي استفادت كلها منها . ولو أمدّ الله بعمره ، وترجم المرشدات العربية والبرتغالية ، لاكتشف هذه الحقيقة الصارخة ، وابتعد عن النقاط الثانوية .

وتتمثل القضايا الثانوية الرئيسة التي أضاع فران وقته في تفصيلها أولاً في إرشاد ابن ماجد المزعوم لفاسكوداغاما الذي فنّدناه ودحضناه ، جملة وتفصيلا ، في القسم الرابع من هذا الكتاب ، وثانيا في تضخيم استعمال بعض الألفاظ الفارسية المحدودة الى جانب مقابلاتها العربية ، واستخلاص نتائج مغلوطة من وجودها . وسوف نتناول هذه القضية بالتحليل بعد استعراض ما قاله فران عن تصانيف احمد بن ماجد .

جـ ـ تصانيف احمد بن ماجد حسب غبرييل فران :

فقد حاول هذا المستشرق أن يحصي ما كتبه ابن ماجد . فنقل ١٩ عنوانا عن المخطوطة الباريسية رقم ٢٢٩٢ ، و٣ عناوين عن المخطوطة الباريسية رقم ٢٥٥٩ ، واستخرج ١١ من إحالات كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد . فكان مجموع ما حصل عليه ٣٣ تصنيفا رقّمها بالأرقام الرومانية ، وأضاف اليها قصيدتين غير ملاحيتين لا تهماننا[1] .

ولم يقم فران بتلخيص مواضيع تصانيف ابن ماجد افردايا ، بل اكتفى بترجمة التصديرات النثرية الموضوعة قبل المتون الشعرية ، ونادرا ما يزيد عليها بعض الإيضاحات . ويُفاجأ الباحث عند قراءتها بدلائل ضعف الفهم اللغوي العربي ، وبحالات نقص الدقة ، وبالتسرع بالاستنتاج والتقصير في جمع الإحالات او تمحيصها .

---

(١) المرشدات الملاحية والراهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الثالث ، المدخل الى الفلك الملاحي العربي ، ص٢٠٠ ـ ٢١٨ .

١ - دلائل ضعف الفهم اللغوي العربي :

ولا نأتي بشيء من عندنا في هذا الصدد . فغبرييل فران نفسه يقدّم لنا هذه القرائن تصريحا او تلميحاً في ترجمة عناوين القصائد والأراجيز :

- من ذلك قوله بأنه لا يفهم معنى «تفصيل القلع»[1].

- وتركه فراغا منقّطا (. . .) محل لفظ «الجمة» في عنوان قسمة الجمة على أنجم بنات نعش ، عند ترجمة هذا العنوان لأنه لا يعرف معناها[2].

- وأداؤه عنوان ميمية الأبدال أي النجوم الممكن استعمال أحدها عوضاً عن الآخر في أثناء القياس ، بميمية الرجال الكرماء[3]

- وترجمته ضريبة الضرائب بـ «طبيعة الطبائع» بينما المقصود لؤلؤة اللآلىء[4]

- وتعبيره عن نادرة الأبدال بـ«ندرة الرجال الكرماء» في حين أن المقصود : القصيدة البديعة في النجوم الممكن استعمال بعضها عوضاً عن بعض[5].

- ونقله عنوان المعرّبة بمعنى إضفاء طابع عربي . والصحيح : الأرجوزة التي هذّبت قياسات الخليج البربري وصحّحتها . فالمعرّبة في العنوان بمعنى المهذّبة القياسات ، لا بمعنى المستعربة[6].

- وفهمه عنوان كتاب الفوائد بمعنى «كتاب المنافع»[7] بينما الصحيح أنه «كتاب الشروح» لأن الفائدة هنا التعليق الإضافي الذي يضعه النحاة أو أهل الفلك أو أهل الميقات أو غيرهم ، بعد القاعدة العامة .

٢ - حالات نقص الدقة :

ويحار الباحث في بعض حالات نقص الدقة التي تصل الى حد الخطأ .

---

(١) المصدر ذاته ، ص٢٠٦ ، حاشية ٣ . (٢) المصدر ذاته ، ص٢١٢ ، س١٠ .
(٣) المصدر ذاته ، ص٢١٣ ، س٣ - ٤ . (٤) المرجع ذاته ، ص٢١٣ ، س١٦ .
(٥) المرشدات الملاحية والراهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الثالث ، المدخل الى الفلك الملاحي العربي ، ص٢١٤ ، س٢٢ - ٢٣ .
(٦) المرجع ذاته ، ص٢٠٨ ، س١٤ .
(٧) المرجع ذاته ، ص٢٠٠ ، س٢١ - ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ من ذلك قول غبرييل فران ان المخمسة وضريبة الضرائب والقافية غير مؤرخـة[1] في حين ان تاريخ الاولى وارد في المخمسة ١٧ منها (٩٠٦هـ) وتاريخ الثانية معطى في البيت ١٧١ منها (٩٠٠هـ) وتاريخ الثالثة معين في البيتين ٢٩و٣٠ منها (٨٦٥هـ) . ألا يدفع هذا الخطأ المثّلث على الشك في أن فران قرأ هذه القصائد ؟

ـ وقوله إن عدد أبيات كنز المعالمة ٧١ بيتاً ، ونادرة الأبدال ٥٦ بيتاً ، والسبعية ١٥٥ بيتـاً[2] بينما الأرقام الصحيحة ٧٢ و٥٧ و٣٠٥ على التوالي .

ـ ونقص الدقة واضح في حديث فران عن الذهبية . فهو يجزم أولاً أن تاريخ نظمها ٢١ آذار ١٤٧٨ في عهد السلطان البرجي أشرف سيف الدين قايت باي (٨٧٣ـ ٩٠١ هـ/١٤٦٨ ـ ١٤٩٧ م)[3] . ويتناقض هذا الكلام مع إحالة فران نفسها : ورقة ٤٠ وجه ، س١٠ من المخطوطة الباريسية رقم ٢٢٩٢ ، التي جاء فيها : «وهو ـ أي قايت باي ـ على أيامنا التي صحّحنا فيها هذا الكتاب والذهبية . وكان النيروز ليلة الجمعة والحج بالجمعة في فرد ليلة . ويستتبع فعل «صححنا» أن الذهبية كانت موجودة قبل التصحيح أي قبل تاريخ كتاب الفوائد المصحّح ، بالتالي قبل سنة ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م ، إذن قبل ٢١ آذار ١٤٧٨م . ويظن فران ثانيا ان إحالتي الورقة ٣٩ وجه ، س٩ والورقة ٤٩ ، وجه س٤ ، عائدتان الى الذهبية ، بينما هما خاصّتان بشرحها . وفي جميع الأحوال ، لا يذكر جميع إحالات كتاب الفوائد الى الذهبية وعددها إحدى عشرة . ويزعم أخيراً أن كتاب الفوائد يستشهد في الورقة ٢٥ ظهر ، س٦ ـ ٨ بثلاثة أبيات من الذهبية الثاني منها غير وارد أصلاً في هذه القصيدة . والصحيح أن البيت الثاني المشار اليه ، هو البيت ١٨٠ من الذهبية ، وقد ورد فعلا في الورقة ١٧٦ وجه ، س١

---

(١) المرجع ذاته ، ص٢١٣ ، س١١ وس٢٠ ، وص٢١٦ ، س٢٩ .

(٢) المرجع ذاته ، ص٢١٢ ، س٢٤ ، وص٢١٤ ، س٢٤ ، وص٢١٦ ، س٢٤ .

(٣) المرشدات الملاحية والراهمانجات العربية والبرتغالية ، الجزء الثالث ، المدخل الى الفلك الملاحي العربي ، ص٢١٥ ، س٥ ـ ٧ .

من المخطوطة الباريسية رقم ٢٢٩٢ ، لكن لم يوفّق فران في العثور عليه[1] .

ـ ويُذهل كلام فران عن الفائقة . في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل[1] . فهو أولاً لا يعرف معنى «قيده سهيل» ، فيطبع لفظ «قيد» بالعربية ضمن النص الفرنسي ، ويضع علامة استفهام بعدة إشارة الى عدم فهمه معناه (= ربط قياس كوكب بقياس كوكب آخر لضبطه» . ثم إنه يشير إلى خمس إحالات من كتاب الفوائد ، يعتقد أنها تتعلق بالفائقة . إلا أن ثلاثاً منها صحيحة فقط ، تُسمّي إحداها الفائقة باسمها (٨ ظهر ، س٢) وتدعوها الاثنتان الأخريان «النونية» (١٢ ظهر ، س٣ ، و ٥٠ وجه ، س ١٣ ـ ١٤) . أما الإحالة (٣٠ ظهر ، س٩) ، فعائدة الى قصيدة نونية مطلعها :

إذا لاحَ بالفجر الغُراب تقاصَرتْ عَن الهندِ رُكّابُ المُجَاورِ في اليَمَنْ

وهي قصيدة مواسم السفر المذكورة بكاملها في آخر الفائدة الحادية عشرة من المخطوطة الباريسية . كذلك ترجع الإحالة (٤٩ ظهر ، س٥) الى القصيدة النونية الصغيرة التي مطلعها : قمت بهاخاضبة الإصبعين . . . . وأحد أبياتها :

فـدلّـني الميـخُ وباشـيـهـا بأنَّ باشي الفـرغِ كذبٌ ومـين

والصحيح أن كتاب الفوائد يحيل سبع مرات الى الفايقة ، ويسميها «الفايقة» مرة واحدة ، و«النونية» مرتين ، و«النونية الصغرى» مرة واحدة في استشهاده بالبيت ١٢٢ من الذهبية ، و«القصيدة» ثلاث مرات .

أخيراً لا بدّ من الإشارة الى البيت الوارد في الورقة ١٢ ظهر ، س٥ ، الذي أشكل على غبرييل فران ، مع أنه نفس البيت الوارد في نفس الإحالة س ٢ حرفياً . ولا ندري لماذا قال فران ببساطة كلية إنه غير موجود في الفايقة مع أنه البيت الثاني منها بجلاء تام .

---

(١) المرجع ذاته ، ص٢١٥ ، س١٣ .

(٢) المرجع ذاته ، ص٢١٥ ، س١ الى ص٢١٦، س٥ .

٣ ـ التسرع بالاستنتاج والتقصير في جمع الإحالات أو في تمحيصها :

وتنطوي بعض حالات نقص الدقة على شيء من التسرع في الاستنتاج الذي يتضح بجلاء في إحصاء فران تصانيف ابن ماجد المفقودة الوارد ذكرها في كتاب الفوائد واقترانه أحياناً بالتقصير في جمع الإحالات أو تمحيصها .

ففران يقول حرفيا : «يُسمي ابن ماجد في كتاب الفوائد عناوين تصانيف لا نعرفها ويذكر بعض أبيات منها»[1] . ويُعطي مثالا على تلك التصانيف التي لا يعرفها «الرقم ٢٩ الروماني الذي يقول عنه ابن ماجد (ورقة ٣٠ ظهر ، س٩) : القصيدة النونية التي أولها :

إذا لاح بالفجرِ الغرابُ تقاصَرتْ

ويضيف فران من عنده : من ناحية اخرى ، هذه القصيدة غير مشار اليها[2] . ويزيد في الحاشية رقم ١ في الصفحة ٢١٨ : انظر مع ذلك الورقة ١٦٦ ظهر ، س ١١ (= البيت ٦٥ من المكية :

تحـرّر في نـونيَّتي فـافعلوا بهـا مناتخَ أطـواحٍ وبـرِّ الكنـاهـرْ)

لكن لا ندري إذا كان المقصود الإشارة إلى هذه النونية (أي نونية : إذا لاحَ بالفجر الغراب تقاصرت . . .) أم إلى إحدى النونيتين السابقتين (أي ٢٨ روماني = النونية الصغيرة ، أو ٢٧ روماني ـ النونية الكبيرة أو قصيدة الخيل) . وبذا يبين أن فران لم يمحص معطياته ، فخلط بين أربع نونيات ، هي :

نونية مواسم السفر ومطلعها : اذا لاح بالفجر الغراب تقاصرت . . .

والنونية الفايقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل ومطلعها : أقول والفللك تجري بالشراعين . . . .

والنونية الصغيرة ، ومطلعها : قمت بها خاضبة الإصبعين. . . .

والنونية الكبيرة أو قصيدة الخيل ومطلعها : أبدأ باسم الأول الرحمنِ. . . . . .

---

(١) المرشدات الملاحية والراهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الثالث ، المدخل الى الفلك العربي الملاحي ، ص٢١٧ ، س١٣ ـ ١٤ .

(٢) المرجع ذاته ، ص٢١٨ ، س١٠ ـ ١٢ .

وأغرب من هذا الالتباس الغريب في ذهن فران ، أنه لا يعرف نونية مواسم السفر مع أنها واردة بنصها الكامل في آخر الفائدة الحادية عشرة من كتاب الفوائد . فكيف لم يتذكرها . ثم كيف فاته ان البيت ٦٥ من المكية يوضح البيت ٦٤ أي قياس ساكب الماء (الضفدع الأول) بقيد سهيل ؟ تسرع في الاستنتاج أم قلة تمحيص معطيات ؟

ويقتضي هذا التحليل حذف الرقم الروماني ٢٩ لأنه يشير الى قصيدة مواسم السفر المعروفة . ولا يمكن الاحتفاظ به للنونية الصغيرة لأن فران خصها بالرقم ٢٨ الروماني ، ولا للنونية الكبيرة لأنه أفرد لها الرقمين الومانيين ٢٦و٢٧ . وعليه ينبغي إنقاص عدد تصانيف فران تصنيفا واحدا .

وهكذا جعل فران أربع نونيات مختلفة نونية واحدة ، واعتبر اثنتين من الأربع مفقودتين في حين تحدّث هو عن إحداهما في الرقم ١٧ الروماني نعني الفايقة (ص٢١٥) ، وفاتته رؤية الاخرى في كتاب الفوائد ذاته .

واشتبهت عليه الإحالات الثلاث التالية في رقميه الرومانيين ٢٦و٢٧ :
الورقة ١١ وجه ، س١٣ ، التي يشير اليها في رقمه الروماني ٢٦ ، ونصها : «في استقلالها ـ أي الهقعة ـ تقاس الفروغ في غروبهم وبعض النعوش في طلوعهم» ، وهما ذوي القصيدة التي أولها : أبدأ باسم الملك الرحمن . . .
والورقة ٢٥وجه ، س١٧ : ويتحدث فيها ابن ماجد عن الفروغ والنعوش في البدء ، ثم يقول : «وقد ركّبنا عليهم النونية الكبيرة التي أولها : أبدأ باسم الأول الرحمن . . .
والورقة ٥٠ ظهر ، س٦ : ويتحدث فيها ابن ماجد عن الفروغ والنعوش أيضا ، ثم يقول : «ركّبت عليهم النونية الكبيرة المسماة بقصيدة الخيل» . وقد استشهد بهاتين الإحالتين الأخيرتين في الرقم الروماني ٢٧ .

وواضح جدا أن الإحالات الثلاث عائدة الى نونية واحدة تدعى النونية الكبيرة أو قصيدة الخيل (بعد استبدال لفظ «الملك» بلفظ «الأول» ليصبح سياق النص صحيحا) ، فيجب دمج الرقمين الرومانيين ٢٦و٢٧ في عنوان واحد ، وحصرهما بالنونية الكبيرة أو قصيدة الخيل ، أي إنقاص إحصاء فران تصنيفا واحدا آخر .

أما إحالات فران الى النونية الصغيرة في الرقم ٢٨ الروماني ، فأربع منها صحيحة وواردة في كتاب الفوائد ، وتذكر اثنتان منها صراحة وحرفيا (الورقة ٤٩ وجه، س ١٢ ـ ١٣ والورقة ٥٢ ظهر ،س ٤ ـ ٥) مطلع هذه القصيدة . في حين تبدو الإحالة الخامسة (١٧٤ وجه ، السطر الأخير= ولي بسهيل والضفادع مكسب بنونيتي الصغرى لخيرُ المكاسب : البيت ١٢٢ من الذهبية) مغلوطة حتما لأنه خلط فيها بين النونية الصغيرة التي مطلعها : قمت بها خاضبة الإصبعين . . . وبين النونية الصغرى التي تشرح قياس الضفدع بقيد سهيل ، أي الفايقة ومطلعها : أقول والفلك تجري بالشراعين. . .

وأخيراً لا بدّ من حذف قصيدة الرقم ٣١ الروماني من لائحة فران ، لأنها غير ملاحية . وبذا يتحتم تخفيض إحصائه من ٣٣ عملاً الى ٣٠ (طرح الأرقام ٢٦ ، ٢٩ ، ٣١) .

في الختام ، غفل فران عن ذكر أربع إحالات في المخطوطة الباريسية سمّت أربع قصائد أو أراجيز مفقودة ، هي :

الورقة ١٧ وجه ، س ٩ : «وقلت في قصيدة أولها : قيس المربع باستقامات. . .» . اذن قياس المربع .

الورقة ٦٦ ظهر ، س ١٦ ـ ١٧ : «ذكرت جميع ذلك في القصيدة العينية وغيرها ، وقال الأوائل : . . . .» (هذا بعد تحقيق النص وتقويمه) . اذن القصيدة العينية في وحدات قياس المسافات .

الورقة ٢٨ ظهر ، س ٩ ـ ١١ : «وخير ما على السلبار قياسه هو والواقع الذي ركّبت عليه القصيدة التي أولها. . . .» اذن قياس السلبار والواقع .

الورقة ٢٧ ظهر ، س ١٤ ـ ١٥ : «وقال فيه ـ أي الجاه ـ مصنّف هذا الكتاب المعلم احمد بن ماجد قصيدة» اذن قصيدة قياس الجاه .

كذلك سها فران عن القصائد والأراجيز الوارد ذكرها في القصيدة الذهبية حصرا (ما عدا المشترك بينها وبين كتاب الفوائد) ، وعددها ست . وبذا يكون قد أنقص تصانيف ابن ماجد عشرة أعمال غير مواسم السفر (قصيدة إذا لاح بالفجر الغراب تقاصرت) التي لم يشعر بوجودها في كتاب الفوائد .

د ـ تضخيم غبرييل فران استعمال بعض الألفاظ الفارسية في المرشدات العربية :

فصّل غبرييل فران في المجلة الآسيوية رأيه في استعمال بعض الألفاظ الفارسية في المرشدات العربية العائدة الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، في مقال طويل عنوانه «العنصر الفارسي في النصوص الملاحية العربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر»[1] ، يمثّل نموذجا عن طريقة صاحبه في الكتابة عن الملاحة العربية وتقويمها . لذلك يحسن بنا تحليله .

فهو يستهل بحثه بمقدمة في صفحتين ونصف صفحة (ص١٩٣ ـ ١٩٥) ، يقول فيها إن احمد بن ماجد وسليمان المهري حررا النصوص الملاحية العربية المكتوبة في مخطوطتي باريس رقم ٢٢٩٢ و٢٥٥٩ . ثم يعطي عجالة في غاية الإيجاز عن كل من هذين المعلمين العربيين ، ويكرر زعمه الخاطىء بأن ابن ماجد أرشد فاسكوداغاما وعمل عنده ربّانا في رحلته الاولى ، وعبّره حوضة بحر الهند الغربية من بندر ملندي على ساحل افريقية الشرقية الى بندر كاليكوت في مليبار[2] . ويخلص الى القول : «وسجّلت وأنا أُعدّ ترجمة المخطوطتين ٢٢٩٢ و ٢٥٥٩ تأليف معلمي الملاحة لربابنة عصرهما ، بعض تعابير فارسية شائعة الاستعمال في اللغة العربية الملاحية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، لها في رأيي أهمية خاصة بدا لي مفيداً أن أشير اليها منذ الآن»[3] .

ولاينتقل ، مثلما يقتضي السياق الى الألفاظ الفارسية ، بل يكتب قبل حديثه عنها ، فقرة طويلة عن المرشدات الملاحية من القرن العاشر الى القرن السادس عشر ، في ١٥ صفحة ، ويختار مقطعا من كتاب الفوائد يتعلق بها ، ونصاً آخر يتكلم فيه ابن ماجد عن أبيه وجدّه وظهرة والده في بحر القلزم . وتضمّن نقل فران الى الفرنسية أغلاطاً وقراءات خاطئة ، يستغرب الباحث أن تصدر عن عالم في مثل شهرته . من ذلك على سبيل الأمثلة لا الحصر :

---

(١) المجلة الآسيوية ، نيسان حزيران ١٩٢٤ ، (٢٠٤) ، ص١٩٣ ـ ٢٥٧ .

(٢) المقال ذاته ، ص١٩٣ ، س٥ ـ ٨ .

(٣) المقال ذاته ، ص١٩٥ ، س١٢ ـ ١٧ .

الأصل	الخطأ	الصواب
فلما استوت السفينة (سفينة نوح)	فلما تم بناء السفينة[1]	فلما استقرت السفينة
والف قبلهم احمد بن تبرويه	وألفٌ قبلهم (هكذا) احمد . . [2]	والف قبلهم احمد بن. . .
مُسايرات البرور	مساحة البرور[3]	محاراة البرور
وفي هذا الكتاب عام ٨٨٠هـ	مع ذلك الكتاب مؤرخ ٨٩٥هـ[4]	لايميز المطول عن المختصر
الرحويات	لايعرف معناها[5]	الكواكب القريبة من القطب
الشقاقات	المسافات (بين البنادر)[6]	الكواكب القريبة من الأفق

وتسترعي الانتباه حيرة غبرييل فران في كلامه عن تأليف كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد في آخر هذه الفقرة الاولى التي يقول فيها صراحة : «يتضمن كتابه العظيم المنثور ، بطريق الخطأ ، تاريخين مختلفين ، مذكورين حرفيا في الورقة ٤ ظهر ، س١٠ : ٨٨٠هـ/١٤٧٥م[7] . وفي آخر الورقة ٨٨ وجه ، س١٣ : ٨٩٥هـ/١٤٨٩م[8] . ولايمكن فهم هذا الفارق البالغ ١٤ عاما . وأنا أختار من التاريخين تاريخ المخطوط الذي أرجّح أنه أصح ـ يقصد ٨٩٥هـ . فالمؤلف ـ والمتكلم غبرييل فران على الدوام ـ حرر كتاب الفوائد بعد أن «كرر قريبا من أربعين سنة»[9] .

---

(١) المقال ، الترجمة ، ص ١٩٥ ، س٦

(٢) المرجع ذاته ، ص٢٠٠ ، س٩

(٣) المرجع ذاته ، ص٢٠٠ ، س١٨

(٤) المرجع ذاته ، ص٢٠١ ، س١٩ وحاشية ١

(٥) المرجع ذاته ، ص٢٠١ ، س٢٧ الحاشية ٣

(٦) المرجع ذاته ، ص٢٠١ ، س٢٧

(٧) جاء في هذه الاحالة : «وفي هذا الكتاب عام ثمانين وثمان مابة» .

(٨) جاء في هذه الاحالة : «وختمنا هذا الكتاب في عام خمس وسبعين وثمان مابة على الاختصار» .

(٩) هذه الاحالة واردة في المخطوطة ٢٢٩٢ ، الورقة ٧٨ ظهر ، س٢٠ : «فلماء جاء زماننا . . (اسقاط كلمة جرّبنا) هذا ، وكررنا (٥) قريبا من أربعين سنة » . وحديث ابن ماجد عن تكراره تجارب جده ووالده لا عن تجارب كتاب الفوائد. أما الاحالة الصحيحة المتعلقة بتجارب كتاب

ويبرر تفضيله لتاريخ المخطوطة ، ويقول : «اذن بدأ ـ الفاعل ابن ماجد ـ يركب البحر حوالي ١٤٥٠م (١٤٨٩ ـ ٤٠) في احدى الحالتين ، وحوالي ١٤٣٥ (١٤٧٥ ـ ٤٠) . والامكانيتان مقبولتان ، لأن أقدم تصانيفه الملاحية يعود الى سنة ١٤٦٢م [1] . إلا أن ابن ماجد قاد عام ١٤٩٨ (وجود فاسكوداغاما في ملندي في أثناء رحلته الاولى) سفن فاسكوداغاما من ملندي الى كاليكوت . لو أن ابن ماجد أجرى سفرته الاولى في البحر سنة ١٤٣٥ ، وهو في سن العشرين تقريبا ، لكان عمره ٨٣ سنة عندما قاد فاسكوداغاما عام ١٤٩٨ (٢٠+٦٣ أو ١٤٩٨ ـ ١٤٣٥) ، وهذه سن متقدمة جدا بالنسبة الى معلم . على النقيض ، إذ بدأ أسفاره حوالي ١٤٥٠م ، وفي سن العشرين ذاتها ، لكان عمره عند إرشاده فاسكوداغاما ٦٨ سنة (٢٠+٤٨ أو ١٤٩٨ ـ ١٤٥٠) وقدوم البرتغاليين ، وعندئذ لا تشوب شائبة تعاونه معهم . تحبّذ هذه الظروف تاريخ المخطوطة أي ٨٩٥هـ . إلا أن هذا التحليل مرفوض جملة وتفصيلا ، لأنه مبني على استشهاد خاطىء (الأربعين سنة) وعلى واقعة إرشاد فاسكوداغاما الوهمية .

ويصل فران بعد هذه الصفحات الطوال الى الألفاظ الفارسية ، فيتحدث عنها في ٢٦ صفحة (٢٠٩ ـ ٢٣٤) يستعرض فيها ثماني كلمات هي الرهمانج والخن والجاه والتير والسلبار والهيران والمل أو المول والنيروز . ويطنب في إيراد استعمالها في استشهادات من ابن ماجد وسليمان المهري ومحيط علي بن الحسين . ولا جدوى من تتبعه في هذا الإسهاب المصطنع . وتكفي الإشارة الى أن المقابلات العربية شائعة وكثيرة الورود أيضاً الى جانب الجاه (الجدي) والتير (الشعرى العبور) والسلبار (المحنث) والهيران (الطائر) والمل أو المول (السيف أو البر أو الساحل) . ويوافق فران على هذه الحقيقة . تبقى كلمات الرهمانج والنيروز والخن . ويمكن أن

الفوائد ، فهي الآتية : «وما صنّفت هذا الكتاب إلا بعد أن مضت لي خمسون سنة وما تركت فيها صاحب السكان وحده» . وقد وردت في المخطوطة ٢٢٩٢ ، في الورقة ٤٨ مكرر وجه ، س٣ ـ ٤ .

(١) اشارة الى نظم الحاوية عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦٢م . إلا أن ابن ماجد نظم القافية قبل الحاوية بعام واحد . وتاريخ القافية مبيّن في بيتيها ٢٩و٣٠ : ٨٦٥هـ .

يضاف اليها دفتر جمعه دفاتر بمعنى الرهمانج[1] وكلمات أخرى مأخوذة من لغات سواحل بحر الهند كالفشت والفولة والفنجري والفيش والشلي والكوس والسطمير والسنبوق او السنبوك وغيرها وغيرها . وهذا «التثاقف» المتبادل مألوف ومعروف في جميع البلدان الساحلية ، لأن البحارة عامة يختارون ألفاظاً من شتى اللغات يستسيغونها أو تسهل لهم التفاهم فيما بينهم على اختلاف جنسياتهم وألسنتهم . لكن لنر ، ماذا يستخلص فران من الكلمات الفارسية المحدودة العدد في فقرة مقاله الأخيرة (٢٣٤ ـ ٢٩٧) .

يزيد فران في البدء على قائمة الكلمات الفارسية الثماني أربعة ألفاظ اخرى هي الناخذه والزنج والبندر والشاهبندر . وينهي تعداده فجأة ، ويشرع بالإشادة بالحضارة الفارسية والحط من قدر الحضارة العربية بل ينكر وجودها[2] الى أن يطيب له أن يقول : «يبدو لي أن الاستنتاج الذي يفرض نفسه هو أن العرب الذين كانوا يسايرون سواحل بلدانهم ، أخذوا عن الفرس وردة الرياح التي لا نعرفها إلا بصيغتها العربية ، مثلما نقلوا عنهم المرشدات الملاحية المسماة رهمانجات التي مكّنتهم من المتاجرة في المحيط الهندي بأجمعه[3] . وينهي مقاله بالكلام عن سيراف وعن الملاحين الفرس «الأشاوس العلماء». ويَعِد : بالرجوع الى معالجة هذا الموضوع على هذه الأسس الجديدة . لكنه لم يفعل .

وتتضمن ترجمة استشهادات الرهمانج عند فران أداءين مغلوطين ينبغي تصحيحهما . أولهما استشهاد : الورقة ٨٥ ظهر ، س١٢ ـ ١٣ من المخطوطة الباريسية ٢٢٩٢ وهو : «واحدة منها ـ أي الفصيليات ـ فيها هدم مبني ، قد وضعت فيه في زماني خطّا مغرقا بالسليط ، وشرحت فيه . . . »[4] . فلم يقوّم فران هذه الجملة ، وقرأ «زماني» «رماني» وفهمه «رهماني» أي رهمانج . وفهم

---

(١) انظر المكية : البيت ١١٣ ، ونادرة الابدال : البيتين ١٧و٤٣ .

(٢) انظر مقاله ص٢٣٥ ، س٢٣ ـ ٢٩ ، وص٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

(٣) مقاله ، ص٢٤٧ ، س٧ ـ ١٢

(٤) مقاله ، ص٢١٠ ، س٩ ـ ١٠

«خطّا» بمعنى «رسما» عوضا عن «كتابة» وقال في الحاشية ٢ من الصفحة ذاتها : «استنادا الى هذا المقطع ، كانت مخطوطة ابن ماجد الأصلية ، حتما ، تحوي مخططات وخرائط ، لم يبق أثر منها ، لا في مخطوطة باريس ولا في مخطوطة الظاهرية» ولا يحتاج هذا التسرع بالاستنتاج الى تعليق .

والاستشهاد الثاني وارد في الورقة ٩٠ ظهر ، س١ ـ ٢ : وهو في الفصل الأول من الحاوية (البيتان ٥١و٥٢) :

وَجَوِّدِ الآلة قبلَ السَّفَرْ كَحُقَّةٍ أو كقياسٍ أو حَجَرْ
والبَلْدَ والفانوسَ والرهمانَجْ وإن تكُنْ سافرتَ كَمْ مَنْ حَجَجْ[1]

ورأى فران أن لفظ «حجر» «في البيت الأول» يعني هنا بلا شك ـ الكلام لفران ـ الحجر الذي يستعمله الغواص بمثابة الرصاص ليصل بسهولة الى عمق معين»[2] . ويحيل لإثبات صحة تأويله ، الى المقدم لويس بيلي ، ملاحظات على محار اللؤلؤ في الخليج العربي ، في محاضر جمعية بومباي الجغرافية ، المجلد ١٨ ، ص ٣٣ ـ ٣٤ . والغلط صارخ عنده ، لأن المقصود حجر المغناطيس لا حجر الغوص . والحديث عن حجر المغناطيس متواتر في تصانيف ابن ماجد .

هذا هو مقال فران عن «العنصر الفارسي في النصوص الملاحية العربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . » ويبدو لنا أنه كثير الخروج عن الموضوع ومتفكك لا رابطة بين أجزائه . وفوق هذا وذاك ، يتجنى فران على الملاحة العربية التي يرجع تاريخها الى ٣٠٠٠ سنة ق .م . وينطلق من مقدمات عفوية ليحط من قدر هذا الوجه الحضاري العربي العريق المشرق . ونذكر في هذا الصدد ما قاله هنري غورسيه غرانج عام ١٩٧٥ ، مخالفا رأي صاحبنا كلياً : «اضطررت أن أركب البحر وأسافر في سفينة ايرانية ، وتصرفت تصرفاً غريباً عندما قمت بجمع المصطلحات الملاحية العربية من شخص غير عربي «ايراني» . وتبين لي أن اللغة

(١) مقاله ، ص٢١١ ، س٧ ـ ٩

(٢) الحاشية ٤ ، صفحة ٢١١ .

الملاحية الايرانية لغة عربية . وهذه ظاهرة جديرة بالاهتمام[1] . وتخالف رأيه أيضاً الوثائق البرتغالية والصينية واليونانية[2]

ثالثاً ـ ليوبولد دي سوسور

ليوبولد دي سوسور سليل أسرة علماء نبيلة وعريقة ، أصلها من مقاطعة لورين ، اضطرت أن تهاجر الى سويسرة في القرن السابع عشر لأسباب دينية . ولد في جنيف سنة ١٨٦٦ ، واستعاد جنسيته الفرنسية ، وانتسب الى «المدرسة البحرية» الفرنسية ، وتخرج منها ، وخدم في البحرية الحربية ، لكنه تقاعد في وقت مبكر سنة ١٨٩٩ ، لأسباب عائلية . وهو ملّاح ومستشرق وعالم صينيات اكتسب شهرة واسعة في دراسة الفلك الصيني ومقارنته بالفلك البابلي والكلداني والفارسي والهندي . وربطته علاقات صداقة وثيقة بل حميمة بغبرييل فران . واتفقا أن يتولى دي سوسور شرح النواحي الملاحية والفلكية الخاصة بالمرشدات البحرية العربية ، والتعليق عليها . إلا أن المنية وافته ، مثلما وافت فران ، قبل أن ينجزا مشروعهما العظيم المعدّل .

آ ـ منشوراته :

يهمنا من منشورات دي سوسور بحثان لصلتهما بالملاحة العربية :

١ ـ أولهما «أصل وردة الرياح واختراع البوصلة» المنشور في «محفوظات العلوم الفيزيائية والطبيعية» ، الفترة الخامسة ، المجلد الخامس ، جنيف ١٩٢٣ ، والمعاد نشره في «المرشدات الملاحية والرهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الثالث ، المدخل الى الفلك الملاحي العربي ، ص ٣٠ ـ ١٢٧» .

---

(١) غروسيه غرانج ، «كيف يبحر العرب اليوم في المحيط الهندي ، اضافات وتصويبات » ، مجلة ارابيكا ، مجلد ٢٢ ، كراس ١ ، ص١٩ ـ ٢٢ .

(٢) ابراهيم خوري ، «العرب والصين ، علاقات ودية وتبادل سفارات» ، وثيقة صينية نفيسة من عهد سلالة منغ : الكامل في وصف سواحل المحيط ، تأليف ماهوان سنة ١٤٣٣م/ ٨٣٧هـ ، دمشق ، مجلة التراث العربي ، العدد ٢٤ ، ١٩٨٦ ، والطواف حول البحر الأحمر ، في الأعداد التالية أيضا .

٢ ـ وثانيهما «تعليق على مرشدات ابن ماجد وسليمان المهري الملاحية» ، المنشور في المرشدات الملاحية والرهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الثالث ، المدخل الى الفلك الملاحي ، ص ١٢٩ ـ ١٧٥ .

ب ـ أصل «وردة الرياح» واختراح البوصلة :

يستهل دي سوسور مقاله بمقدمة قصيرة (٣١ ـ ٣٢) واضحة جدا ، يشرح فيها موضوعه وأقسامه ، فيقول :

« ربط المؤلفون الذين بحثوا في اختراع البوصلة ـ لاسيما في ظهورها في الصين وعند العرب ـ ضمنا على العموم ، وصراحة أحياناً ، اختراع وردة الرياح[١] باختراع الإبرة المغناطيسية . والواقع أن هذين المفهومين متباينان كثيراً ، وإن كان استعمال البوصلة أدّى تلقائياً الى تعميم تطبيق التقسيم السمتي على الأفق .

وقطعاً يعود تاريخ الديرة العربية ، التي يطلق على أخنانها أسماء النجوم ، الى زمن كانت فيه خاصة اتجاه المغناطيس الى القطب ما تزال مجهولة ، وكان فيه البحّارة مضطرين الى الاعتماد على نقاط ارتكاز نجمية . اذن أصل أجزاء هذه الديرة الاثنين والثلاثين (التي تبنّى مسيحيو اوروبة عددها في وقت لاحق) فلكي .

كذلك يسقط الصينيون هم أيضاً النجوم على مستوى الأفق ، لكن بطريقة اتفاقية . ففي حين ارتبطت الأخنان العربية بسمت مطلع الكوكب (أو مغيبه) ، تنقل أخنان الصينيين بيوت خط الاستواء السماوي الاثني عشر الى الأفق الأرضي ، بنهج يدلّ فيه برج الانقلاب الشتوي على الشمال وبرج الانقلاب الصيفي على الجنوب . وهذا النظام كوني في جوهره .

---

(١) يفرض استعمال هذا الاصطلاح السيّء نفسه ، لأن ليس لدينا غيره في اللغة الفرنسية . ويتميّز الاصطلاح الالماني وردة القنباص عنه بالاستغناء عن ادخال الرياح في التسمية . إلا أن لفظ قنباص لا يلائم إلا البوصلة البحرية الحديثة . وسوف نستعمل نحن هنا ، اتفاقا ، لفظ الوردة السمتية . (حاشية ليوبولد دي سوسور) .

ويبدو اكتشاف خاصة اتجاه المغناطيس الى القطب قديماً جداً في الصين ، لكنه لا يرد في النصوص إلا في استعماله على اليابسة . ولا نستطيع ان نستنتج استخدامه في الملاحة إلا بالاستقراء . خلافا لذلك، نقل الغرب مفهوم الإبرة الممغنطة عن الصين بالتأكيد ، واعتبر هذا المفهوم في زمن الصليبيين ظاهرة جديدة لجهة تطبيقها في البحر فقط . ولاتشير وثائق ذلك العهد الى ديرة العرب النجمية أصلا ، وإن كان يرجح انها أقدم منه بكثير ، ولم يعرفها العلماء الاوروبيون إلا في القرن التاسع عشر .

لهذه الاعتبارات . نبدأ بحثنا بعرض المبادىء الكونية التي ارتبط بها استعمال البوصلة في الصين . ثم ننتقل الى تاريخ هذا الاختراع ، وننهي تقصّينا بالحديث عن ديرة العرب النجمية ، التي يرجع تاريخها ، فيما نظن ، الى العصور القديمة ، شأنها شأن الوردة الصينية[1] .

هذه أقسام مقال دي سوسور الثلاثة ، كما ذكرها في مقدمته السابقة . ويطول بنا الحديث إن نحن لخصنا جميع ما جاء فيها . لذلك نوجز ناحيتين فقط ، هما استعمال الإبرة المغناطيسية في الملاحة ، وقِدم الديرة العربية النجمية .

١ ـ استعمال الإبرة المغناطيسية في الملاحة :

لم يتحدد بدقة تاريخ استخدام الإبرة المغناطيسية في الملاحة. إلا ان هيرث[2] أشار الى أقدم نص صيني معروف يتضمن كتابة استعمالها في البحر . وقد عثر عليه في مصنف يعود الى القرن الثاني عشر الميلادي يحوي معطيات عن حركة مدينة كانتون البحرية التجارية التي كان الملاحون العرب والفرس يسيطرون عليها . ولم يقطن كاتب هذا المصنف في هذه المدينة الصينية ، بل كان والده موظفاً فيها في أواخر القرن الحادي عشر . ويُظن أن معلومات الابن مستقاة من والده ، وتختص بعامي ١٠٨٦ و١٠٩٩م على وجه التقريب . ويتحدث احد نصوص ذلك الكتاب عن السفن الغربية التي تتعاطى التجارة بين بندر كانتون وبين ساحل شمطرة

(١) المرشدات الملاحية والرهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الثالث ، ص٣١ ـ ٣٢ .
(٢) هيرث ، تاريخ الصين القديم ، ص١٣٣ .

والبنادر العربية والهندية . وقد جاء فيه : «يعين المعلم موقع السفينة برصد النجوم ليلا والشمس نهارا ، اذا كان الجو صافيا ، وبالإبرة الدالة على الجنوب اذا كان الجو غائما» . اذن يثبت أقدم نص صيني معروف ، في رأي سوسور ، ان المعالمة العرب والفرس استعملوا الإبرة المغناطيسية في بحر الهند منذ القرن الحادي عشر[1] ثم استخدمت هذه الإبرة في البحار الاوروبية في أيام الصليبيين . ويتكلم بيلك القبجاتي عن استعمال الإبرة المغناطيسية في رحلة بحرية بين طرابلس الشام وبين الاسكندرية سنة ٦٤٠هـ /١٢٤٢ ـ١٢٤٣م ، وعن استعمال الإبرة السمكة في ملاحة بحر الهند . ويستشهدَ دي سوسور على استعمال هذه الإبرة السمكة في بحر الهند بهذه الإحالة من خطط المقريزي : «فإن جميع الأجسام المعدنية ، كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير ، إذا عمل من شيء منها إناء يسع من الماء أكثر من وزنه ، فإنه يعوم على وجه الماء ، ويحمل ما يمكنه ولا يغرق . وما برح المسافرون في بحر الهند إذا أظلم عليهم الليل ، ولم يروا ما يهديهم من الكواكب الى معرفة الجهات ، يحملون حديدة مجوّفة على شكل سمكة ، ويبالغون في ترقيقها جهد المقدرة ، ثم يعمل في فم السمكة شيء من مغناطيس جيدا ، ويحك فيها بالمغناطيس ، فإن السمكة إذا وضعت في الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبي بفمها ، واستدبرت القطب الشمالي»[2] .

٢ ـ قِدم الديرة النجمية العربية :

نشأت الديرة النجمية العربية في المنطقة المدارية، وعلى وجه التدقيق في المنطقة الاستوائية ، حيث ينطبق القطبان الكونيان الشمالي والجنوبي مع جهتي الأفق الشمالية والجنوبية ، وتطلع جميع الكواكب متعامدة على مستوى الأفق الأرضي ، وتساوي زاوية سمت النجم زاوية بعده عن القطب : مثلا يطلع النجم البعيد ٢٠ درجة عن القطب الشمالي من درجة ٢٠ شرقية في نصف الكرة

---

(١) المرشدات الملاحية ، المجلد الثالث ، ص٧٤ ، س٢٤ الى ص٧٥ ، س٢٠ .

(٢) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطوط المقريزية ، تأليف تقي الدين ابي العباس احمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ ، المجلد الأول ، ص٢١٠ ، س٢١ ـ ٣٣ .

الشمالي ، ويطلع النجم البعيد ٣٠ درجة عن القطب الجنوبي من الدرجة ٣٠ شرقية في نصف الكرة الجنوبي . بالتالي يمكن تحديد كل نقطة من دائرة الأفق في المنطقة الاستوائية او المدارية بانور كوكب يطلع او يغيب فيها ، ولا تختار تلك الكواكب من نجوم منطقة البروج بالضرورة ، بل تؤخذ من نجوم القبة السماوية جمعاء أينما وجدت .

ولا تستعمل هذه الديرة إلا في المنطقة المدارية ، لأن مستوى مدار النجوم اليومي متى ابتعدت عن خط الاستواء ، يقطع الأفق بزاوية حادة تتضاءل قيمتها كلما زاد بعد موقع الكواكب عن هذا الخط ، ثم تنعدم متى أصبحت الكواكب قريبة من القطبين ، أي أن هذه الكواكب تبقى تدور فوق الأفق او تحته في تلك العروض العليا النائية (الرحويات) .

ويبلغ عدد أجزاء الديرة النجمية العربية ٣٢ خناً ، تعرف بمطلع ١٥ نجما ومغيبها ، يضاف اليها الشمال والجنوب .

وبقي الاوروبيون يجهلون هذه الديرة العربية حتى القرن التاسع عشر ، رغم قدمها وارتباطها بالفلك البابلي ، الى أن عَرَّفهم بها الأخوان دابادي : انطوان تومبسون دابادي ، وارنو دابادي .

جـ ـ تعليق على مرشدات ابن ماجد وسليمان المهري الملاحية :

يتناول ليوبولد دي سوسور في تعليقه على مرشدات ابن ماجد وسليمان المهري الملاحية ناحيتين فلكيتين فقط : هما استعمال نجم القطب في تحديد درجة العرض ، واستعمال زاوية الطريق في حساب درجة العرض .

١ ـ استعمال نجم القطب في تحديد درجة العرض :

تساوي درجة العرض الارتفاع الزاوي للقطب السماوي عن مستوى الأفق . وهذه القاعدة صحيحة في جميع الأماكن . بالتالي ، إذا كان موقع أحد النجوم في القطب السماوي الشمالي ذاته ، تساوي درجة عرضه زاوية ارتفاعه فوق

الأفق . إلا أن الكواكب القريبة من القطب الشمالي صغيرة جدا كلها ، لايمكن أخذها نقاط ارتكاز مرئية بالعين المجردة . لذلك اختير نجم الجدي لهذه الغاية ، وهو أنورها وأقربها منه ويبعد عنه ٣١/٢ درجات تقريبا (في عام ١٥٠٠م) .

ويرسم الجدي دائرة صغيرة في أثناء دورانه اليومي حول القطب ، فيمر تباعا على يمين القطب ، ثم فوقه ، ثم على يساره ، ثم تحته . اذن لايعطي قياس ارتفاع الجدي عن الأفق درجة عرض صحيحة دوما ، بل يشوب الرقم المرصود خطأ يبلغ حده الأعظم عندما يكون الجدي في أوجه فوق القطب أو في حضيضه تحته ، ولايشوبه خطأ البتة عندما يواسي الجدي القطب عن اليمين او عن اليسار . ويتفاوت الخطأ بين الحدين الأدنى والأعلى السابقين .

وكان موقع الجدي بالنسبة الى القطب يتحدد اعتمادا على حركة الفرقدين وعلى حركة منازل القمر في اثناء دوران الجدي حول القطب .

وتستعمل الإصبع وحدة قياسية في أثناء رصد ارتفاع الجدي . وتستتبع هذه المبادىء الفلكية ضرورة شرح قيمة الإصبع وحركة الفرقدين وحركة المنازل . وهذا مايفعله دي سوسور قبل انتقاله الى توضيح استعمال زاوية الطريق في حساب درجة العرض .

٢ ـ استعمال زاوية الطريق في حساب درجة العرض :

يعتمد دي سوسور في هذه الفقرة على إحالة أساسية مأخوذة من كتاب فوائد احمد بن ماجد[1] يقول فيها : كل اصبع يسمى ترفا ، والإصبع جزء من ٢٢٤ جزءا من الدائرة (″٣٧ °١). بالتالي تساوي الترفا تغيير العرض اصبعا واحدة، او المسافة الواجب قطعها باتجاه احد الرؤوس لإحداث اصبع في قياس زاوية ارتفاع القطب .

---

(١) المرشدات الملاحية والرهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الأول ابن ماجد ، الورقة ٦ ظهر ، س٩ ـ ١٠ .

من جهة اخرى ، نعرف ان ترفا القطب ثمانية ازوام وأن الزام هو المسافة التي تقطعها السفينة في ثلاث ساعات زمنية . اذن ترفا القطب : ٨×٣=٢٤ ساعة سير في البحر . إلا ان هذه الترفا تمثل تغيير درجة عرض مقدارها اصبع واحدة أي ٣٧″ ١° تقريبا او ٩٧ دقيقة اي مسافة ٩٧ ميلا بحريا . بالتالي تصبح سرعة السفينة المتوسطة اربعة اميال في الساعة على وجه التقريب (٩٧ : ٢٤) . وبذا تصير لدينا علاقة بين المسافة المقطوعة وزاوية الطريق ودرجة العرض ، نستطيع استعمالها في حساب درجة العرض التقريبية عندما نكون في البحر .



الفصل الثاني

الدراسات الانكليزية وأعمال أحمد بن ماجد

كتب باحثون كثيرون عن الملاحة العربية باللغة الانكليزية . نختار منهم جيمس برنسب وجيرالد ر . تيبتز اللذين سوف نستعرض بعض أعمالهما .

جيمس برنسب

فجيمس برنسب كان أمين سر الجمعية الآسيوية في البنغال في مركزها في مدينة كلكوتا . وقد اشتهر بترجمة الأبواب ١و٢و٨و٩و١٠ من كتاب المحيط التركي ، نقلاً عن ترجمة المستشرق النمساوي جوزيف فون هامر باللغة الالمانية ، ونشرها في مجلة جمعيته[1] . كذلك اجرى بحثين طريفين عن الديرة النجمية العربية وعن آلات الملاحة عندالعرب ، ظهرا أيضا في مجلة الجمعية الآسيوية في البنغال . وسوف نلخص مذكرته عن آلات الملاحة عند العرب .

مذكرة عن آلات الملاحة عند العرب[2]

دأب جيمس برنسب في سؤال معالمة السفن العربية القادمة الى مرفأ كلكوتا عن الآلة التي يستعملونها لقياس درجة العرض ، آملا ان يحصل منهم على اجابة

(١) انظر الفصل الرابع من القسم الثاني : نقل بعض مصنفات احمد بن ماجد الى اللغة التركية : كتاب المحيط ، ص٧٤ .

(٢) المرشدات الملاحية والرهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الثالث ، ص١ ـ ٢٤ .

توضح ترجمة المحيط التي أجراها البارون جوزيف فون هامر . إلا انه لم يصل الى نتيجة لاستبدال المعالمة الجهاز القديم على تلك السفن بآلة الربع او آلة السدس الانكليزيتين . مع ذلك تعرف احد المعالمة ، فيما يبدو ، على الآلة التي وصفها له برنسب ، لكنه عجز عن شرح صنعها ووعده ان يجلب له إحداها في سفر لاحق ، وعندما سأله عن الإصبع ، مدّ المعلم ذراعية وضم أصابعه أفقيا ، وحسب ارتفاع نجم القطب . وتصور برنسب ان البحارة العرب القدامى كانوا يستعملون مثل تلك الطريقة البسيطة.

ومع مرور الزمن ، التقى في احدى سفن جزر الملديف بمعلم زكي جلب له الآلات القديمة التي كان يستخدمها لمعرفة مجاريه في أسفاره الى كلكوتا .

وجزم برنسب ان تلك الآلات عربية ، وإن كانت غير معروفة عند جميع المعالمة . وسماها «الكمال» ووصفها على الوجه التالي :

تتألف الآلة من متوازي الأضلاع مصنوع من قرن (طوله انشان وعرضه انش واحد) ادخل في مركزه خيط (او خيطان في بعض الحالات) معقود عليه تسع عقد متباعدة . فإذا اراد المعلم أخذ ارتفاع الجدي (الجاه) ، عض على الخيط بأسنانه ، وأبعد القرن عن نظره بمد يده حتى يلامس حرف القرن الأسفل أفق المحيط برؤية العين ، ويقع حرفه الأعلى ازاء الكوكب بدقة . عندئذ يعطي رقم العقدة القريبة من الفم ارتفاع الجاه .

ويفسر برنسب عقد العقد في أماكنها ويشرح تباعدها هندسيا ، ثم ينتقل الى وصف البلستي ويتحدث بعده عن الديرة النجمية العربية . ويذكر في سياق الكلام عنها قيامه بمساع حثيثة على جميع السفن ليحصل على ديرة عربية ، وعثور صديقه المعلم سيد حسين سيدي على رسم لها في مرشد بحري يسمى «ماجد كتاب» في جزر الملديف ، ونقله اياه بالطباعة الحجرية . ومازال الباحثون حتى الان يرددون أقوال برنسب عن «الكمال» وعن الديرة النجمية وعن الألواح الموصوفة في الفصل الأول من الباب الخامس من كتاب المحيط . إلا ان كلام برنسب يعتمد على تحرياته الشخصية أو على معطيات كتاب المحيط ، لا على النصوص الملاحية العربية مباشرة . وقد أوجزناه لأهميته وسهولة الرجوع اليه .

جيرالد ر . تيبتز

تيبتز مستشرقٌ انكليزي انكب على دراسة النصوص الملاحية العربية . وبذل في فهمها جهد مقدرته . وتوفرت له ظروف مثلى في انكلترة وعلاقات طيبة في باريس ودمشق والمانية الغربية . واستطاع أن ينشر عنها ، من عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٧١ ، أبحاثاً عديدة نذكر منها :

آ ـ مقالاً عنوانه «شبه جزيرة ماليزية كما عرفها الجغرافيون العرب» ، المجلة الماليزية للجغرافية المدارية ، مجلد ٩ ، كانون الاول ١٩٥٦ ، ص ٢١ ـ ٦٠ ، خص سليمان المهري وأحمد بن ماجد بثلثه (القسم الثاني : ١٤٥٠/١٥٥٠ : ص ٤٧ ـ ٦٠) .

ب ـ ومقالاً آخر عنوانه «الملاحة العربية في البحر الأحمر» ، المجلة الجغرافية ، مجلد ١١٧ ، ج٣ ، ايلول ١٩٦١ ، ص ٣٢٣ ـ ٣٣٤

جـ ـ وبحثاً عنوانه «نظرية العرب الملاحية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر» ، منشورات جمعية الداراسات الكرتوغرافية القديمة ، رقم ٣٦ ، كويمبرة ١٩٦٥

د ـ وبحثاً آخر عنوانه «اسماء النجوم عند الملاحين العرب وكتاب أسماء الكواكب لبول كونتز» ، مجلة «دير اسلام» ، مجلد ٤٠ ، برلين شباط ١٩٦٥ ، ص ١٨٥ ـ ١٩٧

هـ ـ وكتاب «الملاحة العربية في بحر الهند قبل مجيء البرتغاليين ، وهو ترجمة كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد ، تأليف أحمد بن ماجد النجدي ، مع مدخل عن تاريخ الملاحة العربية ، وحواشي عن التقنيات الملاحية وعن طوبوغرافية بحر الهند ، ومعجم المصطلحات الملاحية ، لندن ١٩٧١

ولا تهمنا مطبوعاته الأخرى عن جزيرة العرب ، ولا نستعرض هنا إلا عمله رقم ٥ الذي يستحق إقدامه على إنجازه الإكبار والإعجاب ، لأنه كان يدرك كل الإدراك الصعوبات التي تعترضه .

وفيما يلي تحليل لأقسام كتاب تيبتز ، يسبقه تعريف سريع به ، وتوضيح نظرته الى فوائد أحمد بن ماجد .

أولا ـ التعريف بتيبتز[1]

مهنة تيبتز الحقيقية قيم مكتبة ، لكنه يعتبر نفسه مستعربا له اهتمامات بالجغرافية . وقد حصل من أكسفورد على شهادة في الدراسات الشرقية في اللغتين العربية والعبرية سنة ١٩٥٠ ، ومن جامعة لندن على شهادة اختصاص في المكتبات سنة ١٩٥٣ . وأصبح عضواً في جمعية المكتبات الانكليزية سنة ١٩٦٠ .

وعني بالجغرافية والخرائط . وتمثلت تجربته الأولى في هذا المجال ، في اشتراكه بإعداد مادة أطلس أكسفورد عامي ١٩٥٠ و١٩٥١ . وثابر على هذا الاهتمام ، فوضع ثبتاً بخرائط جزيرة العرب القديمة التي رسمها الأوربيون ، ونال به شهادة اختصاص بالمكتبات (سنة ١٩٥٣) في اثناء عمله في مكتبة مدرسة الدراسات الإفريقية والشرقية في لندن .

وانتقل بعد ذلك الى جامعة ماليزية في سنغافورة ، وشغل فيها وظيفة قيم على مكتبتها مدة سنتين ، درس في أثنائهما وصف الجغرافيين العرب جنوبي شرقي آسية . وعين عام ١٩٥٧ ، وكيل أمين مكتبة جامعة الخرطوم . وشرع في هذه المدينة كتابة مؤلفه «الملاحة العربية في بحر الهند قبل مجيء البرتغاليين . .» ، وبدأ بدراسة طوبوغرافية البحر الأحمر وبترجمة الفائدة الثانية عشرة من كتاب فوائد أحمد بن ماجد ، التي تشرح ملاحة البحر الأحمر .

وعاد الى إنكلترة سنة ١٩٦٠ ، وعمل فيها أمين مكتبة المعهد الشرقي في أكسفورد ذاتها . وذهب في عام ١٩٦٤ الى نيجيرية ، وعين في كانو أمين مكتبة معهد عبد الله بايرو ، المنشأ حديثا والتابع لجامعة أحمدو بيلو في زاريا ، وتخصص في الدراسات الاسلامية . وهنالك ، في مدينتي كانو وزاريا ، أكمل كتابه .

---

(١) مصدر معلوماتنا عنه رسالة خاصة بعث بها الينا تيبتز نفسه في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٩٦٩ .

ثانيا ـ نظرة تيبتز الى كتاب فوائد أحمد بن ماجد

وبذا يتضح أن تيبتز بذل جهوداً مضنية متواصلة على مدى زمن طويل جدا ، ليترجم «فوائد ابن ماجد» . لكن يصعب استجلاء موقفه منه : فهو تارة يكيل له المديح ، ويأسف طوراً لتفككه وانعدام التسلسل المنطقي فيه ولنقص أبحاثه اذا ما قورن بمحتوى حاوية الاختصار في أصول علم البحار .

آ ـ ثناء تيبتز على كتاب الفوائد

فقد قال تيبتز عن كتاب الفوائد سنة ١٩٦٩ : «يمثل عمل ابن ماجد المنثور الطويل المعنون «الفوائد» أو «كتاب الاشياء المفيدة» الوارد في أول المخطوطة ٢٢٩٢ ، المفتاح الحقيقي لدراسة الملاحة العربية . وواظبت على إمعان النظر فيه ١٥ عاماً تقريباً ، قمت خلالها بترجمته ومحاولة فهمه . وأشعر الآن بعد انقضاء هذا الزمن المديد ، أنني في وضع يمكنني من عرض نتائج ما بذلته من جهود في سبيل إيضاح النظرية المشروحة في نصوصه . ويوحي لي شعوري أيضا أن بوسعي زيادة إضافات هائلة الى نتائج جهود دي سوسور وغيره . وأن أفسر تفسيراً صحيحاً ملائماً المناهج المتبعة عند معالمة بحر الهند الضليعين في العلم أو الأدب دون سواهم»[1] وفي عام ١٩٧١ ، سمى تيبتز «فوائد ابن ماجد» «الكتاب العظيم» واستعمل التعبير اللاتيني لتفخيمه (Opus Magnum)[2] . وتصوّر أيضا في عام ١٩٧١ أن «مصنف الفوائد يمثل محاولة ابن ماجد الوحيدة لكتابة عمل نثري طويل كامل الأبحاث ، مما يضفي أهمية خاصة عليه دون سائر التصانيف باستثناء الحاوية . . . ويبدو أن ابن ماجد أراده أعظم إنجاز ملاحي وأعظم إنجاز أدبي معاً . . . . وقد جعله موسوعة ملاحية وضعت ليفيد منها المعالمة . وأرجّح -

---

(١) تيبتز ، «نظرية العرب الملاحية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر» ، ص ٤ ، س ٢ - ١٢ من نسخة مضروبة على الآلة الكاتبة ومرسلة لنا سنة ١٩٦٩ قبل طبع المقال في كويمبرة ، وص ٥ ، س ٢٦ ـ ٣٤ من النص المطبوع .

(٢) تيبتز ، «الملاحة العربية في بحر الهند . . .» ، ص ٨ ،س ٢٧ - ٢٨

والكلام لتيبتز على الدوام ـ أن فكرة إنتاج عمل كبير شبيه بـ «الكتب الكبار» دارت في خلد ابن ماجد»[1].

ويتبادر الى ذهننا نحن أن تقويم تيبتز لفوائد ابن ماجد على هذا النحو سابقاً ولاحقاً ، تكرار لما عبر عنه غبرييل فران سنة ١٩٢٨ ، اي قبله بأربعين عاماً ونيف ، عندما يقول : «يمثل كتاب الفوائد بلا جدل أهم تصانيف المعلم الشهير . وقد كتب له ثلاث مسودات تعود ثالثتها الى ١٤٨٩ / ١٤٩٠[2] . ويبدو نصه عرضا شاملا يجمل علم الملاحة الفلكية في زمنه . وبذا يصبح ابن ماجد أول مؤلفي المرشدات الملاحية في العصور الحديثة . فعمله هذا رائع جدا . . . . . بالتالي كتاب الفوائد مصنف سن نضوجه . . .»[3] .

ب ـ إلحاح تيبتز على تفكك كتاب الفوائد

ولا تعني إشادة تيبتز بكتاب الفوائد أنه مقتنع بوحدة موضوعه . فهو يعبر عن شكه فيها ، ويدرس مخططه ليستجلي ما يظن أنه الحقيقة ، فيستنتج منه أنه مصنف متفكك يتألف من جزئين وضعا مستقلين في الأصل ، ثم جمعا جمعاً ، ونشأت «الفوائد» عن ضمهما . وأقوال تيبتز في هذا الشأن صريحة ومعلنة في تحليل طريف يقول فيه : «إذا تأملنا في مخطط كتاب الفوائد ، تبين لنا أنه يحوي قسمين منفصلين ، يشمل أولهما الفوائد ١ ـ ٥ ويتحدث عن النجوم التي لا يستغنى عنها في الملاحة ، وينتهي بعرض مواضيع شتى في الفائدة الخامسة . ويجوز لنا أن نعتبر هذا القسم عملاً مستقلاً ـ يحتمل أنه كتب في وقت سابق ـ يشرح الاستفادة من النجوم في شؤون الملاحة .

---

(١) تيبتز ، «الملاحة العربية . . .» ص ٢٣ ، س ٢٠ ـ ٤٣

(٢) الصحيح نسختان احداهما مطولة والاخرى مختصرة

(٣) المرشدات الملاحية والرهمانجات العربية والبرتغالية ، المجلد الثالث ، المدخل الى الفلك الملاحي العربي ، ص ٢١٩ ، س ٣ الى ص ٢٢٠ ، ص ١٩

ويستأنف القسم الثاني ، في الفوائد ٦ ـ ٨ ، العرض النظري الرصين ، بعد انخفاض المستوى العلمي في الفائدة الخامسة، ويصف الدير وتقنياتها على وجه الإجمال . ويعود الى تفصيل هذه التقنيات في الفائدة ٧ (القياس) وفي الفائدة ٨ (الإشارات) والموسميات في الفائدة ١١ . اما الفائدتان ٩ و١٠ ، فتصفان سواحل العالم وبعض الجزر ، وتمثلان تذييلين لا عنصرين اساسيين في سياق الأفكار المطروحة. وتعد الفائدة ١٢ تذييلاً أيضاً يصف بالتفصيل بحر القلزم وطرقه الملاحية : وهذا موضوع احتل حيزاً كبيراً من الحاوية[1] واستبعده ابن ماجد من فوائده مدة طويلة .

ويتضح لنا من تحليل مخطط الفوائد «أن متنها صيغ من نصوص نقلت من عملين نثريين طويلين أو من أكثر من عملين ، ومن بعض الرسائل النثرية (الفوائد ٩ ، ١٠ ، ١٢) . ويؤيد ابن ماجد نفسه رأينا حين يشير في آخر الفائدة ١٢ الى اشتمال كتابه على ١٠ فوائد تضاف اليها الفائدة الجارية كتابتها .[2] . فهل كان متردداً ، لم يستقر ذهنه بعد على عدد الرسائل التي يرغب في إدراجها في كتابه؟

واذا تعمقنا في دراسة النص بتفاصيله ، تبين لنا أن جمعه من أجزاء لا رابطة بينها أعقد بكثير مما نتصور . فسياق الفائدة ٨ ينقطع فجأة في وسط جملة تشرح الطوفان ، وينتقل الى موضوع آخر[3] . وكلام الفائدة ٧ خال من التناسق ، بل يرجع باستمرار الى نقطة من البر سبق الحديث عنها . والفائدة ١٢ مركبة أيضاً ـ أدخلت فيها مواقع التكيات في فقرات متقطعة .

---

(١) ٥٢ بيتا من الفصل الخامس فقط (٢٠ ـ ٧١) . وعدد ابيات الحاوية ١٠٨٢ بيتا .

(٢) لا يحيل تبتز الى نص معين ، لكن واضح ان النص المقصود هو الجملة الواردة في الورقة ٨٨ وجه ، س ١٠ ـ ١١ ، وهي : فاني استحضرت هذا الجزء في هذا البحر من وغيره من عشرة اجزاء . . الخ» .

(٣) اشارة واضحة الى الورقة ٥٩ وجه ، س ٦ ـ ١٠ من المخطوطة ٢٢٩٣ ، حيث جاء : «وينبغي ان يعرف المعلم الطوفان واشاراته . فما عندنا فيها اصح للمطر من حرارة الماء وتغير الارياح . ما عندنا فيها اصح من مندل الاصايل الذي هو بعد الظهر . واما الطوفان الخطر فله ثلاثة منادل كطوفان اربعين النيروز : تقطع الغيم كجلود البقر ، والبرق والسرطان بالماء وشدة حرارة الماء . وربما كانت المنادل للشمس والقمر لشدة الطوفان . واما الحشيش . . . الخ» .

والواقع أن كتاب الفوائد يمثل إما مجموعة مأخوذة من أعمال نثرية كتبت من قبل ، وإما مجموعة مذكرات مقتضبة ، دونت كيفما اتفق ، وأعدت حسب مخطط او مخططات وضعت مسبقاً ، ثم دمجت دمجاً ، وجعلت عملاً واحداً بلا عناية فائقة . وهذه التجزئة صفة بارزة فيه ، تخلو منها حاوية الاختصار في أصول علم البحار المتسقة التأليف .

واذا تقيدنا بكلام ابن ماجد حرفياً ، تسنى لنا تفسير تأليف عمله بفرضية بديلة عن تحليلنا السابق . فهو يقول في أماكن عديدة من مصنفه إنه يختصر او يكتب باختصار . فيحتمل أنه حرر كتابا أطول من كتابه الحالي وأسهب في أبحاثه ، ثم عاد فلخصه كثيراً ليصلح للنشر . ويحتمل أيضاً أن يكون قد سبق له ودوّن مواد وافرة في مذكرات ، جمع منها كتاب الفوائد بعد اختياره منها ما أراده وظنّه جديراً بالنشر . ويعلل هذا الاختيار الإفراط في ايجاز بعض المواضيع الى درجة إغفال تعريف بعض المصطلحات الهامة مثل الباشي والنيروز المشروحين في الحاوية التي خصت الألفاظ الأساسية بفصلين (٢و٣)[1] ، مثلما يفسر الاختصار غير المجدي في بعض الفوائد (مثل الفائدة ٣) ، والبتر التام أحياناً ، كما في فقرة الطوفان في الفائدة ٨»[2] .

جـ - إبراز تيبتز نقص أبحاث كتاب الفوائد

وينتقل تيبتز من تبيان ماظنه تفككاً في كتاب الفوائد إلى إبراز ماتصوره ضعفاً فيه ، فقارن محتوياته بمحتويات حاوية الاختصار وخلص الى ما يلي : «يتمثل الفرق الرئيس (بين حاوية الاختصار وكتاب الفوائد) في نقص فصول الدير في كتاب الفوائد (يقصد مضمون الفصول ٥ و٦ و٧ من الحاوية) إذ أدرجت فيه المعلومات الوحيدة عن الدير كحشو في بعض فوائده (٧ و٨) او كتذييل في آخر الفائدة ١٢ بالنسبة الى طرق الملاحة في بحر القلزم . ولعل ابن ماجد اغفل شرح

---

(١) يتناقض هذا القول مع محتويات فصلي الحاوية الحقيقية .

(٢) تيبتز ، الملاحة العربية . . . ، ص ٣٦ ، س ٢٤ - ٤٢ وص ٣٧ ، س ١ - ٣٠

الدير في كتاب الفوائد لأنه اعتبر أن ما ورد في الحاوية ما يزال صحيحاً او أنه أنف التكرار أو أراد أن يقتصر مخطط كتاب الفوائد الأساسي على عرض النواحي النظرية دون الجوانب التطبيقية .

ويبدو تبرير نقص فصل المسافات أصعب من تبرير إغفال الدير ، لأن المسافات جزء من البحث النظري شأنها شأن القياسات المعروضة في الفائدة السابعة .

بالمقابل بحث الموسميات في كتاب الفوائد غير وارد في الحاوية . وهذا هو النقص الخطير الوحيد الذي يدمغ هذه الأرجوزة»[1]

وهكذا ، أصبح رأي تيبتز في كتاب الفوائد واضحاً بجلاء تام . وقد كونه بعد دراسته وتحليله وتمحيصه والتفكير ملياً فيه ، طيلة ١٥ عاماً متواصلة من سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٧١ . وهو يعتبره «كتاباً عظيماً» وموسوعة ملاحية ، يشوبها أنها متفككة ، جمعت جمعا من مذكرات أقدم منها ، او اختصرت اختصاراً من أعمال سابقة لها ، وأنها تنقصها أبحاث أساسية كالدير والمسافات .

ويستشهد تيبتز ، في سياق كلامه ، بنصين فهم معناهما خلافاً لما نفهمه نحن :

١ ـ فابن ماجد عندما يقول في آخر الفائدة ١٢ (بحر القلزم) : «فإني استحضرت هذا الجزء في هذا البحر وغيره من عشرة أجزاء ، ليترقى به الإنسان . . .» لا يقصد لا من قريب ولا من بعيد «فوائد كتاب الفوائد» العشر ولا الفائدة ١٢ الجارية كتابتها مثلما تصور تيبتز (الورقة ٨٨ وجه ، س١٠ ـ ١١) .

٢ ـ وشرح نص الفائدة الثامنة (الورقة ٥٩ وجه ، س ٦ ـ ١٠) إشارة الطوفان ، ولما انتهى منها ، انتقل الى إشارة الحشيش ، ثم الى إشارة المارزة . . . لأنه

---

(١) تيبتز ، الملاحة العربية . . .، ص ٣٦ ، س ١٠ ـ ٢٤ . تتحدث الحاوية في فصلها الأول ، الابيات ٣٨ ـ ٤٧ عن الارياح (= الموسميات) ومواسم السفر وغلق البحر والمفتاح .

يستعرض الإشارات ويعددها واحدة واحدة ويعلق عليها . فلا نرى اي انقطاع في هذا السياق او التسلسل .

من جهة ثانية ، لا ينفرد كتاب الفوائد بالحديث عن الموسميات وعن مواسم السفر ، فالحاوية تطرقت إليها أيضا والى الرياح والى الغلق والمفتاح ، وحددت أوقاتها بدقة استناداً الى استقلال المنازل وعلى حساب النيروز أيضاً (الفصل الأول ، الأبيات ٣٨ ـ ٤٧) .

أخيراً ، يرتبط التفكك الملحوظ في متن كتاب الفوائد ، والنقص المشار اليه في أبحاثه ، بصلة وثيقة بعنوانه ، وفهم تيبتز لتسميته .

د ـ فهم تيبتز تسمية كتاب الفوائد

وقد وضع تيبتز التسمية التالية : «كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد» تأليف أحمد بن ماجد النجدي ، ضمن العنوان الانكليزي لترجمته التي سماها «الملاحة العربية في بحر الهند قبل مجيء البرتغاليين . . .»

ويتضمن هذا العنوان إسقاطاً وإسناد نعت لغير منعوته . فالإسقاط إغفال إعادة كلمة «علم» المنسية الى مكانها بين أصول . . . بحر ، مع أن الاسم الكامل وارد حرفياً في الورقة الأخيرة من المخطوطة ٢٢٩٢ المترجمة (الورقة ٨٨ وجه ، س ١٥ ـ ١٦) : «وهو المسمى بكتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد» . وإسناد النعت لغير منعوته جار في تسمية المؤلف «أحمد ابن ماجد النجدي» . فالنجدي صفة «أبي الركايب» جد ابن ماجد التاسع في جميع نسخ النصوص الملاحية ، ولم يلقب بها أحمد بن ماجد أبداً ، فلا يجوز نعته بها .

وأهم من هذا وذاك معنى لفظ «الفوائد» في عنوان المصنف . فالفائدة عند أهل اللغة ما يكسبه الإنسان من مال او سواه ، بالتالي الأشياء المفيدة . أما عند النحاة وأهل الفلك وأهل البحر وأهل الميقات وغيرهم ، فشرح إضافي يأتي بعد قاعدة عامة ، ويشتمل على إيضاح تفصيل معين لم يرد في المبدأ المنصوص عليه

قبله . بالتالي ، يعني كتاب الفوائد في ذهن أحمد بن ماجد كتاب الشروح . لذلك جاء متنه متفككا وخلا من الأبحاث التي لا تحتاج الى تفسير جديد ، وطال أحد الشروح أو قصر حسب الضرورة .

إلا أن تيبتز أخذ «الفوائد» بمعناها اللغوي أي «الأشياء المفيدة» ، فحيره تفكك النصوص ونقص الأبحاث وقصر هذه الفائدة أو تلك أو طولها . وتصور من نقل عن كتب سابقة أو مذكرات قديمة متراكمة ، مع أنه اقترب من الحقيقة عندما استذكر كلام ابن مّاجد عن اختصاره كتابه الحالي من كتاب أطول منه بكثير ، ألفه قبل مختصره . إلا أن تيبتز لم يفكر بكتاب فوائد مطول ولا بكتاب فوائد مختصر لأنه لم يحمل كلام ابن ماجد على محمل الجد أو أنه فهمه خلافاً لما نفهمه نحن .

مع ذلك ، لا يدع ابن ماجد مجالاً للشك بأنه ألف كتاب فوائد مطولاً ، استخلص منه كتاب فوائد مختصراً حين يقول : «ولم نذكر لمعالمة البحر سعدهن ونحسهن وطبائعهن ، فيطول الكتاب . ولا فائدة للمعالمة من سعدهن ونحسهن إلا في القُمر ، لأن معالمة البحر لم ينتفعوا إلا بما ذكرنا . ويطول الكتاب عليهم ، فيفوت مقصدهم . وكنا قد شرحنا كتاباً وشخصناه وطال علينا الكتاب (يقصد المطول) ، فنزعناه (الضمير عائد الى المختصر) منه خوف اندراسه بعد موت مصنفه ، واختصرنا منه هذا . فسنذكر الإخنان واسماءهم ومقابلاتهم وما يليق بهم في هذا الكتاب (المختصر) »[1].

وسمى ابن ماجد كتاب الفوائد «المختصر» في مكانين : في الورقة ٣٠ ظهر ، س ١١ ـ ١٢ ، حيث جاء : لا يليق بهذا المختصر ، ولا يليق بأهل البحر» ، وفي الورقة ٧٨ ، س ١٥ ـ ١٦ حيث قال : « إعلم ، وفقك الله تعالى ، أننا أدخلنا في هذا المختصر من كل شيء أليقه وأحسنه .

---

(١) مخطوطة باريس رقم ٢٢٩٢ ، ورقة ٢٦ ظهر ، س ١٩ ، وورقة ٢٧ وجه ، س ١ ـ ٥

وهذه الإحالات الثلاثة مترجمة تباعاً في كتاب تيبتز في الصفحات التالية : الأولى صفحة ١١٩ ، س ٤٠ ـ ٤١ وص ١٢٠ ، س ١ ـ ٩ ، والثانية ص ١٢٩ ، س ٣ ـ ٤ ، والثالثة ص ٢٤٣ ، س ١ ـ ٢ .

لكن تبدل مضمون الإحالة الأولى في أداء تيبتز ، فأتت كما يلي : «لا يحتاج معالمة البحر الى معرفة سعد النجوم أو نحسها أو طبيعتها . فهذه كلها تجعل الكتاب مفرط الطول ، وما يحتاج اليه المعالمة هو ما ذكرناه فقط ، وإلا أفرط في طول الكتاب ، وفاتهم قصدهم . وقد علقنا على كل شيء شرحناه ، وأفرطنا في طول الكتاب . وخشينا أن يضيع على ذريتنا ، فكثفناه واختصرناه جهد المستطاع . وسوف نذكر الآن في هذا الكتاب الأخنان وأسماءها ونقارنها ونشير الى كل ما يليق بها» . والبون شاسع بين أصل ابن ماجد وترجمة تيبتز له .

أما «المختصر» فقد عبر تيبتز عنه بدقة في ترجمته الإحالتين الباقيتين ، دون أن يفيد منه في تعليل ملاحظاته الصحيحة عن التفكك في النص والنقص في الأبحاث .

ولعل ما أبعد تيبتز عن التعليل الصحيح نص أحمد بن ماجد التالي : «ها أنا اختصرت منه ـ الضمير عائد الى علم البحر ـ ما يليق لأهل زماني في هذا الكتاب المسمى بكتاب الفوائد في أصول ـ علم ـ البحر والقواعد . ألفته وصنفته لركاب البحر ورؤسائه . وفيه ما اشتبه من الحاوية وغيرها على الطالبين . وبالله التوفيق . وقد سميناه كتاب الفوائد ، وهو يشتمل على فوائد كثيرة ، غوامض وظواهر . وهي اثنتا عشرة فائدة»[1] .

فقد فهم تيبتز هذا النص خلافا لما نفهمه نحن ، فنقله الى الإنكليزية حسب منطوق المتن التالي : «اختصرت ما يليق لأهل زماني في هذا الكتاب المسمى «كتاب الأشياء المفيدة المتعلقة بمبادىء الملاحة الأولية وقواعدها» . وقد كتبته ونشرته للذين يركبون السفن ولمعالمتها . وهو يحوي مواد خاصة بأولائك

---

(١) مخطوطة باريس رقم ٢٢٩٢ ، ورقة ٢ ظهر ، س ١٠ ـ ١٣

الذين يطلبونها مماثلة لما قيل في الحاوية . وبالله التوفيق . وسميته «كتاب الأشياء المفيدة» ، ويحوي العديد من الأشياء النافعة الخفية والظاهرة ، وجملتها ١٢ قسماً دعيت فوائد (أشياء نافعة أو مفيدة)[1] .

وتدل هذه الترجمة أن تيبتز لم يتبين أن ابن ماجد يصرح في نصه أنه حرر كتاب الفوائد ليشرح فيه ما اشتبه من الحاوية وغيرها ، اي ما اختلط أو أشكل فهمه في الحاوية وغيرها من الأراجيز على أصحاب الأسفار البعيدة أو المعالمة (= الطالبين) .

مهما يكن ، تلك كانت آراء تيبتز في متن ابن ماجد الذي نقله الى الانكليزية . فما هي قيمة كتابه بأقسامه الأربعة المعنونة كما يلي :

القسم الأول الملاحون وأعمالهم
القسم الثاني ترجمة كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد لأحمد بن ماجد
القسم الثالث النظرية الملاحية
القسم الرابع طوبوغرافية النصوص الملاحية

سوف نستعرض هذه الأقسام واحداً واحداً . ونبدأ بأولها .

ثالثاً ـ نظرة إلى القسم الأول من كتاب تيبتز «الملاحة العربية . . .» :

الملاحون وأعمالهم

يلخص تيبتز في صفحات قسمه الأول الثلاث والستين ، ثلاثة مواضيع ، تشمل الملاحة في بحر الهند قبل ابن ماجد ، ثم ابن ماجد وأعماله ، وأخيراً الملاحة في بحر الهند بعد ابن ماجد . ويختمها بملحق عن السفينة العربية بمعلمها وطاقم بحارتها .

---

(١) تيبتز ، الملاحية العربية في بحر الهند قبل مجيء البرتغاليين. . . . ، ص ٦٨ ، ص ٩ ـ ١٧

آ ـ الملاحة في بحر الهند قبل ابن ماجد

ويقسم ملاحة بحر الهند الى حقبة قديمة وحقبة إسلامية .

١ ـ ملاحة بحر الهند في الحقبة القديمة : ٢٠٠٠ ق م ـ ٦٢٢ م

فالحقبة الأولى تعود الى أصول واغلة في القدم ، وتتحدث أقدم وثائقها المكتوبة الصينية والهندية عن التجارة في «المحيط» ، وتشير نقوشها السومرية الى بناء سفن تجارية في عمان . وعثر فيها في مواقع سومرية قديمة على خشب مجلوب من الهند . اذن كانت السفن تقطع البحر من جزيرة العرب الى الهند منذ ٢٠٠٠ سنة ق م . وذكر اليونان والرومان في وقت لاحق الملاحة في بحر الهند في كتاباتهم ، واشتركوا بها . ووصف كتاب «الطواف حول البحر الأحمر» تجارة بحر الهند والملاحة فيه في القرن الأول الميلادي . اذن وصل علم الملاحة في بحر الهند في ذلك القرن الى مستواه في القرن الخامس عشر ، قبل ركوب العرب المسلمين له بزمن طويل جداً . وينهي تيبتز هذه الحقبة بنقل وصف المعلم الكامل من وثيقة جاتامالاسوتره ، القريب تاريخها من تاريخ الطواف حول البحر الاحمر ، ويلاحظ الشبه الكبير بين هذا الوصف وبين وصف ابن ماجد له . وقد اختار هذا المرجع لأنه اعتبره أوضح نص يتحدث عن المعالمة والملاحة في عرض البحر .

هذه أقوال تيبتز التي تستدعي ثلاثة تحفظات :

١ ـ أثبتت الوثائق المكتشفة حديثاً أن سفن تلوون (البحرين) وماغان (العين او الحسا أوعمان) وملوخا (المليحة في الإمارات) كانت تقوم برحلات إلى ميناء أكاد على الفرات والى البنادر الهندية منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد . بالتالي ، تعود الملاحة العربية المحيطية الى هذا التاريخ والى ما قبله لا الى الألف الثانية ق م[1] .

---

(١) جيروليه والزر ، الامبراطورية الفارسية ، دراسات في جغرافية الشرق الادنى القديم واتنوغرافيته ، ويسبادن ، ١٩٦٨ ، ص ٢٧٦ ، فقرة ٢٢٣ ؛ الملاحون الاوائل، س ١ الخ . مأخوذ من ت . و . رايس ديفيس ، «محاورات بوذه» ١٨٨٩ ، ١ ، ٢٨٣

٢ ـ وثيقة جاتامالاسوتره متأخرة بالنسبة الى المتون المكتوبة التى تتحدث عن الملاحة وعن المعالمة في بحر الهند . فقد ورد في كتاب «كافاذه سوتا» من القرن الخامس ق م او حتى قبله ، مايلي : في قديم الزمان ، في زمن واغل كثيراً في القدم ، كان التجار المسافرون في البحر في رحلة اوقيانوسية ، يأخذون معهم طير استكشاف البر . فمتى غيبوا الساحل ، أطلقوه في الجو ، فيتجه الى الشرق والجنوب والغرب والشمال والسمت ، والى الجهات الفرعية الواقعة بين هذه الجهات الأصلية . فإن أبصر براً في أحد الآفاق ، قصده ولم يعد . وإذا لم يشاهد براً ، رجع الى السفينة»[1] .

وفي ملحمة كلكامش السومرية البابلية (القرن ٢٧ ق م) ، اللوح ١١ ، نص مماثل يتعلق بفلك اوتانابشتيم ، يقول : «في اليوم الثالث ، أطلقت حمامة ، فطارت ثم عادت لأنـها لم تجد مستقراً لها» . وفي اليوم السابع عشر أطلقت السنونوة ، فرجعت . وفي اليوم السابع والعشرين ، أطلقت الغراب ، «فشاهد انحسار الماء بعد ثلاثة أيام ، وأكل واعتش ، ولم يعد» . وكان في فلك أوتانابشتيم «أويل ملاخي» أي رئيس ملاحين أو معلم ، يحتفظ بمفاتيح مستودعات السفينة[2]

٣ ـ لعل تيبتز سها عن فصول الطواف حول البحر الأحمر التي تشيد بمهارة عرب اليمن والخليج بالملاحة ، وتتحدث عن الامبراطورية البحرية الحميرية في إفريقية .

٢ ـ ملاحة بحر الهند في الحقبة الإسلامية : ٦٢٢ ـ ١٥٠٠م

يقسم تيبتز الحقبة الإسلامية الى ثلاث فترات : من ظهور الإسلام حتى القرن العاشر الميلادي ، ومن القرن العاشر الى منتصف القرن الرابع عشر ، ومن منتصف القرن الرابع عشر الى مطلع القرن السادس عشر .

---

(١) المرجع ذاته ، ص ٢٧٦ ، ص ١٢ ـ ٢٠
(٢) المرجع ذاته ، ص ٢٧٦ ، س ٢٢ ـ ٣٠

١ ـ الفترة الأولى : ٦٢٢ ـ ١٠٠٠ م

اعتبر تيبتز أن الفتوحات الإسلامية عرقلت النشاط التجاري في بحر الهند في البدء ، وقضت على حوافز ازدهاره . إلا أنه انتعش في العصر العباسي . وابن خرداذبة أول من تحدث في كتابه المسالك والممالك عن انتعاشه وعن طرقه البحرية الى الهند والشرق الأقصى حتى كوريا . كذلك تحدث عنه كتاب أخبار الصين والهند نقلاً عن سليمان التاجر . وتضمّن كتابا المسالك والممالك وأخبار الصين والهند معطيات عن المسافات بين البنادر وعن أماكن الاستعذاب وما شابهها ، مما يدل ، في رأي تيبتز ، على أن معلوماتها مستقاة من مصنفات ملاحية توفرت لكاتبيها وكانت شائعة في بحر الهند منذ نشرهما ، اي عام ٨٥٠م باللغة العربية او باللغة الفارسية كما يقول .

٢ ـ الفترة الثانية : ١٠٠٠ ـ ١٣٥٠ م

ويحصر تيبتز الفترة الثانية بين تاريخ عجائب الهند وبين أسفار ابن بطوطة حوالي سنة ١٣٥٠م (رحلة ابن بطوطة او تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) . ويلفت الأنظار الى بعض الألفاظ الملاحية في عجائب الهند (النواخذه ، الزام) والى مبدأ سلوك الربابنة . ويبرز امتناع ابن بطوطة عن الكلام عن شؤون الملاحين والملاحة ، في حين أبدى الرحالة الأوربيون إعجابهم بها في كتب رحلاتهم مثل نيقولا كونتي ، ويؤكد تيبتز ان ما ذكره يمثل كل ما جاء في الكتب العربية عن نظرية العرب الملاحية قبل عصر ابن ماجد .

٣ ـ الفترة الثالثة : ١٣٥٠ ـ ١٥٠٠ م

وهنا يعرض تيبتز تاريخ الملاحة كما جاء في كتاب الفوائد من القرن الرابع الى القرن التاسع الهجريين . وينسب الى ابن ماجد إلحاحه على أهمية الليوث الثلاثة وعلى رهمانجهم النثري ، وإشارته الى جده والى ألفية والده المسماة الحجازية ، ثم إبرازه تفوق علمه على علم الجميع .

وقد أفرط تيبتز في تكثيف الملاحة الإسلامية حتى أضاع معالمها الأساسية . وتستدعي أقواله تحفظات كثيرة . من ذلك ، إغفال تيبتز الإشارة الى نصوص أساسية للمقدسي البشاري والمسعودي وابن المجاور ، ذكرها كرتشكوفسكي ، واعتمد على الأخير منها فران في كلامه عن الرهمانج[1] . ومنه أيضاً ، ظنه هو ول . مرسيل ديفيك قبله أن الربابنة كانوا يؤلفون رابطة فيما بينهم اعتماداً على النص التالي : «ونحن معشر الربانية علينا العهود والمواثيق أن لا نعرض سفينة الى العطب وهي باقية لم يجر عليها قدر . ونحن معشر ربانية السفن لا نطلعها إلا وآجالنا وأعمارنا معنا ، فيها ، فنعيش بسلامتها ، ونموت بعطبها» .[2]

ب ـ ابن ماجد وأعماله

يتناول تيبتز في هذه الفقرة ستة مواضيع : هي حياة ابن ماجد وشهرته ، وأسلوبه الإنشائي وعبقريته الأدبية ، وتصانيفه ، وتاريخ أعماله ، والحاوية ، والفوائد .

١ ـ حياة ابن ماجد وشهرته

ويقول إن ابن ماجد معلم عمل في البحر الأحمر وبحر العرب خاصة . واشتهر بمصنفاته . وظل اسمه حتى القرن التاسع عشر على ألسنة معالمة المحيط الهندي . واتهمه مفتي مكة بجرم إرشاد البرتغاليين . ورغم ذلك لا تستخلص أخباره إلا من تصانيفه .

فنسبه وارد في مطلع كتاب الفوائد ، ويرتفع الى قيس بن عيلان . بالتالي يستنتج تيبتز أنه بدوي من مرتفعات جزيرة العرب الوسطى ، هاجرت أسرته الى

---

(١) كرتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان الهاشم ، القسم الثاني ، ص ٥٦٣ ـ ٥٦٧ . وغبرييل فران ، العنصر الفارسي في النصوص الملاحية العربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، المجلة الاسيوية ، ١٩٢٤ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٤

(٢) عجائب الهند ، ص ٢٢ ، س ٧ ـ ١٠

الساحل المتصالح في عمان . ويروي سيدي جلبي (علي بن الحسين) في مدخل المحيط أن جلفار موطنه .

ووالده وجدّه معلمان . ولا شك أن أباه ماجدا نظم قصائد ملاحية مثل قصائد نجله ، وقد ذكر بعضها بالاسم في النصوص الملاحية بحسب زعم تيبتز . وعمل هذان المعلمان الشهيران في البحر الأحمر ، ويثبت احد النصوص أنهمادارا حول جزيرة العرب . وألّف والد ابن ماجد الأرجوزة الألفية المسماة الحجازية .

ولايعرف تيبتز تاريخ ولادة ابن ماجد ولا تاريخ وفاته ولا شيئاً عن أسرته . ويحاول أن يستخرج هذه المعطيات من تواريخ كتاب الفوائد والسفالية والمخمسة . ويعلل شهرته عند الاوروبيين بإرشاده فاسكوداغاما، ويناقش القضية ويشك في صحتها .

وتستغرب بعض التفاصيل التي رواها تيبتز بصورة جازمة جدا . فماجد والد أحمد نظم الألفية فقط ، ولم تذكر النصوص أي عمل آخر له .

وليست الحاوية أقدم أعمال ابن ماجد المؤرخة : فالقافية قبلها ، وتاريخها ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م . وكل ما يعرف عن تاريخ السفالية هو أنها سميت في البيت ١٦٢ من الذهبية ، بالتالي تعود الى ما قبل ٨٩٥هـ / وحتى الى ما قبل ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م ، لا الى ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م .

٢ ـ اسلوبه الإنشائي وعبقريته الأدبية :

يطلق تيبتز في هذا المقطع حكما عاما على جميع أعمال ابن ماجد ، فيعتبرها خليطا من المعارف الملاحية ، يتضح بجلاء تام في كتاب الفوائد على وجه التخصيص . ويبدو له ان اسلوب هذا المعلم الإنشائي ، إن جازت تسميته اسلوبا ، اسلوب متطفل على الأدب . فلديه فقرات كثيرة ينقطع تسلسلها فجأة تقريبا قبل وصولها الى الفكرة الأساسية . ولا تحصى جمله العادية المتفككة التي تعبر عن أفكار خارجة عن الموضوع .

مع ذلك يرى تيبتز ان ابن ماجد يتبع مخططا واضحا في تصانيفه الشعرية والنثرية على حد سواء . ويجزم أنه وضع عناوين فصوله في الحاوية والفوائد قبل كتابتها ، وأنه تَقيَّد حرفيا بها ، بل ذهب الى حد تفصيل تلك العناوين حسب ترتيب معين ظاهر التسلسل .

ويأخذ عليه تباهيه ببراعته الفائقة بالكتابة والملاحة . فعندما يتحدث ابن ماجد عن خصال المعلم الماهر يوحي أنه هو ذلك المعلم الماهر . ويؤمن أن «المعلم الذي لا فوقه صنف من أصناف المعالمة» هو الذي «يصنف تصانيف ينتفع بها في حياته وينتفع بها بعد مماته» . ومن هنا سعيه الى الإكثار من التأليف ليعرف الناس قدره بعد وفاته .

ويشيد تيبتز بقيام ابن ماجد بتحسين ما صُنِّف قبله بتدقيقه والتحقق من صحته عن طريق تكرار القياسات والتجارب طيلة نصف قرن . ويظن أنه دقق أعماله ذاتها وعدّلها ، فصحح الحاوية في السبعية وفي كتاب الفوائد ، حسبما جاء في الفائدة الرابعة على حد قوله .

وينكر عليه صفة الأديب التي يفتخر بها ، ويعدد مثالب شعره الملاحي وغير الملاحي ، ويسم أراجيزه وقصائده بكثرة الحشو . ويخلص الى القول إن أسوأ ما عند ابن ماجد قصائده الطويلة كالحاوية .

أخيراً ، وبعد أخذ وردّ طويلين ، اعتبر تيبتز ابن ماجد مثقفا واسع الاطلاع على الأدب العربي ، بدليل تسميته شعراء وكتّابا عظاما ومؤلفات جغرافية وفلكية شهيرة .

يسترعي الانتباه في هذا المقطع الجمع في ذهن تيبتز بين «الخليط» وبين تناسق المخطط بعناوينه الكبيرة وتفاصيله الصغيرة . فلعله قصد بالخليط تراكم المعلومات ووفرتها لا فوضاها .

ويحتاج مثال تيبتز عن تطوير مبادىء الملاحة الى ايضاح ما عناه «بتصحيح الحاوية» في السبعية وفي كتاب الفوائد . فابن ماجد تحدث بإيجاز بالغ عن الإغزار

والإرقاق في الحاوية (الفصل العاشر ، الأبيات ٣١-٣٧) ، ثم فصلها في السبعية في ١٠٩ أبيات (الأبيات ١٥٧ - ٢٦٦) وعاد فتكلم عنها في كتاب الفوائد كلاما عابرا . وأظن تيبتز يشير الى هذه الناحية لا الى دمغ الحاوية بالخطأ وتقليل أهميتها .

أخيرا ورد ٥٧ استطرادا أدبيا وغير أدبي في متن كتاب الفوائد ، أي ما يعادل سُبع نَصِّهِ ونيفا . وهذه ظاهرة غريبة تتنافى جملة وتفصيلا مع اسلوب ابن ماجد في تعيين خطوط بحثه الكبرى والصغرى قبل أن يقدم على كتابته . فهل تبدّل ابن ماجد أم دسّت هذه الاستطرادات دسّاً في مصنفه ؟ لا بد من حل هذه القضية قبل الحديث عن ابن ماجد الكاتب او المثقف الواسع الاطلاع . وتتبادر الى ذهننا سابقتا الانتحال المحدود في الحاوية ذاتها والانتحال الكبير في السفالية ، وتدفعاننا الى الشك في صحة نسبة الاستطرادات الى ابن ماجد . وتؤيدنا أقوال ابن ماجد ، الذي كرر فيها أنه لا يسعى وراء الفصاحة ولا وراء الإكثار من الشعر ، بل الى تدوين العلم .

٣ - تصانيف أحمد بن ماجد :

ظن شوموفسكي أن شهرة ابن ماجد ارتبطت بانتشار تصانيفه في الأوساط الشعبية . ورفض تيبتز هذا التخريج ، وسلّم بأنه جاء في مقدمة كتاب الفوائد ان اتقان علم البحر لمعرفة القبلة أفضل من امتهان الملاحة . إلا أن ابن ماجد لم يُعِنْ عامة الناس على فهم علمه ، فلم يشرح لهم مصطلحاته ، وتوقع منهم أن يعرفوا النجوم وجهات الديرة وأجزاء السفينة ، ونظم لهم قصائد ملاحية غامضة ، كوسيلة لحفظ أقواله ، تقتضي منهم اكتساب خبرة واسعة قبل التمكن من الإفادة منها . وفي رأيه أن تصانيف ابن ماجد كتبت لتصحيح تآليف المتقدمين وتحل محلها جريا على تقليد المعالمة العرب في نقل تجاربهم الى الخلف مشافهة أو خطياً .

ويأخذ تيبتز حرفيا عن غبرييل فران إحصاء ٣٥ عملاً من تصانيف ابن ماجد ، ذكر ١٩ منها في المخطوطة ٢٢٩٢ و٣ في المخطوطة ٢٥٥٩ و١٣ في كتاب

الفوائد . وقد زلّ قلم تيبتز في النقل او التعديل او التأويل في كثير من الأحيان . من ذلك :

ـ جعله عدد أبيات تحفة القضاة ٢٩٢ بيتا عوضا عن ٢٩٥ .
ـ وقوله إن ارجوزة بر العرب في خليج فارس غير معنونة .
ـ وجعله عدد أبيات قسمة الجمة على أنجم بنات نعش ٦٨ بيتا عوضا عن ٢٢١ بيتا .
ـ وجعله عدد أبيات كنز المعالمة ٧١ بيتا بدلا من ٧٢ .
ـ وقوله إن ارجوزة النتخات لبر الهند وبر العرب غير معنونة .
ـ وقوله إن المخمسة من بحر الرجز وهي من البحر الطويل .
ـ وقوله إن ضريبة الضرائب غير مؤرخة مع أن تاريخها ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م ، وإنها من بحر الرجز وهي من البحر الطويل .
ـ وتكراره بعد غبرييل فران ان ارجوزة منازل القمر لعلي بن ابي طالب ، في حين أنها منظومة له لا منسوبة له .
ـ وزعمه أن ابن ماجد يتودد لأهل مكة في القصيدة المكية ويحاول وصل ما انقطع بينه وبينهم .
ـ وجعله أبيات نادرة الأبدال ٥٦ بيتا عوضا عن ٥٧ بيتا .
ـ وقوله إن كتاب الفوائد والذهبية كُتِبا سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧ - ١٤٨٨م .
ـ وتكراره أخطاء غبرييل فران في الأعمال المشار اليها في كتاب الفوائد وجعله القصيدة الواحدة أربع قصائد وما شابه ذلك مما اضطرنا الى تخفيض رقم فران عن الأعمال الملاحية من ٣٣ الى ٣٠ بعد شطب الرقمين ٣٤ و٣٥ غير الملاحيين (١) .

ويضيف تيبتز الى احصاء فران عملين خُيّل اليه ان هذا الأخير سها عنهما (رقم٣٦ و٣٧) ثم أراجيز ليننغراد الثلاث ، فيصل الرقم الى ٤٠ . أما الرقم ٣٦ عند تيبتز فأبيات غير ملاحية لا تهمنا . وأما رقمه ٣٧ ، فتصوّرٌ غريب منه لم

---

(١) انظر ما تقدم ، غبرييل فران . أنقصنا الرقمين ٣٤ و ٣٥ مباشرة لأنهما غير ملاحيين ثم نسقنا الباقي حتى وصلنا الى الرقم ٣٠ .

نتوصل الى استيعابه . فقد جاء في إحالته (ورقة ٤٦ وجه ، س ١٧ ـ ١٨) : «ومما اخترعنا . . فقد ذكرنا بعضا منه في الذهبية وشرحها ، بما ذكرناه في الهداية والمعرفة لركاب البحر» . ولا ندري كيف تحول بحث الهداية والمعرفة لركاب البحر ضمن الذهبية وشرح الذهبية عملا مستقلا .

ونقل تيبتز عن ترقيم ترجمة شوموفسكي الروسية عدد أبيات السفالية : فقال ٨٠٥ أبيات . ولو كلّف نفسه عناء عدّ أبياتها في النص العربي المصور ، لوجده ٨٠٧ . ولو قرأ نص السفالية بإمعان لتبين له ان عدد أبياتها الحقيقي ٧٠١ ، مثلما حدده ابن ماجد نفسه في الورقة ٩٦ وجه ، في البيت ١٧(= البيت ٦٩١ من السفالية النظيفة) ، ولأدرك فورا ان ١٠٦ أبيات دست في هذه الأرجوزة الجيدة ، وللاحظ مباشرة ان البيت الأول من الورقة ٩٣ ظهر أحد الأبيات المدسوسة ولما اعتمد عليه ليفترض ان تاريخ السفالية عام ٩٠٦هـ أو سواه . والبيت المنحول هو :

وَجَا لكاليكوتَ خُذْ ذي الفَائِده　　لِعَام تِسْعمَايَة وَسِتَّة زايدَه

اذن لم يأت تيبتز بجديد في حديثه عن أعمال ابن ماجد ، بل اعتمد على أقوال فران وشوموفسكي بلا محاكمة او تدقيق ، فوقع في أخطائهما التي ارتد بعضها على عرضه تأريخ أعمال ابن ماجد .

٤ ـ تأريخ أعمال ابن ماجد :

وفات تيبتز الانتباه الى تاريخي القافية (٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) وضريبة الضرائب (٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) وتاريخ كتاب الفوائد المطول (٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) وتاريخ كتاب الفوائد المختصر (٨٩٥هـ / ١٤٨٩م) . وخفي عليه تاريخ الذهبية الدقيق (٨٩٥هـ / ١٤٨٩م) وتاريخ السفالية الصحيح (قبل عام ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م) . ولم يدرك ان تاريخ مختصر الفوائد والذهبية واحد : ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م هما والمكية . فجاء تقديره التقريبي لسائر تواريخ القصائد الأخرى مغلوطا او مشوشا . وارتكب أخطاء غير مقبولة كأن يعتبر الحاوية باكورة

أعمال ابن ماجد عوضا عن القافية ، أو ينسب اليه ما لم يقله من ان الحاوية من انتاج شبابه غير المجرّب أو يزعم ان السبعية حاوية مصححة ومكثفة ، مما يوحي بأنه لايُقدّر الحاوية حق قدرها . كما انه لم يلحظ أن نظم السبعية استغرق ٢٠ عاما .

٥ ـ التعريف بحاوية الاختصار في أصول علم البحار :

يُعرّف تيبتز بحاوية الاختصار بإيجاز بالغ . ويعتبر أن ابن ماجد قام فيها لأول مرة بعرض النظرية الملاحية عرضا شاملا مكثفا ، اعتمادا على رهمانج الليوث الثلاثة وحده دون سواه . ويظن ، مخطئا ، انها أقدم أعماله المؤرخة . ويذكر أن عدد أبياتها ١٠٨٢ بيتا ، لكن لا يعثر عليها كاملة لا في مخطوطتي باريس ولا في مخطوطة الظاهرية ، مثلما جاء على لسان فران . ويشير الى تقسيمها الى أحد عشر فصلا بعناوينها التقريبية .

ويوحي لنا هذا التلخيص المفرط وما ينطوي عليه من سقطات والنقل عن غبرييل فران بأن تيبتز لم يطالع الحاوية البتة . ولو فعل ، لما فاته ما قاله ابن ماجد في مقدمتها النثرية السلسة بصراحة تامة : «صنفتها مما سلك في عصري من الأراجيز المصنفة والرهمانجات الواسعة المؤلفة» . وجاء كلام ابن ماجد عاما بلا تحفظ ، بالتالي تشمل مراجعه المصادر العربية وغير العربية على حد سواء . ويعود ابن ماجد الى التأكيد على كثرة مصادره ، خاصة الهندية والشولية ، في آخر الحاوية ويقول :

قَدْ راحَ عُمري في المُطالَعاتِ وكَثْـرَةِ التسـآلِ في الجهـاتِ
وكمْ رأيتُ في قُطوطِ الشُّولِ وَنـظْمِـهِ والنَّـثْرِ والفُصُـولِ
وكَمْ نظرتُ في حِسابِ العَرَبِ وحِسْبَةِ الهندِ مُذْ كنتُ صَبِي[1]

٦ ـ التعريف بكتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد :

(١) الحاوية ، الفصل ١١ ، الأبيات ٧٦ ـ ٧٨ . والقطوط الكتب . وتدل جملة «راح عمري» ان ابن ماجد لم يعد شابا ، بل نضج وبلغ الأربعين أو تجاوزها .

يسهب تيبتز في حديثه عن كتاب الفوائد في ست عشرة صفحة ، فيذكر اسمه الصحيح الكامل ، ويتوسع في عرض تفاصيل الشبه بين مخطوطتي باريس والظاهرية ، ويلخص محتويات فوائده الاثنتي عشرة واحدة واحدة ، ويحلل مخططه ويقارنه بمخطط الحاوية ، ويختم كلامه بتعداد مصادره الملاحية والجغرافية والفلكية .

ويلاحظ ان تيبتز اعتبر «بسط الأرض» كتاب ابن سعيد الجغرافي ، في حين لا يمثل هذا العنوان إلا قطعة من مؤلفه الحقيقي : «كتاب الجغرافيا في الأقاليم السبعة»[1] . كذلك تصور أن «مستوفي الأرض ؟» اسم كتاب ابن حوقل . والصحيح أن اسمه «صورة الأرض» أو «المسالك والممالك»[2] . ومستوفي الأرض . . . الخ شرح لمضمونه .

جـ - الملاحة في بحر الهند بعد أحمد بن ماجد :

أخيرا ، ظن تيبتز أنه كتب تاريخ الملاحية العربية من القرن الخامس عشر الى القرن العشرين ، عندما تكلم عن ملاح عربي من القرن السادس عشر ، نعني سليمان المهري ، وعن أمير بحر تركي يدعى عليًّا بن الحسين ، ثم قفز الى النصف الأول من القرن العشرين ليصل الى عيسى بن عبد الوهاب بن عبد العزيز القطامي (١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م - ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م) دون أن يقول كلمة واحدة عن الملاحة في القرون الثلاثة الفاصلة بين سليمان المهري أو علي بن الحسين وبين عيسى القطامي .

ويعدد تيبتز مصنفات المهري أي العمدة والمنهاج وتحفة الفحول في تمهيد الأصول وشرحة التحفة وقلادة الشموس ، ويغمز به تصريحا وتلميحا . كذلك يفعل بسيدي علي الجلبي في حديثه عن كتاب المحيط . ولم يذكر من مؤلفات

---

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ج١ ، ص٣٥٧ - ٣٥٨ .
(٢) المرجع ذاته ، ج١ ، ص٢٠١ .

عيسى القطامي الخمسة إلا دليل المحتار في علم البحار ، والمختصر الخاص للمسافر والطّواش والغوّاص ، ولم يوجز محتوى أي منها .

ونحيل الى الجدول ١ ، ص٦٧ ـ ٧٣ (مقارنة نص المحيط بنصوص ابن ماجد والمهري) المنشور في كتابنا هذا ، لإدراك الفرق بين ما يقوله تيبتز عن ترجمة علي بن الحسين وبين واقع حالها .

خلاصة القول ، يبدو لنا ، بعد التدقيق ، أن القسم الأول من كتاب تيبتز ، الملاحون وأعمالهم ، عمل نقلي صرف ، أُخذ معمظه من أقوال المستشرقين الفرنسيين ومن دراسات محيط علي بن الحسين لتوماشيك وصحبه . وفضل تيبتز الكبير ان تلخيصه يَسَّر ما كتب قبله بعبارات بسيطة ، قد يستسيغها القارىء العادي الذي لا يعرف مَواطن الضعف فيها ، لكنها لا ترضي الباحث الجدّي في تاريخ الملاحة العربية وتقويمها .

د ـ السفينة العربية ومعلمها وطاقمها :

يختتم تيبتز القسم الأول من كتابه «الملاحون وأعمالهم» بنبذة عن السفينة العربية ومعلمها وبحارتها .

١ ـ السفينة العربية :

ولا يأتي بشيء جديد عن السفينة العربية ، ويتخلى ضمنا وعمليا عن إيفاء موضوعها حقه ، ويبادر على الفور الى إحالة قارئه الى ما كتب عنها في مؤلفات ومقالات مصنفين آخرين ، خاصة كتاب الملاحة العربية لجورج فضلو حوراني .

ويكتفي هو بالتعليق على سبعة أسماء سفن تضمنها كتاب الفوائد : هي الجلاب والخشب والطراريد والقطايع والمسماريات والصور والعيكار . ويرى أن الملاحين يعتبرونها كلها مراكب ، وينعتونها بإحدى الصفات التالية : كبيرة ، رزينة ، ثقيلة ، نجيبة ، معتدّة ، مجاوزة ، خفيفة ، ماشية . ولم يعثر على تفاصيل عن شكلها وأبعادها وحمولتها ، إلا ما ذكره ابن ماجد عن حمولة الألف بهار ، وكتاب عجائب الهند عن طول الدقل ٥٠ ذراعا .

ويشرح بعض الألفاظ العادية الخاصة بظهر السفينة ، كالصدر والجوش والعجز والدامن والتقر والفطية والكلب والقدامي والدستور والدبوسة والقلع وتفصيله والفرمن والسكان والأنجر والمادة والسنبوق .

وقسّم تيبتز المركب الى ٣٢ جزءا على غرار الديرة النجمية العربية ، مع أن المعروف أن دورة المركب أي الأفق حوله هو المقسّم الى هذه الأجزاء . وقيمة البهار ٣٠٠ ليبرة في رأيه نقلا عن سرجنت في حين يجعله هوبسون جوبسون ، المرجع الموثوق ، ٤٠٠ ليبرة . وحار في شكل القلع وتفصيله ، على الأرجح لأنه لم يطلع على وصف ابن ماجد له ولرتقه وتبيان أجزائه ودواسجه في الفصل العاشر من الحاوية (الأبيات ٣٨ - ٦٤) . أخيرا استعصت على تيبتز تماما قراءة إحدى الجمل[١] وفهمها في مخطوطة باريس لكثرة التصحيف فيها (أربعة تحريفات) الذي عجز عن إدراكه وتقويمه ، فتصور مثلا أن بنجالة (البنغال المعروفة) غطاء يحمي مستودع السفينة من الأمطار ؟؟؟

٢ - معلم السفينة العربية وطاقمها :

ولا يختلف جوهر حديث تيبتز عن معلم السفينة وطاقمها عن حديثه عن السفينة العربية . فلا جديد فيه ولا طريف . وآراؤه منقولة عن كراتشكوفسكي وفران ، وعن نص من الكتاب الهندي جاتكامالا . ويعتمد أيضا على نص آخر من مجلد«آئين أكبري» لأبي الفضل العلاّمي (٩٥٨هـ / ١٥٥١م - ١٠١١هـ / ١٦٠٢م) وزير السلطان أكبر ، استشهد به شوموفسكي ونقله كاملا ، نعني تصنيف العاملين في السفينة في الهند[٢] حسب مهامهم الى ١٢ صنفا من الملاحين ، ذكر منهم ابن ماجد - الذي عاش قبل أبي الفضل - الناخذه والمعلم وصاحب السكان والفنجري والربان .

---

(١) المخطوطة ٢٢٩٢ ، الورقة ٧٣ ظهر ، س٥ : «وأما مليبار فكثيرة الأمطار . إذا حصّنت مركبك في التنخات ، فالبحر ينجاز ، ولكنه مرّ حتى تسكن الأمطار» .

(٢) النص المقصود مأخوذ من «آئين اكبرى» ، وهو المجلد الثالث من مصنف ابي الفضل العلاّني الأساسي تاريخ «اكبر نامه» .

ويستفيض تيبتز في تعريف المعلم وفي بيان صفاته وتمييزه عن الربان والناخذه . ويقارنه ببويستوه كتاب جاتكامالا . ويعود الى الإصرار على أن للمعالمة رابطة قديمة ـ أي نقابة بلغتنا المعاصرة ـ أشار اليها كتاب عجائب الهند كما ظن من قبل وصححناه له[1] .

رابعا ـ ترجمة كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد لأحمد بن ماجد :

آ ـ منهج تيبتز العام في ترجمة كتاب الفوائد :

تصور تيبتز ، المستشرق الانكليزي ، أن نظرية اهتداء السفن بالنجوم واردة كاملة في كتاب الفوائد ، فاعتبره العمل الأساسي الذي لا يستغنى عنه في دراسة ملاحة ابن ماجد ، لا بل في دراسة علم البحر في المحيط الهندي بأجمعه . وكان أن تولّدت فكرة نقله الى اللغة الانكليزية ليعتمد عليه الباحثون الذين يجهلون اللغة العربية في تقصّياتهم . فعمل في ترجمته خمسة عشر عاما ، وأنجزها بعد هذه المدة الطويلة سنة ١٩٧١ .

ولا يخفى على أحد أن جودة الترجمة ، لا سيما من ناحية صحتها ودقتها ، تفترض إتقان اللغة العربية والأمانة في النقل ، وأن الإتقان والأمانة يثيران في أثناء العمل قضايا فرعية عملية عويصة أحيانا ، منها ما ينشأ عن صحة الأصل المترجم ذاته : فإن كان بخط المؤلف أو مقروءا عليه فهو ملزم ، وإلا وجبت الحيطة والتحقيق والتدقيق والضبط أي اتباع نهج ملائم في تقويم النص قبل ترجمته . ومنها ما ينتج عن عصر الكتابة ، فيحتمل ، في حالة كتاب الفوائد ، أن تختلف معاني بعض الألفاظ العربية في القرن الخامس عشر عن معانيها الشائعة في القرن العشرين . ومنها ماينجم عن غموض المفردات العلمية وصعوبة تحديد مدلولها بشواهد مقنعة من المؤلف ذاته أو من مؤلفين آخرين .

فماذا كان موقف تيبتز من هذه القضايا في أثناء قيامه بترجمة كتاب الفوائد ؟ وما هو النهج الذي اتبعه في حلها ؟

---

(١) تيبتز ، الملاحة العربية . . ، ص٦١ ، س١٥ ـ ١٦ .

أولاً ـ اعتمد نص مخطوطة باريس رقم ٢٢٩٢ مع ما فيها من شطب وإقحام وتصحيح وإسقاط ، على حد قوله[1] ، ورغم أنه بعيد جدا عن الصحة[2] ، بعد أن لاحظ الشبه الكبير بينه وبين نص المخطوطة الظاهرية ، واقتنع بعدم جدوى الرجوع الى هذه الأخيرة .

ثانياً ـ مع ذلك ، عاد الى نص الظاهرية أحياناً وأشار الى رجوعه في حواشيه ، واستشهد بأراجيز ابن ماجد وقصائده في القليل النادر جدا .

ثالثاً ـ لكنه استأنس كثيراً بتصانيف سليمان المهري المبسطة وعلى الدوام .

رابعاً ـ وجعل رائده الجوهري والأساسي تصوراته الشخصية وتحاليله .

فلنر الآن نتائج هذا النهج في أداء كتاب الفوائد ونقله الى اللغة الانكليزية بعد مقارنة النص الانكليزي بالنص العربي الأصلي كلمة كلمة وجملة جملة .

ب ـ تقويم أداء المقدمة :

مقدمة كتاب الفوائد المترجمة قصيرة ، تشمل ورقة ونصف ورقة تقريبا من الأصل المخطوط . وعلى ترجمتها مآخذ عديدةأثبتنا بعضها في الجدول التالي :

جدول المآخذ الرئيسية على ترجمة المقدمة

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
ص٦٥ ، س٣	خير خلقه	خير خلفه (قراءة خاطئة)
ص٦٥ ، س ٥ ـ ٧	لقوله ، صلى الله عليه وسلم ، وتحريض سائر الأنبياء على طلب العلم : «ما من علم قبيح . .»	ألم يقل النبي : «جميع الأنبياء الآخرين حرضوا الناس على طلب العلم حتى قالوا : «ما من علم قبيح . .»

(١) تيبتز ، الملاحة العربية ، ص٢٦ .
(٢) المرجع ذاته ، ص٢٧ ، س٢٢ ـ ٢٣ .

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
ص ٦٥ ، س ١	الشام (تصحف سيام)	سورية
ص ٦٥ ، س ١٤	البلد المطلوب	البلد المرغوب به (مكة)
ص ٦٦ ، س ٢٥	وينبغي البعد عن الخيلاء عند كمال العلم والنهاء	ويبغي البعد عن الخيلاء وعليه أن يحسن معرفته وفهمه
ص ٦٦ ، س ٢٦	عارف هذا العلم	من يتعلم هذا العلم
ص ٦٧ ، س ٦	الكناسة	كومة الروث
ص٦٧ ، س ٣٥	وأحمل ما قيل في ذلك (أي العلم)	أظن أن ما قيل في هذه القصيدة أجود ما قيل
٦٨ ، س ٩	فها أنا احتصرت منه (أي العلم) ما يليق لأهل زماني في هذا الكتاب	كنت ملخصا يلائم أهل زماني في هذا الكتاب
٦٨ ، س ١٠	الفوائد = الشروح	الأشياء النافعة
٦٨ ، س ١٣ ـ ١٤	وفيه ما اشتبه من الحاوية وغيرها على الطالبين	يحوي مواد للذين يطلبونها مماثلة لما هو وارد في الحاوية

ويتضح من هذا الجدول أن أداء المقدمة على الوجه الخاطىء أضاع معانيها الأصلية ، لا سيما أن كتاب الفوائد وضع ليشرح ما غمض في حاوية الاختصار في أصول علم البحار وغيرها من الأراجيز والقصائد . فهو بالتالي كتاب شروح وتعليقات على مبادىء علم البحر وقواعده .

جـ ـ تقويم أداء الفائدة الاولى :

تقع الفائدة الاولى في أربع ورقات ، وتتضمن استطرادات خارجة كليا عن موضوع الملاحة ، يستبعد أن تكون لابن ماجد ، لم يشر اليها تيبتز ولم يحاكمها . وعلى ترجمتها مآخذ منها ما يلي :

المآخذ على ترجمة الفائدة الأولى

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٦٩ ، س ٢	حاج الحرمين الشريفين	حاج الأماكن المقدسة
٦٩ ، س ٨	أولا ـ في ذكر من ركب البحر وأول من رتّب أسبابه	أغفلت ترجمتها
٦٩ ، س ٢٢	مختومة (مصحفة مختومة : أي مغلقة) بلا دقل	مقيسة بلا دقل
٦٩ ، س ٢٩	سبعون يوما وهو الأصح	سبعون يوما
٧٠ ، س ٢	بعدا للقوم الظالمين	بعدا للقوم الآثمين
٧٠ ، س ٣٥	فصار كل يعمل السفن في البحريات (البحيرات) والخلجان	فصار كل يعمل السفن في الأراضي البحرية والخلجان
٧٢ ، س ٢٩	ومثل القياسات	ومثل قياس العروض
٧٣ ، س ١	أكثر حزما	أكثر شجاعة
٧٣، س ٧ ـ ٨	وكل فن من فنون البحر له أصل	وكل تحسين في الملاحة له مخترعة (مجددة)
٧٣ ، س ٩	وأما المغناطيس الذي عليه المعتمد	وأما المغناطيس الذي يدفع الإنسان الى الثقة بالنفس
ص ٧٣ ، حاشية ١٤	الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن	خلط تيبتز بينه وبين نصير الدين
ص ٧٤ ، حاشية ١٦	(٩٩٥ـ١٠٦٧) فقيه الشيعة الأكبر ومؤسس جامعة النجف	محمد الطوسي (١٢٠٠ـ١٢٧٣) الفلكي الشهير
٧٤ ، س ٣ ـ ٤	وقال بعضهم إن الفردوسي سبق الطوسي وليس هذا الذي عارضه الفردوسي نصير الدين أبا جعفر	وقال بعضهم إن الفردوسي سبق الطوسي ، وإن هذا لم يحدث أبدا للفردوسي ونصير الدين وأبي جعفر
٧٤ ، س ١٦	في كل ما تعتان (تراه بعينك)	في كل ما يخصك
٧٤ ، س ١٩	كجوزات في جبل جلنار	كأشياء جوزرات حول جبل جلنار
٧٤ ، س ٢٨ ـ ٢٩	لم أصف شيئا له شبيه في أعلاه وأسفله ، على مسيرة زامين أو أقل أو أكثر	لم أصف شيئا يلتبس الى حد قيمته العليا والدنيا تتبدل على مسافة زامين تقريبا
٧٥ ، س ٣ ـ ٤	إياك أن تجري عليها بالنظر في موقع فيه مضيق وخطر	إذا جريت عليها بدقة في مكان ضيق ، فسوف تلقى صعوبة
٧٥ ، س ٧	قُسِّمت بالمقاراط (تصحيف قيراط أو قرّاط : عرض اصبع)	قُسِّمت الى أقسام
٧٥ ، س ١٠	فهو حساب الجزء (=الدرجة)	فهو تقسيم عددي
٧٥ ، س ٣٠ ـ ٣١	وهو (الإسكندر) كان تاريخهم	واستعمل زمنه تاريخا (للعرب)

د ـ تقويم أداء الفائدة الثانية :

تقع هذه الفائدة في نصف ورقة من مخطوطة باريس ، وتوجز على قصرها أسباب ركوب البحر ومعارف المعلم الماهر وخصاله . ومع ذلك المآخذ على ترجمتها ليست قليلة .

المآخذ على ترجمة الفائدة الثانية

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٧٧ ،س ١	لركوب البحر أسباب كثيرة	لركوب البحر مبادىء كثيرة
٧٧ ، س ٥	حلول الشمس والقمر	مداري الشمس والقمر
٧٧ ، س ٩	والاستواءات	والحركات نحو الجنوب
٧٧ ، س ١٠	جلسة القياس	طرق أخذ قياسات العرض
٧٧ ، س ١٥	وإشاراتها . . والحيات والحيتان	وأدلتها . . والحيوانات أو الأسماك
٧٧ ، س ١٦	وتغير الأمواه ومد البحر وجزره	وينبغي أن تتأمل غمر الماء وانحساره وتيارات البحر وجزره (ترجمة مغلوطة وقراءة خاطئة ، وتخريج غريب في الحاشية١ ، ص٧٧)
٧٧ ، س ١٧ ـ ١٨	ويتفقد أحضان (مصحفة أحصان) السفينة أي جوانبها	ويتفقد حماية السفينة وتعليق الحاشية ٢ عريب جدا
٧٧، س ٢١	في موسم ضيق	في موسم مغلق
٧٧، س ٢٣	ينبغي على المعلم أن يعرف الصبر من التواني	يستحسن أن يصبر المعلم في زمن التعب
٧٧، س ٢٦	لا يظلم أحداً لأحد	لا يتذمَّر من إنسان أمام غيره
٧٧، س ٢٧	لا يغصب (مصحّفة يُغضب) التجار على حقوقٍ إلا على شيء وقع عليه القول	لا يُغضب التجار بسبب أنظمة ، إلا إذا منعوه من القيام بواجباته أو اعترضوا على العرف والعادة.

هـ ـ تقويم أداء الفائدة الثالثة

هذه الفائدة أطول الفوائد، تقع في ٢٠ ورقة من مخطوطة باريس، وتستعرض منازل القمر وقياسات الكواكب التي ترتبط بطلوعها او استقلالها، لكن على ترجمتها مآخذ نجملها فيما يلي:

المآخذ على ترجمة الفائدة الثالثة

صفحةُ الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٧٩، س ٢٢	ويُسمى الفرد الكبير، الذي هو موافق لقياس سادس النعش - الذي يسمى العناق لاعتناقه للصيدق وهو السُّها ويسمى النعيش - فذلك النجم يسمى النطح، لأنه على قرن الحمل وهو الكبش.	يسمى الشرطان أيضا الفرد الكبير، الذي يستعمل للقياس على سادس النعش - المعروف باسم العناق (المعانق) لاعتناقه للصيدق (المسمى أيضا السُّها والنعيش). ويسمى الشرطان أيضا نجم النطح لأنه على قرون الكبش (الحمل).
٨٠، س ١ - ٣	وتسمى النجوم (الثلاثة مقحمة) من الشرطين نجوم الأخذ. وتسمى بذلك لأن مبتدا أطوال النجوم منها[1].	وتسمى الثلاثة نحوم من الشرطين أيضا نجوم الأخذ (نجوم القياس) لأن أطوال جميع النجوم تقاس منها.
٨٠، س ٤	وأمست نجوم الأخذ غُبراً كأنها مقطرة[2] من شدة البرد كُسَّف	أنظر في المساء نجوم الأخذ تعبر وتختفي كما لو أنها تتألق من شدة البرد
٨٠، س ٦ - ٩	وهم (اي الشرطان) مبتدا المنازل، اتخذوهما في زمان الاسكندر لأول الحمل، فظلّت (مصحّفة فضلّت) كذلك يؤخذ منها مبتدا المنازل	وهذا أيضا مبتدا المنازل، وأخذ من زمن الإسكندر على أنه أول برج الحمل لكنه انحرف منذ ذلك الحين، ويستعمل الآن فقط كأول نقطة من المنازل. والحاشية ٥، ص ٨٠ غريبة.
٨١، س ٢	الفرغانِ	الفرعانِ
٨١، س ٣	الزّبانيان (مصحّفة الزبانين)	الزُّبانَين
٨١، س ٩	الجروان (مصحّف الحوتان)	الحوتان
٨١، س ٩ - ١٠	في صورة التِّنين (مصحّف الدلقين)	في صورة الدلقان (أو الدلقين أي أبناء عرس)
٨١، س ١٢	الحاجزين	الحاجزان (حدًّا السيف)
٨١، س ٢٠	صفة القياس	قياس العروض

(١) أنظر القاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس والبيروني، والآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٣٤١، س ٨ - ٩: «وابتداء العرب في نجوم الأخذ، وهي المنازل، بالشرطين. . . ».

(٢) مقطّرة: مبخّرة بالقُطُر.

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٨١، س ٣٢	وباشيه عندنا أربع أصابع إلا ربعاً	وباشي الشرطين ٤/١ ٣
٨٢، س ١-٢	لاستنقاصهم به - اي البطين (مصحّف لاشتقاقهم)	بسبب موقعه
٨٢، س ٥	وصغّروه أي البطين	بسبب صغره
٨٢، س ٩- ١٠	بل يستقيم (يتعامد) الجاه على الفرقد	بل يقع الجاه مباشرة فوق الفرقد
٨٢، س ١١	ويقاس سهيل والسِّلّار	ويستعمل سهيل والسُّلبار لقياس العروص
٨٣، س ٢٠	أو باقة نرجس	أغفل ترجمتها
٨٣، س ٢١ - ٢٢	وهي شامية للمنزلة والخنّ	وهي بالأحرى شماليٌّ منزلتها وأيضا شمالي موقعها كجزء من الديرة
٨٣، س ٢٦	كأن النجم إذ ولى سحيراً فصيل حن في يوم مطير	كأن التريا، عندما صُدَّ سحير (اعتبره اسم علم) فصيل يشتاق ليوم مطير
٨٤، س ٣٤-٣٥	نجوت من الغمّاء وهي قريبة نجاء الثريا من يد الدبران	أصبت بالعمى عندما كان القمر قريبا من المكان الذي صفعت فيه الثريًا بيد الدبران
٨٥، س ١٢	يقاس السهيل والسلار	يستعمل سهيل والسلبار في قياس العروض
٨٦، س ٨ - ٩	وعند استقلاله يستوي قياس سهيل وذبّانه	وعند استقلاله تؤخذ قياسات العروض على سهيل ودبّانه
٨٦، س ٢٨		زاد : ويقال إنها نشأت عنه
٨٦ ، س ٣٤ - ٣٥	تقاس	تستعمل لتحديد العروض
٨٧، س ١ - ٢	بعضهم (أي المعالة) يلحق هذه القياسات، والمتقدِّم (المعلم الذي يسافر في موسم مبكر) لم يلحقهم	وما يزال البعض يستعمل هده القياسات، إلا أن الكتاب القدامى لم يستعملوها أبدا
٨٧، س ١٤ - ١٥	كالحور - أو الجون - (مصحّف كالحوت) والفرغ المؤخّر الشامي[1]	كالحوت والفرغ المؤخر الشامي
٨٧، س ١٩ - ٢١	وهي - أي الهقعة - منزلة القمر و . . . الجوزاء (ساقطة) للخن ينسب لها بُرجا التوأمين والجبار (خطأ نسخ : برج الثور والجوزاء).	وهذه المجموعة (الجوزاء التي تمثل الهقعة جزءاً منها) منزل قمر وخن، وترتبط ببرجي الأسد والتوأمين

(١) أنظر الورقة ٢٥ وجه، س ١٦ (الجون)، والورقة ٥٠ ظهر، س ٥ - ٦.

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٨٧، س ٢٥	ودرجهن في طلوعهن	دقائق طلوعهن
٨٧، حاشية ٢٣	الجوزاء تعني التوأمين أو الجبار حسب النص أو السياق[1]	يقال بأن الجوزاء تمثل التوأمين، إلا أنها الجبار في تصانيف ابن ماجد. ويبدو أن العرب وزّعوا صورة التوأمين اليونانية على صورتي الجوزاء والأسد.
٨٨، س ٦	وهذه الصورة كانت تعد في الجاهلية	كانت هذه الصورة التي يفترض أنها تمثل في الجاهلية رجلا . . .
٨٨، س ١٥ - ١٦	وأهل البحر يسمّون رجلها (مصحّفة رحلاها) الناجد البرّاق[2]	وأهل البحر يسمون عادة الرجلين الناجد البرّاق
٨٨، س ٢٢	الباجس	الناحس
٨٨، س ٢٥	البحتري (مصحّف البحري)	البحري
٨٩، س ١٥ - ١٦	وهو - الفرقد الكبير - حجة عند المعالمة يصدق في خط الاستواء والإقليم الأول الشمالي	وعند معالمة الصوليان نظرية تقول إن هذا القياس صحيح في خط الاستواء والاقليم الشمالي
٨٩، س ١٩ - ٢٠	وقيل بعض من صورة الهنعة (أي الصورة الداخلة فيها الهنعة) يدخل في بعض صورة تاج الذوائب (مصحّف التاج والذوائب)[3]	وقيل إن قسماً من صورة الهنعة يدخل في صورة التاج والذوائب.
٨٩، س ٢٩	والآخر يماني يطلع من قريب النسر الطائر	والآخر (يطلع) من الشرق تماماً
٨٩، س ٢٩ - ٣٠	وقد قرّبنا الذراعين من النسرين وذكرناهما	وقد أبنّا تشابه الذراعين والنسرين وذكرناهما في الونية في شكل قصيدة.
٨٩، الحاشية ٣٠		النونية مفقودة هذا القول خطأ لأن النونية المقصودة هي الفايقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل. والأبيات الواردة في الفوائد هي الأبيات ٢، ٤، ٥ منها[4]

(١) الصوفي، صور الكواكب، ص ٢٦٤، وقصيدة ابن الصوفي، البيتان ٢٦٦ و ٢٦٧: الجوزاء والتوأمان، والبيتان ٢٩٣ و ٢٩٤: الجبار والجوزاء.

(٢) المرجع ذاته، ص ٢٦٩.

(٣) المرجع ذاته، ص ١٦٧، ٢٦٩.

(٤) مخطوطة باريس ٢٢٩٢، الورقة ١٧٦ ظهر، وابراهيم خوري، الشعر الملاحي عند ابن

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٨٩، الحاشية ٣٠	عين القلب	يقول تعليق تيبتز الخاطىء: يحتمل أن يكون المقصود بالقلب قلب العقرب، لأن تعبير «عين القلب» لا معنى له. وقلب العقرب يبقى ظاهراً معظم الليل في الجنوب». فهو لم يدرك أن «القلب» يعني هنا العقل، فيصير المقصود أن ابن ماجد يفكِّر ويرى بعينه قبل أن يقيس.
٩٠، س ١ ـ ٢	يا ليلة بات للنسرين أولها أرنو بطرفي وآخرها الذراعين	يا ليلة يستعمل أولها النسرين وآخرها الذراعين عند استخدام عيني باستمرار
٩٠، س ٦ ـ ٩	في النجم أجري وبحري في النجوم يرى قبل القياس بعين القلب والعين	أجري في خنّ الثريَّا، ومجراي بين النجوم يرى قبل أن أقيس بعيني وعين القلب
٩٠، حاشية ٣١		كلُّها غلط. لا يمكن أن يعني السماكان إلا الأعزل والرامح
٩٠، س ٣٧ ـ ٣٨ و ٩١، س١٢ ـ ١٤	ويسمى نجم الدجاجة لأنه في صورتها هو والذراع الشامي. وللشامي من الشامي قياسات تغني عن الجاه الأصلي.	ويسمى أيضا نجم الدجاجة لأنه في هذه الصورة. ويستعمل أيضا مع الذراع الشامي، (أي النجم ا لشمالي من الذراع الشامي) يمكن استعماله في قياسات لها نفس قيمة ارتفاعات الجاه.
٩١، س ٥	والذراع اليماني كذلك له قياسات	والذراع اليماني يستعمل أيضا لقياس العرض
٩١ ، س ١٢ ـ ١٤	ويسمى الذراع المبسوطة، والذراع اليماني يسمى الذراع المقبوضة لأن نجمه الأول خفي	ويسمى الذراع الشامي أيضا المبسوطة (اليد المفتوحة) واليماني المقبوضة (المغلقة) لأن نجم الأول باهت جداً
٩١، س ٢٥	هذا محال	هذا أحمق
٩١، س ٣١ ـ ٣٢	فيصير جاهلاً مركَّبا. إنه لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم	وهكذا يسود الجهل على مركبه، لأنه لا يعلم. لكن لا يعلم أنه لا يعلم.
٩٢، س ٦ ـ ٧	وسمِّي الغميصاء لأنه غمص (مصحّف: أغمس) في المجرّة.	ويسمَّى الغميصاء، لأنه مغمور بالماء في المجرة[1].

ماجد، القسم الثاني القصائد، ص ٦٥. وباقي تَعليق الحاشية ٣٠ خارج عن الموضوع.

(١) الصوفي، صور الكواكب، ص ٢٩٣ : «فبكت على سهيل حتى غمصت». وكل شرح تيبتز في الحاشية ٣٧ غلط.

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٩٢، س ١٧	هو سابع النعش (خطأ نسخ: سادس النعش) ويسمى القائد	ويستعمل مع سادس النعش الذي يسمى القائد أيضا
٩٣، س ١٥	وهي واقعة على شاربه	أو ما بقي بعد شرب الأسد الماء
٩٣، س ٢٩	في النتخات، خصوصاً في ديرة الشقاقات	في النتحات على طرق شرقية غربية تقريباً.
٩٣، س ٣٢ - ٣٧	وأما شرط القياسات، الأربع الخشبات الكبار أن تكون ضيقة، والأربع المتوسطات فهن عادة. بين النجم والخشبة خيط، وبين الخشبة والماء كذلك خيط كحد السكين يراه الذي يقيس، وشرط الخشبات الصغار أن تكون نفاساً.	والنتيجة، عندما تؤخذ العروض «بالأصابع الأربع للخشبات الكبار» ضيقة وتحتاج «الأصابع الأربع للخشبات المتوسطات» عادة الى مسافة فاصلة بين النجم «والخشبة» تساوي عرض الخيط، والى نفس المسافة الفاصلة بين «الخشبة» والماء. ويجب أن يراها القايس كحد السكين. ونتيجة «الخشبات الصغار» نفيسة دوماً
٩٤، س ٦ - ٧	وهذا النقل من تواريخهم بخط أيديهم.	وهذه القصة ليست من القصص الواردة في مخطوطاتهم. واجتهاد تيبتز في الحاشية ٤٣ لتبرير النفي مغلوط.
٩٤، س ٨ - ١٢	وينبغي الإنسان، في مثل قياسات النتخات ومثل ورود الماء والبرور بالليل، نبذ (مصحّف عند) الشدة والإفشاء بالكلام في جميع الأحوال، إلا بعد التجريب والتكرار، وإلا فلا.	يستحسن، عندما يأخذ الإنسان قياسات حقيقية للندخات، وعندما يقترب من مياه المد والجزر أو السواحل بالليل أن ينتبه انتباهاً خاصّاً. ويستطيع أن يتباهى بجميع هذه الأمور بعد كثير من التجارب والتكرار. لكن إذا لم يفعل ذلك، عليه أن يبقى هادئاً.
٩٤، س ١٥	سمُّوه الطرف (= العين) لأنه طرف الأسد	سموه الطرف لأنه نهاية وجه الأسد (أو يطرف في عينه)
٩٤، س ١٧	قياس	أخذ قياس العروض
٩٤، س ١٧ - ١٨	لمن عرف تدريجهم وقياسهم	لمن عرف هذا القياس ضمن مجاله التام.
٩٤، س ٣٦	للمجاوز ويهديه على فَوله (مصحّف قوله)	للسفن الثقيلة الحمل ويهديها عندما تصل إليه
٩٤، س ٥٣، ٨، ١١	معقِل	معقل
٩٥، س ١٢	المربَّع التحتاني	المربع والتحتاني
٩٥، س ٢١ - ٢	وساقيه السماكين	وتنتهي بالسماكين
٩٥، س ٢٥ - ٢٦	تقرب من فلك الثريَّا	تغرب من خنِّ الثريا

صفحة الترجمة الانكليزية.	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٩٦، س ٣	وتسمّى الخِراتين	وتسمى الخرائين (الحلتين الحمراوين)
٩٦، س ١٥ - ١٦	اذا طلعت انصرف الحرُّ وإذا غربت انصرف البرد	اذا طلعت بدأ الصيف واذا عربت بدأ البرد
٩٦، س ١٩ - ٢٣	بقرب السنبلة، التي ينسب إليها البرج. وتسمى الهلبة والضفيرة. وقيل إنها خارجة عن الألف والخمسة والعشرين.	قريبة جداً من السنبلة التي يسمى بها أحد البروج (العذراء). وهذا الأخير يسمى الهلبة والصميرة. ويقال إنه يحوي ١٠٢٥ نجماً. وقد أدخلوا كل شيء إلا هي (ليست نحماً إطلاقاً)
٩٦، ٢٦ - ٢٨	والسنبلة اذا استقلت على الرأس، نزل الجدي في بيته بالحضيض، أي غاية الهبوط	والسنبلة ادا استقلّت على الرأس، يكاد الجدي ينزل إلى بيته، أي أنه وصل إلى أدنى ارتفاع له.
٩٧، س ٢٦	أيضاً ولا للأعزل الطيَّاش	ولا حتى لأي حركة مع الأعزل (أي السماك)
٩٧، س ٢٩	فكيف قولهم: لم يمهلك. ادا اعتدل الفرقدان، حرج الجاه من بيته وهدا محالٌ. بالحقيقة أن الفرقدين اذا اعتدلا، طلوعهم بأنفسهم على القطب الشمالي ومواساته، ما طلع الجاه في الباشي.	فكيف قولهم (ولا يعطونك وقتاً للنقاش) اذا تساوى ارتفاع الفرقدين، يبادر الجدي بسرعة الى مغادرة حضيضه هدا التفكير حماقة مطلقة ، وان كان بالحقيقة أن الفرقدين اذا كانا على ارتفاع واحد في الشرق ، وبدأ أحدهما يرتفع فوق الآخر وفوق القطب الشمالي عندئد يشرع الجاه بالارتفاع من حضيضه . (ويعتبر تيتز هدا المقطع غامضاً إلى أقصى حد ، كعادته عندما يستعصي عليه فهم جمل ابن ماجد).
٩٨، س ١ - ٢	إعلم خليلي أن للفراقد اعتدالين بلا زوايد أحدهما ذا، وفي جميع الدنيا وفيه يطلعن هما ويأتيا ويغربان الفرقدان النزع معتدلين في انتصاب الفرغ	اعلم خليلي ان للفرقدين موقعين عندما يعتدلان احدهما عندما يتم كل العالم مداره ويطلعان ويغرب الفرقدان، ويكونان معتدلين مجددا، عند استقلال الفرع
٩٨، س ١١ - ١٢	أربعة أزوام جمة	أربعة أزوام
٩٨، س ١٢ - ١٤	وللفراقد ثمانية قياسات غير التجارب	وللفراقد ثماني طرق قياس عروض، الا أن هذه الطرق ليست كلها ثابتة بالتجربة
٩٨، س ١٦،	الفرغ	الفرع
٩٩، س ٧		

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
٩٨، س ٣٥	وفيها الصياح والنقار	اسيان لصورة العواء أقحمها الناسخ في النص
٩٩، س ٢٨ ـ ٢٩	وسترنا عيوبه وأظهرنا تصنيفه	وأبنّا عيوب (موقع الاعتدال) ونشرنا الحقيقة عنه
٩٩، س ٣٤ ـ ٣٥، و ١٠٠، س ١	واذا اعتدل الأوسطان نزل قياسنا من بيته ربع إصبع	وعندما يعتدل المربعان الأوسطان، يكون وقت أخذ قياسنا قد مرَّ بربع إصبع.
١٠١، س ٤	ما ذا وذاك سواء	هذه الأشياء لا علاقة لبعضها ببعض
١٠١، س ٦	وكذا الملاح حياتُهن الماء	كذلك حياة المليحة تتوقف على الخمر
١٠٢، س ١٣ ـ ١٤	أشرُّ من مهلهل وأكرم من حاتم	أقوى من مهلهل وأنبل من حاتم
١٠٣، س ٧	اذا كنت في السنجار فالكل يهتدي	اذا كنت في سجار (اسم علم) فالكل يهتدي
١٠٣، س ١٤	في قصيدة طويلة	في قصيدة من البحر الطويل. مع العلم أن القصيدة من البسيط، وأعلن عجزه عن ترجمتها.
١٠٤، س ٧ ـ ٩	ويقاس في استقلاله او بعده بقليل الحمار والفرقد وهو فوق الجاه	ويقاس في استقلاله او بعده بقليل الحماران والفرقدان عندما يكون الأحيران فوق الجاه.
١٠٤، س ٢٨، ١٠٦، س ٤١	الزبانيان	الزبانان
١٠٦/ س ٦ ـ ٧	فمكث قليلاً حتى قتل هند ابنة ماء السماء ومن كان معها	فمكث قليلاً حتى قتل هند ابنة ماء السماء والرجل الدي كان معها.
١٠٦، س ١٤	ناوليني الإناء الفلاني	ناوليني الشيء الفلاني
١٠٦، س ١٨ ـ ١٩	لأنها كانت في القحط تمير قومها، وتقوم مقام المطر	لأنها عند انحباس المطر كانت تجد لقومها مكانه موقعاً هطل فيه مطر.
١٠٧، س ٢ ـ ٣	وهو النيروز العربي (مصحَّف الغربي)	وهو النيروز الغربي (أو العربي)
١٠٧، س ٩	الأرجوزة المنظومة لأمير المؤمنين	الأرجوزة المنسوبة لأمير المؤمنين
١٠٧، س ٣٤	ما يحمل الإسقاط ثلاثا نفيسة لم تحمل الرُّبع	ينبغي ألا تطرح ثلاثا تماما، ويجب الا تأخذ الربع بعين الاعتبار.
١٠٨، س ٨	مجسَّد	مختلط
١٠٨، س ١٨	أغرى الشقيَّ على الشقي	سند الفقير في وقت الشدة
١٠٨، س٨، ١٠	والريح يضرب عقربا	والريح يضرب تجعيدة شعر

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
١٠٩، س ٧ ـ ٨	وباشي الواقع إصبعان نفيس	وباشي الواقع إصبعان بدقة
١٠٩، س ١١ ـ ١٢.	ويقاس للمتقدم في الداماني	ويقاس في موسم الداماني
١٠٩، س ١٧ ـ ١٨	وهي مائية سعيدة	وهي مؤلفة من نجوم مائية سعيدة لكل شخص وقع في قلة حظ
١٠٩، س ١٩ ـ ٢١	وفيها شيء خارج من المقادير الستة التام الضوء واتصال الأشولال	وهكذا يوجد في صورة العقرب بالحقيقة بعض النجوم المنيرة من جميع المقادير الستة.
١١٠، س ١ ـ ٨	وباشي الواقع إصبعان يوافق الجاه في القياس الأصلي ، لأنه جميعه نفيس . وباشي الواقع ومستقل الصرفة يتوافقان إذا قست الجاه أربعة في مستقل الصرفة ، كان حقاً عندنا باشي الواقع ستة .	وباشي الواقع إصبعان، عندما تتوافق العروض المأخوذة على الجاه مع العروض الحقيقية، لكنه بالحقيقة نفيس بالنسبة إلى باشي الواقع. ويوافق الناس على العموم على أنك عندما تأخذ القياس على الجاه في استقلال الصرفة، يكون الجاه عندئذ أربع أصابع، لكن اذا صح ذلك فهو يعني أن الباشي ست أصابع في استقلال الواقع حسب تقديري.
١١٠، س ١٠ ـ ١٢	وربما كان القياس معلول الخلقة كالأحدب أو قصير اليد أو الأحنف	أحيانا يختل القياس بسبب تشوه جسدي كالحدب أو قصر اليد أو العرج.
١١٠، ١٦	تكامل الشتاء	استقر الشتاء (ريحه)
١١٠، س ٢٠ ـ ٢١	وقيل اسمهما الهسَّارين (مصحّف الهزازين) لأن عند طلوعهم بالفجر هرير الشتاء وقوّته	وقيل أيضا اسمهما الهزّازين، اشارة الى عصف ريح الشتاء بشدة عند طلوعهما بالفجر
١١٠، س ٣٥	الخشب	السفن الصغار
١١١، س ١ ـ ٢	وربما يسافر بهذا القران الجوزراتيّ والكنكنيّ	وتسافر بهذا القران الخشب الذاهبة الى جوزرات وكنكن (عكس المعنى تماماً)
١١١، س ١٣ ـ ١٤	اذا عُزل منهن الشمالي الفوقاني	اذا لم تؤخذ أقصى النجوم الشمالية منها بعين الاعتبار
١١١، س ١٥	قياس	قياسات العروض
١١١، س ٢٨	والجميلة متجري	والجمال عملي
١١١، س ٢٩	والفتاكة (الشجاعة) صارمي	والسيف دفاعي
١١١، س ٣٤	مخالفاً	منحرفاً

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
١١٢، س ٤ ، ١١ ، ٤	الفروغ	الفروع
١١٥، س ٢٧		
١١٦، س ٣١		
١١٢، س ١٤	صفة الخمسة كالدال	والخمسة شكل ضخم يشبه الدال
١١٢، س ٢٣	الفرع	الفرع
١١٣، س ٢٣، ٢، ١١٤، س ١٨، ١١٥، س ٣٢، ١١٦، س ٧، ٢٢، ٢٤		
١١٢، س ٣١-٣٢	ويظن أنه يمسك عبد الكوري وجردفون ولا يمسكهم	ويظن أن هذا ينطبق على عبد الكوري وحردفون، لكن هذا لا ينطبق عليهما.
١١٣، س ٦	معتدل	متوارن
١١٣، س ١١	فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصغر المتلِّم (مصحّف متثم).	عندئذ أعطني كمية كبيرة لأشربها لأنك لا ترضيني بحديث غير ملائم
١١٣، س ١٥-١٦	ولا فائدة لمعالمة البحر في معرفة الصور	ولا يحتاج علم الملاحة إلى دراسة الصور النحمية
١١٣، س ٢٣	سعد البهام	سعد البهاء
١١٤، س ٨	الحساب والتقاويم	الرياضيات والتقديرات
١١٤، س ١٣	وهو قياس صادق مشهور في التبادل والتدريج على ستة أوجه	وهذا تركيب مشهور جداً ودقيق لأخذ قياسات من نوع الأبدال. وتوجد ستة أوجه لاستعمالها.
١١٤، س ٢٥	برج الحدي	صورة الجدي
١١٥، س ١٤	مايلات لليمين	مايلات للجنوب
١١٦، س ١٧	وعليهم القياس الذي اخترعناه هو والجون أعني خامس النعش	وعليهم قياسات العروض، كما ذكرنا من قبل: هي والجون أي خامس النعوش.
١١٦، س ٢١	جملة قياسات	جميع طرق قياس العرض
١١٧، س ٢	بلغت المنى	بلغت القمة
١١٧، س ٥	وسفينة نوح مصوّرة على النعوش	«وسفينة نوح» صورة نحمية تدخل في النعش
١١٧، س ٧	والدلو والفرس مصوّرة على الفروغ	والدلو والفرس صورتان نجميّتان داخلتان في المروع

صفحة الترجمة الانكليزية	الأصل العربي المترجم	الترجمة الخاطئة
١١٧، س ٧ - ١٠	ومن أحسن الإدراك الذي أدركناه أن فم الفرس وفم الناقة واحد	استناداً إلى أفضل الثقات الذين اتبعنا رأيها، روي أن فم الفرس وفم الناقة نجم واحد.
١١٧، س ١٢ - ١٤	وقيل أن بطن الحوت الشمالي هو برشم معلق في حلق الناقة	وقال البعض إن بطن الحوت الشمالي في نفس خطط حلق الناقة
١١٧، س ١٥ - ١٦	وفي صورة (شكل) النعش صورة (شكل) سفينة نوح وقلنا في الذهبية شعرا	وتقع في صورة النعش النجمية، صورة سفينة نوح النجمية، وقد كتبنا حول هذا الموضوع بضعة خطوط في الذهبية
١١٧، س ١٦ - ١٧	ألا إن في الفرغين والنعش حكمة تريك ظلام المشمل المتجانب	باستثناء أن مع الفرعين والنعش قاعدة تبيّن لك مناطق الظلمة الشمالية والجنوبية
١١٧، س ٢٧ - ٢٨	وهم صور (أشكال) كبار يصحّون في القيد والتدريج	وهم صور نجمية كبيرة وصحيحة عندما تقيد أو تقاس على عدة درجات.
١١٧، س ٢٨، ٢٩، ٣١	الفرغان... الفرغ	الفرعان... الفرع
١١٨، س ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٣، ٣٨ ١١٩، س ٢، ٣، ٤	الفروغ... الفرغ	الفروغ... الفرغ
١١٨، س ٢٩	فيها شعراً: فدلّني الميخ وباشيها	فيها شعرا: البيتين: أرني الميخ وباشيها واضح
١٢٠، س ٤ - ٨	وكنا قد شرحنا كتاباً وشخّصناه، وطال علينا الكتاب، فنزعناه منه خوف اندراسه بعد موت مصنِّفه. واختصرنا منه هذا.	وقد علّقنا على كل شيء، وشرحناه، وطال الكتاب كثيراً بالنسبة إلينا. وهكذا خفنا أن يضيع الكتاب بعد وفاتنا على الأجيال القادمة، فكثّفناه، واختصرناه جهد المستطاع
١٢٠، س ٩	ومقابلاتهم	ونقارنهم

و - تقويم أداء باقي الفوائد

تبيّن لنا بعد مقارنة النص الانكليزي المترجم بالأصل العربي المترجم عنه، أن أداء تيبتز بعيد عن الصحة، كما يظهر من إحصاء الأخطاء في الجدول التالي:

جدول أخطاء الأداء

	عدد أوراقها في المخطوطة	عدد أخطائها الإجمالي	معدل أخطاء الورقة الواحدة
المقدّمة	ورقة ونصف	١١	٧
الفائدة الأولى	٤ أوراق	١٩	٥
الفائدة الثانية	١/٢ ورقة	١١	٢٢
الفائدة الثالثة	٢٠ ورقة	١٣٤	٧
المجموع	٢٦ ورقة	١٧٥	٧ معدل عام

ومادامت أي ورقة من المخطوطة المترجمة لا تخلو من الأخطاء ، ومادام معدل الغلط العام ٧ أخطاء في الورقة الواحدة ، فلا نرى جدوى من الاستمرار في إحصاء الأخطاء وتصويبها . فقد اتضح بجلاء أن ترجمة تيبتز شوّهت الأصل العربي ، ولا يمكن الاعتماد عليها في أي دراسة جدية .

وقد أسفنا لوصول تيبتز الى هذه النتيجة بعد بذله ١٥ عاماً من الجهود المتواصلة وتبصرنا في عمله ، فلاحظنا ان هفواته ترجع الى ضعفه باللغة العربية الذي تمثل في سوء القراءة ، وعجزه عن فهم معاني المفردات بدقة ، وإلى نقص في قدرته على تقويم متن المخطوطة ٢٢٩٢ في أثناء ترجمته لها ، مع أنه أشار سلفاً إلى جميع عيوبها .

مهما يكن ، قام تيبتز بجهد لم يسبقه إليه أحد ، وشق طريقاً وعرة ، لابد من سلوكها بعده عاجلاً أم آجلاً ، لإعطاء الملاحة العربية في بحر الهند حقها ومكانتها الجديرة بها .

خامساً ـ النظرية الملاحية العربية

خص تيبتز النظرية الملاحية العربية بـ ١٢٢ صفحة من كتابه ، استهلها بمقدمة شملت ثماني صفحات ، ووزع الباقي توزيعاً متفاوتاً جداً على ستة عناوين هي الإشارات والمجرى والقياس (٤١ صفحة) والمسافة (٦ صفحات) والموسميات والسياسات .

آ ـ المقدمة

وتحدث في مقدمته عن ماهية النظرية الملاحية العربية وعن الديرة بأنواعها .

١ ـ ماهية النظرية الملاحية العربية

فقد خيل إليه أن البحارة العرب أدركوا ان قدرتهم على إجراء السفينة تتوقف على إتقان تقنيات عديدة مستقلة بعضها عن بعض . لذلك عندما دوّنوا علم ملاحتهم كتابة ، أعطوا كلهم تلك التقنيات الأولوية ، ووضعوا لتفاصيلها عناوين تكررت في جميع نصوصهم ، مثل القياسات والمواسم والإشارات ، وبدت وكأنها فروع منه ، يختلف عددها من مؤلف إلى آخر ومن نص إلى نص ، وتخلو من التسلسل المنطقي والتنظيم . بتعبير آخر يرى تيبتز ان ما يسميه النظرية الملاحية العربية يتمثل في اكتساب مهارات عملية بالتدريب ، وفي تطبيقها لإجراء السفينة في البحر .

واعتبر ان التنسيق والترتيب في تصانيف المهري أفضل من التنسيق والترتيب في تصانيف ابن ماجد . واستشهد بالعمدة والمنهاج وتحفة الفحول ، وقارن موادها بمواد كتاب الفوائد . وأعطى مثالاً على الفوضى في علم الملاحة حديث ابن ماجد عن الديرة والقياس والمجرى في الفائدة السادسة . لكنه اكد ان القياس والمجرى أهم عنصرين في النصوص الملاحية . مع ذلك حبذ الشروع بتحليل النظرية الملاحية العربية بشرح الديرة .

٢ ـ شرح الديرة

ويبدأ بتعريف الديرة بأنها الطريق التي تتبعها السفينة عادة لتنتقل من بندر إلى آخر ، وميزها عن المجرى أي الخنّ الذي تسير السفينة باتجاهه . وعدد ثلاث دِيَر عند ابن ماجد تقابلها ديرتان عند المهري .

أولها ديرة المُلّ ، وهي الديرة الأصلية التي تساير فيها السفينة البر . ولا تختل إلا من جرّ ماية او دفع ريح او فساد بيت الإبرة التي تسمى السمكة ، سمكة الحقة ، أو غوى عن رقاد ، او ميل مسكّن السكّان .

والثانية ديرة المطلق ، وتشتق من ديرة الملل . وهي طريق مباشرة تقطع فيها السفينة البحر من بندر على أحد السواحل إلى بندر آخر على ساحل يقابله . وجميع أمثلة ابن ماجد عليها مأخوذة على جانبي الخليج البربري .

والثالثة ديرة الاقتداء ، وتشتق من ديرة الملل ايضاً . إلا أن السفينة تقلد فيها مركباً آخر في البحر إلى أن تصل إلى خط عرض بندرها أو حتى تقطع مسافة معينة .

ب - الإشارات

وللطرق البحرية التي تسلكها السفن معالم ، ترى في نهايتها على الشاطىء او قبالته ، تسهل نتخ البر بأمان أو التأكد من الوصول إلى القصد ، أو تشاهد في عرض البحر في أثناء السفر . ويسميها ابن ماجد إشارات ، ويسميها المهري إشارات أو علامات . وأبسط الأمثلة عليها المد والجزر والرياح وتضاريس البرور ولون الماء .

ويتحدث ابن ماجد عنها في الفائدتين الثانية والثامنة من كتابه ، ويحولها على زعم تيبتز ، إلى وصف لساحل الدكن الغربي . ويذكر المهري منها الطيور والحيتان ونبت البحر ، ويدخل فيها أيضا تعاريج خط الشاطىء وعمق البحر وطبيعة قعره . ويضمنها ابن ماجد معرفة الجبال في الفائدة الثامنة ، ووصف منظرها وهيئة الجزر والرؤوس ، ورؤية المنارات والنارجيل . وقد أعجب تيبتز ، على حد قوله ، «بوصف جيد إلى أقصى حد» تضمنته الفائدة الثانية عشرة ، تناول الجري مقابل ساحل جزيرة العرب جنوبي جدة ، ومراقبة تحول هيئة جبل الأطواء من شكل حيوان مربوط رأسه إلى أسفل (كذا) الى شكل تل (كذا) ، فشكل لب (كذا) عسل»[1]. وصحيح ان الوصف جيد . لكن لا يمت أداء تيبتز له بأي صلة إلى نص المخطوطة . ونظن أن معنى أصل ابن ماجد استعصى تماماً عليه ، فابتكر ماابتكر ، وجاءت ترجمته مغلوطة جملة وتفصيلاً على الوجه الذي نقلناه على لسانه .

---

(١) تيبتز ، الملاحة العربية . . . ، ص٢٧٨ ، س٤ - ٨ .

من جهة ثانية ، يستخدم البلد لسبر الأعماق ومعرفة مافي قعر البحر من طين أو رمل أو حصى ، لتحديد موقع السفينة ، من جانب بر العرب أو بر العجم مثلاً ، او للتعرف على وجود القطع والوصول وغيرها من الأوساخ أي النتوءات المكشوفة أو المغمورة بالماء كالعواري والظهار والأمرية والصيل والخريق وما شابهها .

ولا يقتصر وجود المعالم على الشاطىء في البر أو تحت الماء في اليم ، فوجه البحر ذاته يتحرك فيبدي إشارات تستعمل في تعيين موقع السفن ، منها لون الماء وجيش البحر والطوفان والتيارات .

أخيراً تكثر إشارات الحياة الحيوانية والنباتية في البحر ، وتخصص لها شروح ضافية في الفائدة الثامنة وعند المهري . ولعل الموارز أهمها إطلاقاً ، يضاف إليها من الطيور أم الصناني والمنجي والكريك والسويدي والكراني ، ومن الحيتان اللزاق والطباقة وفرس البحر والقرش والعجم والثمد الكبير والضيفك ، ومن النبات القرمط والقلحف .

جـ - المجرى

يمثل المجرى العنصر الثاني الهام في الملاحة العربية . فهو يعين الاتجاه الموصل الى المقصد . ويقال جرت السفينة أي سارت في اتجاه معين مسبقاً بطريقة فلكية .

١ - الابرة المغناطيسية والحقة

ويتحدد هذا الاتجاه أو المجرى بأحد أخنان آلة تسمى الحقة أو بيت الإبرة أو دائرة بيت الإبرة . وتكاد النصوص الملاحية تغفل ذكر هذه الآلة ، لكنها تشرح خللها . وقد وردت الإشارة الأولى إليها عند العرب والمسلمين في كتاب جامع الحكايات لمحمد الأوفى (١٢٣٢م)، ثم في كتاب كنز التجار في معرفة الأحجار لبيلك القبجاقي (١٢٨٢م) ثم في أحد كتب الزرقوري المصري (١٣٩٩م)[1].

---

(١) وصف ابن فضل الله العمري (٧٠٠هـ/ ١٣٠١م - ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) القمباص وصفا

ويمكن الاعتماد على تلك الاحالات لتمييز الإبرة أو الإبرة المغناطيسية عن دائرة بيت الإبرة أو الحقة المقسمة إلى ٣٢ خناً . وتذكر النصوص الملاحية نصب الحقة وترتيب المغناطيس عليها ، وضروب خللها .

٢ ـ خلل الإبرة المغناطيسية والحقة

ويتحدث ابن ماجد عن خلل أول في الحقة أو في فساد بيت الإبرة في كتاب الفوائد ، ويسميه «السمكة أو سمكة الحقة»[١] (كذا بتسكين الميم)، في زعم تيبتز الذي أخذه من جملة ابن ماجد التالية : «ولم تختل ـ أي ديرة الملـ ـ إلا سواء جرّ مائه أو دفع ريح أو فساد بيت الإبرة التي تسمى السمكة ، سمكة الحقة . . ». ويزيد ترجمته إيضاحاً ، ويقول : «يعني هذا التعبير حرفياً في اللغة العربية «ارتفاع بيت الإبرة»[٢] . إلا أن هذا المعنى يستعصي على الأفهام ، فاضطررت أن أفتش عن اشتقاق أجنبي للفظ «سمكة» نفس الكلمة السانسكريتية «سمبكة» التي تعني «اهتز» ، وكانت تستعمل اسماً للقمباص ذاته ، لأن الابرة تتأرجح على الأغلب . ثم تحول هذا اللفظ الى «سَمُكَّه» في اللغة التاميلية ، و«سَمْكَة» في جزر الملديف . وهكذا انتقل الاسم الى اللغة العربية ، فيما يبدو ، وبقي ليدل على الآلة ذاتها ، بل على نقص في المغناطيسية . . . »[٣]

٣ ـ مفسدات المجرى الأخرى : خلل تقبيل القطب وفساد تجليس الحقة

وانتقل تيبتز بعد ذلك الى مفسدات المجرى الأخرى ، واستشهد بإلحاح ابن ماجد على ضرورة تفقد المعلم نصب الحقة وتجليسها قبل السفر ليتفادى الانحراف عن الاتجاه الصحيح بسبب خلل في نجارة المركب . ولاحظ أن المهري اشترط في

مطوّلا في كتاب مسالك الأبصار وممالك الأمصار ، في الجزء الثاني ، في الفصل الثاني .

(١) الملاحة العربية . . ، ص٢٩٢ ، س١٧ ـ ١٨ .

(٢) يبدو ان تيبتز اعتبر لفظ سمكة مشتقاً من سمك بمعنى رفع ، قبل تفتيشه عن الاشتقاق الأجنبي الغريب العجيب .

(٣) تيبتز ، الملاحة العربية . . ، ص٢٩٢ ، س١٧ ـ ٢٦ .

عمدته أيضاً أن يكون المعلم خبيراً بتحرير تجليس الحقة ، وتوسع في آفات الديرة في فصل من شرح تحفة الفحول ، وأوضح خللي تقبيل الدائرة القطب وفساد تجليس الحقة في فقرة كاملة ترجمها بأجمعها ، وهي : «الآفة الرابعة من مفسدات الدير خلل تقبيل الدائرة القطب ، وهي التي تقابل في بعض الساعات دون بعض . وهذا يكون من سبب ثقل في الدائرة أو لبطلان تبييتها أي الكواكب . أو قَدْ لَهَا زمان من ضرب المغناطيس ، أو حصل عليها برد . فيحدث الخلل في التقبيل . وقد شيء من الدائرات يقابلن مغيب الفرقد . ويحصل الخلل أيضاً من فساد تجليس الحقة أو فساد علامات المجرى لاختلاله في الليل والنهار . وهذا كله من قلة معرفة صاحب الدرك»[1].

لكن فات تيبتز استيعاب مدلول هذه الفقرة ، مثلما فاته مدلول «جملة السمكة» ، ففهم «تقبيل الدائرة القطب» بمعنى تحرك الحقة عوضاً عن «بقاء الإبرة متجهة إلى القطب» ، وقرأ «لبطلان تبييتها» (أي كواكب الديرة : يقصد وضعها في بيوتها أي أخنانها) « لبطلان قبتها» ، وجعل فساد «علامات المجرى» فساد الأخنان مناقضاً ماقاله في بحث الإشارات من ان المهري يستعمل «العلامات» بدلاً منها أحياناً . لذلك كله أضاع جميع المعاني ، وأتت ترجمته خيالية ، ولم تؤدّ فكرة المهري البتة .

ولو كلف تيبتز نفسه عناء قراءة نص المقريزي الذي أشار إليه في حاشيته ١٠٤ في الصفحة ٢٩١ من كتابه ، لما وقع في جميع هذه الأخطاء ، ولفهم النصوص على حقيقتها .

٤ ـ أخنان الديرة النجمية العربية

وبحث تيبتز في أجزاء الديرة النجمية العربية بعد انتهائه من آفات الديرة . وذكر تقسيمها عند عرب بحر الهند الى ٣٢ خناً هي ودائرة الافق ودورة المركب ،

---

(١) ابراهيم خوري ، العلوم البحرية عند العرب ، القسم الأول ، مصنفات سليمان بن أحمد بن سليمان المهري ، الجزء الثالث ، ص٩٣ ـ ٩٤

خلافاً لتقسيم بحارة المتوسط لها الى ١٦ خناً ، والصينيين الى ٢٤ خناً . لكن التبست عليه أسماء أقسام المركب كالصدر والعجز والجوش والفطية ، وخلط بينها وبين أجزاء دورة المركب .

وأبرز تساوي الأخنان فيما بينها على الدائرة ، وقدم تسميتها بأسماء خمس عشرة من النجوم الشهيرة هي : الفرقدان ، والنعش ، والناقة ، والعيّوق ، والواقع ، والسماك الرامح ، والثريا، والطائر ، والجوزاء ، والتير ، والإكليل ، والعقرب ، والحماران ، وسهيل والسلبار . ثم عين مقابلاتها الحديثة ، وأعطى درجات عرضها ، وختم حديثه عنها بالإشارة الى استعمال ثلاثة أنصاف أخنان ، هي الدبران والمرزم والناجد البراق ، قبل أن يصل الى الترفا .

٥ ـ الترفا والتكية

والترفّا مسافة متى قطعتها السفينة زاد العرض إصبعاً واحدة . ويقابل مفهوم الترفّا مفهوم رفع الجاه عند الأوروبيين ، لكنه اقدم منه بكثير .

وهي تقاس بالازوام . ويساوي الزام المسافة المقطوعة في ثلاث ساعات . ويرفع الجري في القطب ثمانية أزوام أي ترفّا الجاه إصبعاً واحدة . وبذا صار الزام وحدة قياس زاوية تعادل ثمن إصبع . ويختلف عدد أزوام الترفا الواحدة من خن الى خن . وعند المهري شرح مسهب لها ردده تيبتز بحذافيره .

ولا يعرّف تيبتز التكية ، بل يكرر ما قاله ابن ماجد عنها في الفائدة الثانية عشرة ، ثم ينتقل الى القياس .

د ـ القياس

١ ـ نظرة إجمالية

يرى تيبتز أن القياس أهم تقنية في الملاحة العربية . ويبدأ بإعطاء فكرة إجمالية عنه . فبه يؤخذ ارتفاع الكواكب عن الافق ، ويطرح منه ارتفاع الجدي لاستخراج العرض .

وله آلة تدعى آلة القياس ، يسميها علي بن الحسين وشوموفسكي «الكمال» . وتتألف من مستطيل يصنع من قرن أو خشب ، أبعاده إنش وإنشان ، ويمر في وسطه سلك عليه تسع عقد .

ووحدة القياس الإصبع التي تساوي ثمانية أزوام ، وتؤلف أربع أصابع ذُبّاناً ، وتقسم الدائرة الى ٢٢٤ إصبعاً عند ابن ماجد وإلى ٢١٠ أصابع عند المهري .

وكشف همر النقاب في ترجمته المحيط عن وجود آلة خيطها خال من العقد ، تشبه الآلة التي كانت تستعمل في أيام ابن ماجد ، وتشمل تسعة ألواح ، يقيس أصغرها زوايا الأربع أصابع وأكبرها زوايا الاثنتي عشرة إصبعاً . وينتقل تيبتز بعد ذلك إلى آلة قياس ابن ماجد وسليمان المهري .

٢ ـ آلة قياس ابن ماجد وسليمان المهري

وعلى حد قول تيبتز ، لم يصف لا ابن ماجد ولا المهري آلة قياسهما ، وأطلقا عليها اسم خشبة ، جمعها خشبات ، وسماها ابن ماجد حاطبة في شعره ، وسماها المهري حطبة مرة واحدة .

وينطوي هذا الكلام على نقص كبير في الدقة والاطلاع . فأولاً ـ تسمى الآلة ايضاً آلة القياس عند ابن ماجد[1] وآلة اليد عند المهري[2]. ثانياً ـ جمع خشبة خشبات وخشب واخشاب[3] وكلها مستعملة . ثالثاً ـ وردت في شعر ابن ماجد

(١) حاوية الاختصار ، الفصل الأول ، البيت ٥١ .

(٢) العلوم البحرية عند العرب ، القسم الأول مصنفات سليمان بن احمد بن سليمان المهري ، الجزء الثالث ، ص٦٨ ـ ٦٩ .

(٣) العمدة المهرية ، ص١٧ ، س٣ ـ ٤ ، كتاب الفوائد ، ص٦٠ ، س٦ ـ ٩ ، وص٩٤ ، س٤ ـ ٧ ، وص٢٢٨ ، س٢ ـ ٤ ، وص٢٣٦ ، س٥ ، وص٣٥٨ ، س٩ ، وميمية الابدال ، البيت ١٩ .

الحطبة[1] . رابعاً ـ ذكر المهري حطبة القياس مراراً كثيرة وليس مرة واحدة[2] .

٣ ـ قضية الخشبات أو الحطبات وأنواعها

ويثير تيبتز قضية إغفال النصوص الملاحية العربية الحديث عن شكل الخشبة أو الحطبة وعن «العقد» و«التدريج» ووجود خيط أو مقياس خشبي . ويطرح نظرية وجود أنواع عديدة من الخشبات ، ويثبتها باحتواء المتون الملاحية تعابير «خشبة اثني عشر» (كذا) و«خشبة الأربع» ، و«خاضبة ـ حاطبة ـ اي حطبة الإصبعين» ، دون أن يعطي اي احالات . ويعتبر ان كلمة «إصبع» مستترة بعد اثنتي عشرة وبعد الأربع ، قياساً على «حاطبة الإصبعين»، ويستخلص أن خشبة الاثنتي عشرة إصبعاً مثل «كمال» برنسب الملديفي ، مدرجة لتقيس زوايا قيمتها العظمى ١٢ إصبعاً ، وأن «حاطبة الإصبعين» مدرجة لتقيس زوايا قيمتها الدنيا إصبعان . أما خشبة الأربع فمعقدة في رأي تيبتز ، لأن اشكالها متنوعة ، وصفت بالأربع ـ أي الأربع اصابع حسب فهم تيبتز ـ الكبار والأربع الصغار ، والأربع المتوسطات . وتعرف «الأربع الكبار» «بالأربع الخشبات الكبار» . ويستغرب تيبتز هذه التسمية ، ويقول انه كان يتوقع ان تكون «خشبات الأربع الكبار» . ثم يتساءل ماذا تعني أنواع هذه الخشبات الاربع ، ويجيب بان الاربع الكبار تقيس حتى ١٢ إصبعاً ، وأن الأربع الصغار تقيس ٤ أصابع كحد أعظم . أما الأربع المتوسطات فمدرجة أربع أصابع .

ولا يقنع كلام تيبتز أحداً . فهو مبني أولاً على سوء فهم نص ملاحي واضح المدلول لا لبس فيه ، لم يدرك هو معناه ، نقصد النص التالي : «وأما شرط القياسات ، الأربع الخشبات الكبار أن تكون ضيقة ، والأربع المتوسطات فهي

---

(١) حاوية الاختصار ، الفصل العاشر ، البيت العاشر .

(٢) العلوم البحرية عند العرب ، القسم الأول ، مصنفات سليمان بن احمد بن سليمان المهري ، الجزء الثالث ، ص٦٨ ، س٤ ـ ٥ ، وص٦٩ ، س١ ـ ٢ ، وص١٠٠ ، س١١ ـ ١٣ ، وص٢٦٤ ، س٦ ـ ٧ .

عادة ، وبين النجم والخشبة خيط ، وبين الخشبة والماء كذلك خيط ، كحد السكين ، يراه الذي يقيس . وشرط الخشبات الصغار أن تكون نفاسا»[1] .
فكل ما في الأمر أن ابن ماجد يتحدث عن أخذ ارتفاع الكواكب باثنتي عشرة خشبة قياس ، أربع منها حجومها كبيرة يعطي القياس بها أرقاما تقل عن الواقع ثمن إصبع ، وأربع حجومها صغيرة متوسطة يعطي القياس بها أرقاما لا زيادة طفيفة فيها ولا نقصان . اذن يرتكز إثبات تيبتز وجود «خشبة الأربع أصابع» إما على تحوير نص ابن ماجد وإما على عدم استيعابه ، وهذا الاستقراء مردود في الحالتين . وكلام تيبتز مبني من جهة ثانية على تقدير وجود خشبة اثنتي عشرة إصبعا اعتمادا على وصف برنسب لا على إحالة الى متن ملاحي ، مع ان الاستشهاد المطلوب وارد في البيت العاشر من الفصل العاشر من حاوية الاختصار . وهو مبني أخيرا على نص الشطر الأول من البيت الأول من القصيدة النونية الصغيرة المفقودة ، ويرجّح أن في هذا الشطر تصحيفا حرف كلمة حطبة الى خاضبة ، لكن هذا الترجيح تخمين صرف لا يمكن دعمه بنص آخر أو بسياق . في النهاية ، لا يجوز قبول نظرية تيبتز حتى تثبت بحجج صحيحة . والبديل عنها الآن أن آلة اليد عند المعالمة العرب مؤلفة من قطعة خشبية ومن خيطين ، وأن القطعة الخشبية ليست وحيدة بل متعددة، عددها ١٢ في كتاب الفوائد ، و٢٤ في ميمية الأبدال[2] . فلماذا هذا العدد الكبير من الخشبات ؟ ومتى تستعمل كل منها ؟ تجاهل تيبتز كلياً هذا الموضوع ، وحاول ان يلخص شروط استعمال الخشبات على وجه الإجمال .

٤ ـ شروط استعمال الخشبات أو الحطبات ومستوى دقة أرقام قياسها :

نقل تيبتز شروط استعمال الخشبات عن الفصل الخامس من تحفة الفحول ، وجعلها ثلاثة مثلما جعلها المهري مع تعديل طفيف : أولاً ـ أن يكون القيّاس

---

(١) كتاب الفوائد في مخطوطة باريس رقم ٢٢٩٢ ، الورقة ١٤ ، وجه ، س١٣ ـ ١٨ .
(٢) ابراهيم خوري ، الشعر الملاحي عند احمد بن ماجد ، القسم الثاني القصائد ، ميمية الابدال ، ص٦٢ ، الأبيات ١٩ ـ ٢٢ .

صحيح النظر . ثانياً ـ أن يكون البحر وقت القياس أسود ليس فيه بياض ولا غبار ويكون النجم ظاهراً . ثالثاً ـ أن يكون قياس القائس موافقا على الرؤوس المشهورة بصحة القياس . واستعان في شرحها بما قاله ابن ماجد في كتاب الفوائد عن علل القياس ، لا سيما الجملة التالية : «ويكون الخشب الكبار ضيقات القياس ، ومُدّ بهم يدك ما استطعت ، والأربع الصغار نفيسات ، وقَصِّر بهم يدك ما استطعت ، والأربع المتوسطات قياسهم عادة . وذلك لاتساع ذيل الأفق وانكفاف أعلى الأفق» . . . . . «وينبغي أن يكون بين النجم المقيوس وبين الخشبة خيط ، وبين الماء والخشبة كذلك خيط»[1] . لكنه ، كعادته ، فهم نص ابن ماجد على غير مدلوله . وخلط بينه وبين نص آخر[2] . وأدّاه تأدية خاطئة على الوجه التالي : «تعد خشبات الأربع أصابع المتوسطات أدّق الخشبات ، لكنها تقتضي ترك سماكة شعرة (خيط) أو سماكة حد سكين بينها وبين الأفق ، وسماكة خيط مماثل بينها وبين الأفق . وينبغي أن ينتبه القائس لذيل الأفق ، ويمتنع عن القياس في أعلاه . أما الخشبات الكبار فتنقص قيمة القياس ، وتزيد الخشبات الصغار قيمته ، ويجب حل قضية هذه الزيادة والنقصان بمدّ الذراع الى أقصى حد بالخشبات الكبار وبتقصيره قليلا بالخشبات الصغار»[3] .

من جهة ثانية ، حار تيبتز في تقويم أرقام القياسات ، وفاته إدراك منطوق نص ابن ماجد التالي : «وما والله ذكرت شيئا فيه من التفاوت ربع أو ثمن في الترفتين والثلاث ، إلا وقد حذّرتكم منه ، وقلت في مصنفاتي إنه ضيق أو نفيس أو عادة أو محتكم»[4] ، أولاً لأنه تجاهل نصفه الأول ، أي ما ورد قبل « . . وقلت في مصنفاتي . . » ، وثانياً لأنه نفى نفياً قاطعاً خلافاً للواقع ، أن يفيد جذرا لفظي «نفيس وضيق» معنى الزيادة والنقصان في اللغة العربية . ولا ندري كيف سها

---

(١) مخطوطة باريس ٢٢٩٢ . ورقة ٥٦ ظهر ، س٧ ـ ١١ وما قبلها وما بعدها .
(٢) المرجع ذاته ، الورقة ١٤ وجه ، س١٣ ـ ١٨ .
(٣) تيبتز الملاحة العربية ، ص٣٢٠ ، س١٩ ـ ٢٨ .
(٤) مخطوطة باريس ٢٢٩٢ ، ورقة ٤٩ وجه ، س١ ـ ٣

تيبتز عن تعريف الضيف والنفيس بوضوح تام عند ابن ماجد والمهري . فجملة ابن ماجد التي يحيل تيبتز اليها تقول حرفيا إن التفاوت في قياساته يبلغ ربع إصبع أو ثمن إصبع ، وهذا هو الضيق والنفس . كذلك يقول المهري في شرح جملة تحفة الفحول «بين القطب والجاه إصبعان وقيل فيهما النفس» : وانما قلت وقيل فيهما النفس أي الإصبعين لأن عند بعض المعالمة غاية الباشي أربع أصابع وربع ، فعلى هذا يكون بين مدار الجاه ونقطة القطب إصبعان وثُمن وهو النفس»[1] . وهذا الإيضاح الحاسم كافٍ لدحض كل ما وصف به تيبتز لفظي «ضيق ونفيس» بالغموض والإبهام ، ولفظي «أنفس وأضيق» بالخراقة[2] .

٥ ـ كواكب القياس في الملاحة وأغراضها :

أخيرا ، اختتم تيبتز شرح القياس بالحديث عن كواكب الملاحة وأغراضها على وجه الإجمال في البدء ثم خصص فقرة لكل من الجدي ، والفرقدين والنعش ، فـ ٥٠ كوكبا آخر . وجعل الهداية بالنجوم تقتصر على تحديد خطوط العرض ، وأهمل غاياتها الأخرى ، وأوجز ٧٠ طريقة قياس أحصاها في كتاب الفوائد ، قبل أن يتكلم عن المسافة والرياح الموسمية ومواسم السفر والسياسات .

هـ ـ المسافة :

جاءت المسافة مختصرة جداً عند تيبتز . فقد استبعد منها دراسة خطوط الطول وبحث المرق والمغزر وعرَّفها ، اعتمادا على تحفة الفحول وشرحها ، بأنها البعد ، بالأزوام ، بين بندرين متقالبين شرقا وغربا أي على خط عرض واحد ، وقسّمها الى حسابية وتجريبية . ولم يعثر في كتاب الفوائد على قائمة بها ، فأخذ إحصاءها من منهاج المهري . لكن فاته إعطاء الحاوية المسافات بالتفصيل بين بر

(١) العلوم البحرية عند العرب ، القسم الأول ، مصنفات سليمان بن احمد سليمان المهري ، الجزء الثالث ، ص٦٥ ـ ٦٦ .

(٢) تيبتز ، الملاحة العربية . . . ، ص٣٢٤ ، س١٠ ، وبخاصة الحاشية ٢٣٤ .

العرب وبر الهند ، وبين بر النات وبر السيام ، وعلى الرؤوس المشهورة (جاه١١ ، ٥ ، ١ ، فراقد ١) ووضعها قواعد لاستخراج المسافات .

و ـ الرياح الموسمية ومواسم السفر :

ترتبط الملاحة في بحر الهند بهبوب رياح منتظمة يتبدل اتجاهها دوريا كل ستة أشهر تقريبا . وهكذا تستطيع أن تعتمد على ريح ملائمة تهب كل عام في نفس الوقت وفي نفس الاتجاه ، فيتسنى للسفن الذهاب من بر العرب الى بر الهند أو من ساحل كورومنديل إلى شمطرة خلال ستة أشهر، ويسعها الإياب خلال الأشهر الستة التالية . وتسمى هذه الرياح الرياح الموسمية ، ويسمى أوان السفر بها الموسم ، أي وقته ، ولا يدل هذا المصطلح عادة على مدة يمكن السفر خلالها ، بل على تاريخ السفر . ويحتاج تحديد تاريخ السفر الى تقويم .

١ ـ النيروز العربي أو الهندي :

ويسمى التقويم الملاحي النيروز العربي أو الهندي ، وتعد فيه الأيام من ١ الى ٣٦٥ بلا توزيع على الشهور . وظن تيبتز ـ بعد فران ـ أن أوله وقع في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٤٨٨ أو ٨٩٣هـ ، لأن الحج والنيروز كانا في ليلة الجمعة في ذلك العام[١] . والصحيح أن ابن ماجد حدد بدء النيروز سنة ٨٦٦هـ عند طلوع منزل الإكليل بالفجر في ١٣ تشرين الثاني[٢] . في جميع الأحوال يساوي الاختلاف ربع يوم سنويا بين حساب النيروز وحساب السنة البيزنطية . لذلك يقول ابن ماجد : «وأما المواسم التي كان يسافر عليها آباؤنا وأجدادنا ، فقد تغيرت»[٣] . بالفعل ، تختلف مواسم السفر عنده عن مواسم السفر عند المهري وعند علي بن الحسين .

---

(١) ارجوزة تحفة القضاة ، الأبيات ٢٩٠ ـ ٢٩٤ .

(٢) حاوية الاختصار ، الفصل الثالث ، البيت ٣٦ .

(٣) مخطوطة ٢٢٩٢ ، ورقة ٧٦ ظهر ، س١١ ـ ١٢ .

٢ ـ مواسم السفر :

وعلى وجه العموم ، تسافر السفن من جزيرة العرب الى بر الهند وما وراءه بالرياح الموسمية الجنوبية الغربية المسماة ريح الكوس أو ريح الدبور . وتعود من الشرق بريح الأزيب أو الصبا أو القبول . لكن تتباين التواريخ على حساب النيروز أو السنة الرومية حسب موقع البنادر وحسب الظروف المناخية المحلية مثل مطر البشكال أو مطر الفيل ، والرهدة والدفانة والزحون ولا سيما الطوفان الذي يتحدث عنه ابن ماجد في الفائدة الرابعة .

٣ ـ نظرية الرياح والطوفانات :

ويتحدث تيبتز عن الرياح والطوفانات . وكل ما يفعله هو أنه يترجم فقرة من المنهاج عن الرياح الأصلية والنكباء[١] وفقرة من تحفة الفحول[٢] ، ويلخص ما قاله ابن ماجد عنها في كتاب فوائده[٣] .

ثم ينتقل الى الطوفانات ، فيترجم حرفيا ما جاء عنها في المنهاج الفاخر وعن تقسيمها الى طوفان الداماني وطوفان الأحيمر وطوفان الأربعين وطوفان البنات وطوفان التسعين ، وعن علاماتها[٤] .
وينهي كلامه بشرح معنى ألفاظ تعبر عن شدة الرياح أو ضعفها أو هدوئها .

ز ـ السياسات :

تعني السياسة علاقة المعلم أي صاحب الدرك بالسفينة عامة وبمن عليها خاصة ، لأن الملاحة لا تستتم إلا بها . فأولاً يجب أن يتفقد المعلم سفينته قبل

---

(١) ابراهيم خوري ، العلوم البحرية عند العرب ، القسم الأول ، الجزء الثاني ، المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر ، ص١٠١ ، س١ ـ ٦ .
(٢) المرجع ذاته ، الجزء الثالث ، ص٣٤ ـ ٣٥ .
(٣) المرجع ذاته ، القسم الثاني ، مصنفات احمد بن ماجد ، الجزء الاول ، كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ، ص١٥٣ ـ ١٥٧ .
(٤) المرجع ذاته القسم الأول الجزء الثاني ، ص١٠٢ ـ ١٠٤ .

إبحارها ، وأن يقاوم النوم في أثناء السفر ، ويراقب المسكن . وينبغي عليه أن يتحلى بخصال حميدة ليحسن معاملة العسكر والتجار ، وأن يتكل على الله ويكثر من الدعاء . هذا ما يأخذه تيبتز عن ابن ماجد ، ثم ينقل صفحتين من المنهاج عن المحذورات وعن تحذير صاحب الدرك[1] ، وينهي كلامه عن نظرية الملاحة العربية بترجمة حرفية لخاتمة تحفة الفحول[2] .

سادسا ـ طوبوغرافية النصوص الملاحية

آ ـ لمحة تاريخية :

يبدأ تيبتز هذا القسم من كتابه بإعطاء لمحة تاريخية عامة وسريعة عن الأوضاع السياسية على سواحل بحر الهند وبحاره الشاطئية . فيبرز انحطاط المماليك في مصر وبني تيمور في فارس ، وانهيار سلطنة دهلي في الهند وامبراطوريات بورما واندونيسية . ويلاحظ قيام دويلات صغيرة أو سلطنات محلية مستقلة عمليا في جميع تلك الأماكن ، كالأشراف في مكة ، وبني رسول وبني طاهر في اليمن ، وسلاطين عدن وسلطنة كثير والمهرة في جزيرة العرب الجنوبية ، وملوك هرموز في الخليج العربي ، وسلاطين جوزرات وكاليكوت وكشن على ساحل الدكن الغربي والشمالي الغربي ، وسلطنات تلنجانة ووريسة وبنجالة وتلنجة على سواحل خليج البنغال ، وملاقة في جنوبي شرقي آسية .

ب ـ الطوبوغرافية العالمية :

ويُجْمل تيبتز الطوبوغرافية العالمية حول بحر الهند من خلال شرح مقتضب جدا لبعض التسميات الجغرافية مثل المحيط أو البحر المحيط أو الإكليل أو الاقيانوس أو البحر الهندي أو البحر الكبير .

---

(١) العلوم البحرية ، القسم الأول ، الجزءالثاني ، ص١٠٥و١٠٨ .

(٢) مخطوطة ٢٥٥٩ ، ورقة ٩ / ظهر س١١ الى ورقة ١٠ وجه ، س١٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جـ ـ بحر القلزم أو بحر قلزم العرب :

وينتقل الى الحديث عن بحر القلزم ، ويميز فيه قسما شماليا وآخر جنوبيا ويُفَصِّلهما .

د ـ سواحل افريقية :

ويعدد الأعلام الجغرافية على سواحل افريقية وفي جزيرة القمر ، ويعلِّق عليها .

هـ ـ سواحل جزيرة العرب الجنوبية والجنوبية الشرقية وسواحل فارس :

ويعود الى جزيرة العرب ، فيستعرض مراسيها وجزرها في الجنوب . وينهي هذه الفقرة بأعلام شواطىء الخليج العربي وجزره .

و ـ سواحل شبه جزيرة الدكن وخليج البنغال وجزرها :

ويصل الى ساحلي شبه جزيرة الدكن الغربي والشرقي وأركان ، ويُعرِّج على جزر الفال والذيب وسيلان .

ز ـ سواحل آسية الجنوبية الشرقية وجزرها :

ويختم بحثه بالكلام عن سواحل آسية الجنوبية الشرقية وجزرها ، لا سيما جزر اندمان وناج باري وساحلا السيام وبورما وساحل ماليزية ، فبعض المواقع على سواحل بحر الصين الجنوبي ، فشمطرة وجاوة وسائر الجزر الجنوبية الشرقية .

ويبدو هذا القسم الأخير من كتاب تيبتز نقليا صرفا ، تعتمد شروحه وتعليقاته على ما كتب من قبل عن الأعلام الجغرافية . وهذا أمر طبيعي لا يعيبه تجميعه من شتى أبحاث العلماء .



الفصل الثالث

الدراسات الروسية والبرتغالية وأعمال أحمد بن ماجد

عُني الروس بالملاحة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين بدءا من عام ١٩٥٧ . وجال في مواضيعها المستشرق اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي وتيودور شوموفسكي . ويبدو ان الباحثة المعاصرة مارينا تولماشيفا تقتفي أثرهما . وحفزت الدراسات الروسية همم البرتغاليين ، فترجموا بعضها ، وتناولت أبحاثهم ما له منها علاقة مباشرة بتوسعهم الاستعماري وبـ«ممتلكاتهم فيما وراء البحار» .

أولاً ـ الدراسات الروسية

آ ـ اغناطيوس يوليانوفيتش كراتشكوفسكي :

وأثبت العلاّمة كراتشكوفسكي سعة اطلاعه النادرة في كتابه الموسوم «تاريخ الأدب الجغرافي العربي». وخصّ الجغرافية الملاحية عند العرب والترك في القرنين الخامس عشرة والسادس عشر بفصل كامل[1] ، يتضح فيه بجلاء تام أنه تتبع بدقة فريدة الأبحاث المنشورة عنها .

---

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القسم الثاني ، الفصل العشرون ص٥٦٢ ـ ٦٠٦ .

ولا يخفى على من يطالع ما كتبه كراتشكوفسكي أنه يكرر بطريقته الشيقة آراء غبرييل فران الذي كانت تربطه به علاقة وثيقة . وكان مقتنعا أن صديقه متمكن في دراسة النصوص الملاحية العربية ، فلم يحاول أن يقرأها ، وتبنى أفكاره ، وعرضها بإيجاز ، لا سيما ما يتعلق منها بأحمد بن ماجد وأعماله[1] .

من ذلك قوله أن المرشدات البحرية نشأت في سيراف ، ودليله أنها «مشحونة بالألفاظ البحرية . . وعدد هذه المصطلحات كبير للغاية . . . ويكثر عدد هذه الألفاظ عند التعرف على الاصطلاحات الفلكية في مؤلفات ابن ماجد . . وجميع هذه الألفاظ تقف دليلا قاطعا على أن العرب قد استعاروا من الفرس جميع اصطلاحات الجغرافية الملاحية تقريبا . وفي العصور القديمة ، عندما اقتصرت الملاحة عند العرب على الملاحة الساحلية ، فإنه لم تكن لهم معرفة بهذه الاصطلاحات . ولكنهم ما لبثوا أن أخذوا شيئا فشيئا من الفرس وردة الرياح . . كما أخذوا الراهنامجات المختلفة التي مكنتهم بالتدرج من أن يصبحوا منافسين خطيرين للفرس في الملاحة بالمحيط الهندي بأجمعه»[2] .

ومنه أيضاً ، قبوله نص قطب الدين النهروالي الوارد فيه إرشاد فاسكوداغاما ، واعتبار ترجمة فران له وتحليله دقيقين ووافيين ، ورفضه تهمة السكر .

ومنه أخيراً ، حديثه عن تصانيف ابن ماجد وعددها ومسوداتها . ولا يعتمد البتة على هذا العرض لما فيه من أخطاء : مثل «تتراوح أحجام الأراجيز بين ٢٠ و٣٠٠ بيت» أو عدد أبيات السفالية «حوالي ست مائة بيت» مع أنها في متناول يده .

مع ذلك ، لكراتشكوفسكي فضل اطلاع فران على وجود ثلاث أراجيز في معهد الاستشراق ، وحثه طالبه تيودور شوموفسكي على دراستها وترجمتها الى اللغة الروسية .

---

(١) المرجع ذاته ، ص٥٦٦ ـ ٥٧٨ .

(٢) المرجع ذاته ، ص٥٦٦ ـ ٥٦٨ . وهذا الكلام تلخيص لمقال فران : «العنصر الفارسي في النصوص الملاحية العربية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر» .

ب ـ تيودور شوموفسكي :

نشر تيودور شوموفسكي الأراجيز الثلاث المحفوظة في معهد الاستشراق في لينغراد مصورة . وترجمها الى اللغة الروسية ، ورسم لها خريطة بحر الهند . وألحق بها فهارس وأبحاثاً متنوعةمرقمة بالأرقام الرومانية من ١ الى ١٣ ، تضمنت فهرسي الأماكن الجغرافية والكواكب الملاحية . وطبع عمله ووزع سنة ١٩٥٧ أي في العام ذاته الذي طبع فيه ووزع تاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي .

وبلغ العدد الصحيح لأبيات الأراجيز التي حللها شوموفسكي ونقلها الى الروسية ١٠٢٨ بيتا ، يضاف اليها ١٠٦ أبيات دست في السفالية ، ولم يشعر بانتحالها . وهي أبيات السفالية والملعقية والتائية . وجاء كتابه في ١٩٨ صفحة روسية و٤٦ صفحة عربية (صورة المخطوطة) . ونقل منير مرسي مؤلفه الى اللغة العربية ونشره سنة ١٩٦٩ في القاهرة .

ومهما أخذ على مصنف شوموفسكي ، فلا بد من اعتبار هذا المستشرق رائدا في دراسة الملاحة العربية في القرن الخامس عشر ، لأنه الوحيد بين المستعربين ، الذي أقدم بشجاعة على تحليل بعض الشعر الملاحي العربي . ونحن نعلم أن هذا الشعر أصل في فن أو علم الملاحة العربي ، وليس النثر سوى شرح له ، خلافا لما رأى الباحثون الاوروبيون الذين اعتبروا النثر أجود ما كتبه ابن ماجد معنى ومبنى .

وتكفي هذه الإشارة السريعة الى شوموفسكي هنا ، لأننا توسعنا في الحديث عنه في الفصل الخامس من القسم الثاني من هذا الكتاب ، وسوف نعود اليه مطولا أيضا في الفصل الثالث من القسم الرابع ، لصلة كتابه الوثيقة بقضية ارشاد فاسكوداغاما .

جـ ـ مارينا تولماشيفا

ألقت مارينا تولماشيفا محاضرة في مؤتمر جمعية الدراسات الشرقية الأوسطية في أمريكة الشمالية (تشرين الثاني سنة ١٩٧٨) ، تناولت فيها ما سمته «النهج العربي

في تحديد الاتجاه في الملاحة» . ثم أدخلت عليها بعض تعديلات اقترحها عليها جورج فضلو حوراني ودانييل س. واو ، ونشرتها في مجلة ارابيكا في المجلد ٢٧ ، الكراس الثاني . وتوحي قراءة مقالها بأنها تتتبع عن كثب ما يكتب عن الملاحة ، لا سيما العربية ، في المحيط الهندي . وتتأثر تولماشيفا بوضوح بأفكار غبرييل فران ومن يكررها رغم توثيقها الدقيق لجميع ما تعرضه .

وقسمت موضوعها الى ست فقرات هي : النهج الكلاسيكي ، والجري على الجدي ، والديرة النجمية ، والدليل اللغوي ، والتقويم الزمني ، والأصول .

١ - النهج الكلاسيكي

وتنطلق مما تعتبره النهج الكلاسيكي ، المدون في تصانيف أحمد بن ماجد وسليمان المهري ، التي تتضمن الدير وقواعد الملاحة والرصد الفلكي والمعارف النظرية الضرورية لتحديد مجرى السفينة وموقعها .

وتختلف هذه التقنيات الملاحية التقليدية عن الطرق الحديثة باستعمالها الكواكب في توجيه السفن وقياس درجة العرض أيضاً .

وتتحدد درجة العرض عادة بقياس ارتفاع نجم القطب ، او ارتفاع بعض كواكب صورتي الدبين الأكبر والأصغر في المنطقة الاستوائية ونصف الكرة الجنوبي . ولا يعطي رصد النجوم درجة الطول بدقة كبيرة ، لأنه لا يوفر للملاحين معطيات عن تحرك سفنهم حسبها . مع ذلك يحسب تبدل درجة الطول مثلثاتيا بتقدير الخن والمسافة .

٢ - الجري على الجدي

ويسلم الباحثون أن العرب أول من استعمل نجم القطب لقياس درجة العرض في البحر . وكانوا يقيسون ارتفاعه وهو في الحضيض (اي تحت القطب) ما عدا في بعض الأماكن القريبة من خط الاستواء . ويستعملون لوحاً خشبياً مجهزاً بسلك مبنياً على مبدأ الآلة المتصالبة ، ويعقدون على الخيط عقدا متساوية البعد

عادة تدل كل عقدة منها على زاوية قياسها اصبع واحدة وقد تغيرت قيمة الإصبع مع الزمن . ففي البدء ، كان محيط الدائرة يساوي ٢٢٤ إصبعاً ، ثم هبط الى ٢١٠ أصابع .

ويصح الجري على الجدي في الأسفار البعيدة من الشمال الى الجنوب او بالعكس ، كما في البحر الأحمر ، وعلى الفرقدين بعده . ويشك في استخدام الإبرة المغناطيسية في بحر الهند قبل وصول الأوربيين إليه . وتصف المراجع العربية الإبرة والبوصلة . إلا أن الديرة العربية ديرة نجمية في الحقيقة والواقع .

٣ ـ الديرة النجمية

وتقسم الديرة النجمية العربية الى ٣٢ خناً ، ويحدد اثنان منها (الشمال والجنوب) تحديداً تقريبياً . وتسمى الأخنان الباقية بأسماء خمسة عشر كوكباً مطلعاً ومغيباً هي : الفرقدان والنعش والناقة والعيوق والواقع والسماك والثريا والطائر والجوزاء والتير والإكليل والعقرب والحماران وسهيل والسلبار .

وتقارن تولماشيفا الديرة النجمية العربية بالديرة النجمية البولينيزية ، وتلاحظ ان هذه الأخيرة تستعمل نصف الكواكب المستعملة عند العرب .

٤ ـ الدليل اللغوي

وتجزم ان الديرة النجمية العربية ليست عربية بدليل وجود ثلاثة أسماء فارسية فيها تطلق على ثلاثة أخنان من أخنانها هي : الجاه والتير والسلبار . وتستدرك وتقول إن لهذه الكواكب اسماء عربية هي : الجدي والشعرى العبور والمحنث .

وتعتبر استعمال لفظ الخن مظهرا من مظاهر التأثير الفارسي الكبير في الملاحة العربية ، وتشير ايضاً الى الفاظ فارسية أخرى شائعة في اللغة الملاحية العربية .

٥ ـ التقويم الزمني : النيروز

وتقبل رأي فران أن العرب أخذوا الديرة النجمية عن الفرس . وتقدر ان هذا النقل تم قبل القرن الثالث عشر ، بل قبل القرن العاشر الميلادي . وتظن أنه ترافق مع تبني الملاحين العرب تقويم النيروز . وتستند في ذلك على تقدم الاعتدالين .

٦ ـ الأصول

وتتحفظ مارينا تولماشيفا في نهاية بحثها ، وتقترح الفصل بين استخدام نجم القطب في تحديد العرض وبين الديرة النجمية ، عند دراسة أصلها وانتقالها الى العرب . وتبرز بعض الوقائع الواجب أخذها بعين الاعتبار . منها أولاً أن الخليج العربي لا يفضل على البحر الأحمر في الملاحة الشمالية الجنوبية ، علماً أن معرفة ابن ماجد والمهري للبحر الأحمر ضعيفة ـ كذا . ومنها ثانياً أن «الطواف حول البحر الأحمر» أثبت دور عرب الجنوب الرئيس في ملاحة الباحة في بحر الهند . ومنها ثالثا أن الفرس القدامى لم يهتموا بالأنشطة البحرية حتى عهد الساسانيين . ومنها أخيرا ان العرب والفرس أتيحت لهم فرص الاستفادة من خبرة الأمم الأخرى في أثناء أسفارهم البحرية البعيدة .

هذا ما تصورته مارينا تولماشيفا نقلاً عن فران وتيبتز وغروسيه غرانج وغيرهم . فهي تشبه كراتشكوفسكي في عملها النقلي الذي يجمع بعض آراء الآخرين ويرددها ، في حين لقي عمل شوموفسكي الجديد صدى مستحباً في أوربة لاسيما في البرتغال .

ثانياً ـ الدراسات البرتغالية

صمت البرتغاليون دهراً ، وامتنعوا عن الخوض في أبحاث الملاحة العربية في بحر الهند طيلة ٤٦٢ عاماً ، اي من استيلاء فاسكو داغاما في رحلته الأولى على المخطوطات الملاحية العربية وإرساله إياها الى عاصمته لشبونة الى ما بعد نشر شوموفسكي أراجيز لييننغراد عام ١٩٥٧ ، مع أنهم أقدر الناس على تقويم علم

البحر عند العرب وإعطاء أدق التفاصيل عنه ، لأن لديهم وثائق تكاد لا تعد ولا تحصى عن النشاط البحري العربي في القرن السادس عشر في الحد الأدنى .

ثم انبروا فجأة للحديث عن علم البحر العربي بعد شوموفسكي مباشرة . لكن بقي حماسهم محدوداً ، وحصروا أبحاثهم بالأرجوزة السفالية ، لأنها ـ اولاً ـ تشيد بمقدرتهم البحرية وتفوق ملاحتهم على الملاحة العربية باعتراف أحمد بن ماجد أعظم البحارة العرب ، ولأنها ـ ثانياً ـ تتناول فيها تتناول إحدى مستعمراتهم القديمة ، نعني سفالة في موزمبيق .

ولا يلام البرتغاليون إن هم افتخروا بإطراء أحمد بن ماجد وإبراز تقريظه ، واعتبار شهادته مفخرة لهم واعلاءاً لشأنهم في أعين الدول الأوربية الكبيرة التي نقصتهم حقهم واغتصبت فتوحاتهم . وحسناً فعلوا في تدقيق ما ورد في أرجوزة الملاح العربي الفذ عن جزء من ساحل إفريقية الشرقية ، ولو قصروا كليا في التوسع في دراسة النصوص الملاحية العربية ومقارنتها بنصوصهم . وكانت ترجمة عمل شوموفسكي بداية نشاطهم الفكري في هذا الميدان .

آ ـ ترجمة ميرون ملكييل جيرمونسكي عمل شوموفسكي

ففي شهر آب سنة ١٩٦٠ ، نشرت مجلة الغرب البرتغالية (Ocidente) في عددها رقم ٢٦٨ ، مقالاً عنوانه «تيودور ا. شوموفسكي ، «التعريف بربان فاسكو داغاما العربي» ، ترجمة ميرون ملكييل جيرمونسكي (ص ٦٧ ـ ٧٥).

وورد في العدد ذاته (ص ١٢١ ـ ١٢٣) تحت العنوان العام : الكتب الصادرة : إعلام عن طبع ترجمة ميرون ملكييل جيرمونسكي على الوجه التالي :

ثلاثة مرشدات لأحمد بن ماجد الربان العربي لفاسكوداغاما
لتيودور ا . شوموفسكي

وقد نشرته لجنة لشبونة التنفيذية للاحتفال بمرور خمسة قرون على وفاة هنري الملاح (متوفى ١٤٦٠) نجل جان الأول ملك البرتغال . وجاء الكتاب المترجم في ١٩٥ صفحة . وأعطيت خلاصة موجزة عن مضمونه . وهكذا أصبح في متناول الباحثين البرتغاليين ، نص عربي منقول الى لغتهم ، فتهافتوا على الكتابة عنه .

ب ـ دراسات الباحثين البرتغاليين

أرضت ترجمة جيرمونسكي الكبرياء الوطني لدى بعض المفكرين البرتغاليين، وحثت الجميع على إجراء بحوث علمية صرفة . وسنذكر اثنين منهم فقط هما تكسيرا داموتا وليرينو برادس .

١ ـ تكسيرا داموتا

فتكسيرا داموتا ضابط كبير في البحرية البرتغالية ، كان يتنقل بين لشبونة وأنغولا وموزمبيق ، ويهتم بالملاحة في المحيط الهندي . وقد نشر سنة ١٩٦٣ ، بالفرنسية ، كتاب «طرق الملاحة والكرتوغرافية الملاحية في بحر الهند قبل القرن السادس عشر» ، واعتمد فيه على المصادر البرتغالية وعلى أقوال فران وشوموفسكي . ويتميز بتحاليله الرزينة . لكنه ممن صدقوا الأبيات المنحولة ، فقال : «نظم ابن ماجد الأرجوزة السفالية بعد بضعة أعوام من قيادته فاسكو داغاما من ملندة الى كاليكوت . واستعمل فيها بعض العناصر البرتغالية ، ونصح الربابنة الشرقيين عدة مرات أن يتعلموا من البرتغاليين لأن العلم والفن يأتيان من الفرنج . ونظن أن هذه النصيحة الصادرة عن أعظم معلم عربي في جميع الأزمنة ، تعني في جوهرها أن تفوق اوربيي فاسكو داغاما الكبير عندما وصلوا الى بحر الهند ، اذا ما قورنوا بالشرقيين ، يعود الى . . . .»[1]

٢ ـ ليرينو برادس

وكتب ليرينو برادس أربعة أبحاث طويلة ، علق فيها على الأرجوزة السفالية او شرح الأماكن الواردة فيها . وطبع البحث الأول سنة ١٩٦٧ ، وعنونه «موزمبيق في الأرجوزة السفالية للمعلم أحمد بن ماجد» ، والثاني سنة ١٩٧٠ ،

---

(١) تكسيرا داموتا ، ١٠ ، طرق الملاحة والكرتوغرافية الملاحية في بحر الهند قبل القرن السادس عشر» ، ص ٤٠ ، س ٥ ـ ١٤

ووسمه «غرق السفن البرتغالية قرب جزر خوريا موريا سنة ١٥٠٣» ، والثالث سنة ١٩٧٠ أيضا وسماه «إنهمبان دي أوترورو» . ونشر الرابع سنة ١٩٧١ ، وعنونه «موجز الأرجوزة السفالية للمعلم أحمد بن ماجد» . وارتكز في بحثه الأخير على دراسة شوموفسكي ، وأعطى فيه فكرة اجمالية عن السفالية ، ثم تحدث عن جزيرة وازة ، وعن كلام ابن ماجد عن الفرنج البرتغاليين . وقارن في النهاية الملاحة البرتغالية بالملاحة العربية ، واستخلص نتائج خاطئة لأنه اخذ بعين الاعتبار الأبيات المنحولة المدسوسة في السفالية .



القسم الرابع

استحالة لقاء أحمد بن ماجد وفاسكو داغاما



تمهيد

دخل أحمد بن ماجد التاريخ من بابه العريض بتأسيس ملاحة بحرية جديدة خالصة من شوائب أخطاء الماضي ، وراسية على مبادىء حديثة تدعمها المعارف التقنية والفلكية والجغرافية ، وتتقيد بالاختبار والتجريب والتكرار حتى اكتشاف القاعدة العلمية الصحيحة الثابتة .

ونال شهرة واسعة جدا . وأفاد منه في حياته نهاراً جهاراً كل من أدرك مستوى علمه الرفيع ، وسرا وخفاءاً كل من حسده وتحامل عليه من المعالمة الجهلة او الحاقدين .

ولم تقتصر شهرته على الأوساط العربية ، بل وصلت الى الهند والسند والديلم والترك والزنج . ولا أدل على انتشار اسمه وعلمه من اتساع تداول تصانيفه بين القاصي والداني من ربابين بحر الهند ، ومن انتحالها وترجمتها الى لغة الأردو واللغة التركية ، لأن أهل البحر اقتنعوا أن سلامتهم وسلامة مراكبهم تكمنان في معرفة علمه وتطبيقه .

هذا هو الرجل العظيم الذي عاش قبيل انتقال السيطرة على العالم من الشرق الى الغرب على يد البرتغاليين ومن لحق بهم . وكان الأتراك العثمانيون في عداد الخاسرين الكبار في هذا الحدث التاريخي الهائل الذي ما يزال العالم يعاني من مضاعفاته في أيامنا الحاضرة . وقد ارتأى أحد أنصارهم ، وهو قطب الدين النهروالي ، أن يبرر فشلهم ، فألقى بمسؤولية الانتقال الخطيرة على كاهل الرجل العظيم ببساطة كلية وسذاجة . ومن هنا نشأت قضية إرشاد البرتغاليين ، التي أثارت جدلاً حامياً طويلاً لا يحسمه إلا تحليل الآراء المطروحة من عهد النهروالي حتى اليوم . وهذا ما نحن فاعلوه ونبدأ بالنهروالي لأنه أول من طرح الفكرة دون سائر المؤرخين والمفكرين ، في وثيقة كتبت في ظروف غامضة سوف نستجليها ، وبألفاظ مبهمة التبس فهم مضمونها على بعض المستشرقين وبعض الباحثين العرب . وسوف نسلط الأضواء على ظروف كتابة وثيقة النهروالي ثم نحلل مضمونها ونفندها .



الفصل الأول

وثيقة النهروالي

أولاً ـ ظروف كتابة وثيقة النهروالي

آ ـ تعيين الأتراك قطب الدين النهروالي مفتياً لمكة

هاجر قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي[1] (لاهور الهند ٩١٧هـ/١٥١١م ـ مكة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) الى مكة حدثا ولما يبلغ الخامسة عشرة . واشتهر بثقافته الدينية العالية . وكان يتقن الفارسية والتركية والعربية . وقد استولت الدولة العثمانية التركية على الحجاز في أيامه . وتقرب هو من الأتراك ونال حظوة كبيرة لديهم ، فأسندوا له منصبي الإفتاء والقضاء في مكة ، وقرروا له مرتباً سنوياً يساوي مرتب شيخ الحرم المكي ، اي الشخص الثاني بعد شريف مكة . وكلفوه بالتدريس في مدرسة الأحناف السليمانية لقاء راتب ضخم يعادل ستين ليرة ذهبية عثمانية في اليوم الواحد . وغمره بالعطاء سلاطين الأتراك وولاتهم وأمراؤهم . وكان يطوف بكل عظيم تركي يحج ، ولا يرتضي رجالات الأتراك مطوفاً غيره ، ولو كان من آل ظهيرة أو سواهم من البيوتات العريقة في مكة .

(١) والده الشيخ علاء الدين ابو العباس ، احمد بن شمس الدين محمد بن قاضي خان ، بهاء الدين محمد بن يعقوب بن حسن بن علي بن محمد العدني . اذن اصلهم من عدن . وقد هاجرت اسرته قديما الى نهرواله في ولاية جوزرات ، واستوطنت هناك . ومن هنا لقب النهروالي .

ب - تكليف الأتراك قطب الدين النهروالي بكتابة تاريخ فتحهم اليمن

ولما استلم سنان باشا قيادة الجيش التركي الذاهب لفتح اليمن ، مر بمكة ، وقام النهروالي بخدمته . وبعد أن أتم سنان فتح اليمن ، رجع الى مكة حاجاً ، فلازمه النهروالي ، وقال عن علاقته به : «فعاد من أرض اليمن الى بلد الله الحرام ، ورزقه الله تعالى حجة الإسلام ، فلازمته في زمن الحج ، وقضيت معه مناسك المج والثج ، وغمرني بلطفه وكرمه ، وقلدني بأطواق بره ونعمه ، وشرف معاطفي بخلع التشريف ، وأتحفني بكل نادرة لطيفة وكل خبر لطيف ، وساق الي أخبار هذا الفتح العظيم ، وما منحه الله تعالى من الفضل العظيم ، والخير الجسيم ، وشرح ما لاقاه هو والعساكر المنصورة من التعب الشديد ، والألم الأليم ، وأمرني أن ارقم تلك الأخبار ، وأودع صدور الصحف عجائب تلك المآثر والآثار . . . وأعطاني حضرة الوزير المشار اليه ، أعلى الله تعالى مرتبته لديه ، نسخة من تاريخ فتح اليمن ، منظومة باللسان التركي ، للمرحوم المبرور ، مصطفى بك الرموزي ، أمير اللواء السلطاني ، و«دفتردار» ممالك اليمن ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، لاستضيء به في الاطلاع على بعض أحوال تلك البقاع ، وهو تاريخ في أعلى درجات اللطافة ، ليس له نظير في الكياسة والظرافة ، أناف على الحسن غاية الإنافة ، غير أنه ، لما كان منظوما ، لم يتمكن ناظمه من أداء المعنى بالتمام ، ولو بلغ حد الإعجاز في حسن أداء الكلام . على أني انتفعت به كثيراً في الأخبار ، وعولت عليه ، فيما ثبتت صحته عند نقلة الأخبار ، وجمعت في حدائق هذه الأوراق ، ثمرات تتنزه بها الخواطر والأحداق»[1] .

ويتضح من هذا النص أن سنان باشا طلب من النهروالي أن ينقل الى اللغة العربية تاريخ اليمن استناداً الى إرشاداته الشفهية والى ما نظمه مصطفى بك الرموزي ، رئيس كتابه ، باللغة التركية ، وأن النهروالي تحقق من صحة أخباره

---

(١) غزوات الجراكسة والاتراك في جنوب الجزيرة المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني ، تأليف قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض المملكة العربية السعودية .

من «نقلة الأخبار» أي المؤرخين الآخرين . ونفذ النهروالي رغبة أوامر القائد التركي ، فكتب «الفتوحات العثمانية للأقطار اليمانية» سنة ٩٨١ هـ/١٥٧٣م ، وأهداه الى السلطان سليم خان ، ثم زاد عليه وسماه «البرق اليماني في الفتح العثماني ، وقدمه الى السلطان مراد خان بن سليم ، وضمنه الأحداث الجارية بين عام ٩٠٠هـ/١٤٩٤م وبين عام ٩٨٧هـ/١٥٧٠م .

جـ - نص تحميل النهروالي أحمد بن ماجد مسؤولية إيصال البرتغاليين الى الهند

وورد في هذا الكتاب ذاته النص المتعلق باتهام أحمد بن ماجد بإيصال البرتغاليين الى الهند ، وهو مايلي :

«وقع في أول القرن العاشر - اي سنة ١٤٩٥م - من الحوادث الفوادح النوادر ، دخول «الفرتقال» اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين ، الى ديار الهند . وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ، ويلجون الظلمات ، ويمرون بموضع قريب من جبال القمر[1] ، بضم القاف وسكون الميم ، جمع أقمر ، أي أبيض ، وهي مادة أصل بحر النيل ، ويصلون الى المشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، في مضيق ، أحد جانبيه جبل ، والجانب الثاني بحر الظلمات ، في مكان كثير الأمواج ، لا تستقر به سفائنهم ، وتتكسر ، ولا ينجو منهم أحد . واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون في ذلك المكان ، ولا يخلص من طائفتهم أحد الى بحر الهند ، الى أن خلص منهم غراب الى الهند . فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر ، يقال له أحمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له الملندي ، وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك

---

(١) ورد اسم جبل القمر ، بفتح القاف ، ترجمة عن اليونانية ، عند بطلميوس القلوذي ، نقلا عن مارينوس الصوري . ولم يتفق الباحثون حتى الآن على ما يقابله من المرتفعات الافريقية في ايامنا الحاضرة . فقيل جبل كيليمنجارو ، وقيل «جبل خمير (تحريف قمر العربية) في اثيوبية الوسطى ، واسمه الحالي جبل ابونا يوسف ، وقيل بل لا وجود له وان وجد فموقعه جنوبي خط الاستواء .

المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند ، وبنوا في كوة من بلاد الدكن قلعة يسمونها كوتا . ثم أخذوا هرموز ، وتقووا هنالك ، وصارت الأمداد تترادف عليهم من البرتغال فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً»[1] .

د ـ مآخذ عامة على وثيقة النهروالي

١ ـ وثيقة النهروالي مكتوبة ٨٠ عاماً تقريباً بعد وصول البرتغاليين الى الهند

يسترعي الانتباه لأول وهلة جعل النهروالي وصول «الفرتقال» الى الهند في عام ١٤٩٥م عوضاً عن عام ١٤٩٨م/٩٠٤هـ : «وقع في أول القرن العاشر ـ يقصد الهجري ـ دخول «الفرتقال اللعين . . . الى ديار الهند» . وبذا يكون قد أخطأ ، وأوقع كل من نقل عنه في خطئه ، مثل المؤرخ جمال الدين أبي بكر الشبلي اليمني (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) الذي كرر غلطه حرفياً تقريباً في كلامه عن حوادث سنة ٩٠١هـ : «وفيها ظهر الإفرنج البرتقال ـ خذلهم الله تعالى ـ في الديار الهندية»[2] . فالنهروالي الذي لا يعرف متى جاء «الفرتقال» لا يمكن أن يعرف ما هو أدق ، أي من اتصل بهم ومن أرشدهم الى الهند .

ولو عاصر النهروالي الأحداث البرتغالية في بحر الهند ، لقلنا إنه واسع الاطلاع ودقيق في أخباره . لكنه كتب النسخة الأولى من البرق اليماني بعد مرور ثلاثة وثمانين عاماً على قدوم فاسكو داغاما الى بحر الهند . ويبدو أنه نقل بعض وقائع كتابه عن ابن الديبع الذي يسميه النهروالي «الفقيه الأجل الحافظ المحدث المؤرخ الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن الديبع» . ويحيل الى مصنفه «الفضل

---

(١) المرجع البرق اليماني السابق ، ص ١٨ ـ ١٩ . وتوصل تعني تقرب من الناس ، وتلطف اليهم في سبيل الحصول على شيء معين .

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في اخبار القرن العاشر ، مخطوطة ورقة ٧

المزيد في تاريخ أهل زبيد» . وابن الديبع هذا[1] عاصر الأحداث البرتغالية ، وتكلم عما جرى منها ابتداءاً من عام ٩٠٨هـ/١٥٠٣م ، اي بعد انقضاء خمسة أعوام على رحلة فاسكو داغاما الأولى . وهو لا يشير الى فاسكو داغاما ولا الى أحمد بن ماجد لا قبل هذا التاريخ ولا بعده . وعاصرها أيضاً بامخرمة[2] المؤرخ اليمني الشهير ، لكنه لايتحدث إلا عما جرى منها بعد عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م ، اي بعد مرور تسعة أعوام على رحلة فاسكو داغاما الأولى ، ولا يشير بامخرمة لا الى فاسكو داغاما ولا الى أحمد بن ماجد لا قبل هذا التاريخ ولا بعده . بالتالي لم يشعر المؤرخان اليمنيان المعاصران للأحداث البرتغالية المعنية ، بوجود الفرنج في بحر الهند إلا في وقت لاحق وبعد أن ذهبوا الى الهند ورجعوا منها ، ولم يتناولا وصول البرتغال الأول الى بحر الهند لا من قريب ولا من بعيد . أما النهروالي ، المؤرخ المتأخر ، فيجيء بالبرتغاليين الى بحر الهند قبل قدومهم الفعلي والحقيقي اليه بثلاثة أعوام ، ويجزم أن أحمد بن ماجد تولى تسهيل مهمتهم وهو سكران ـ زيادة في الدقة ـ ولولاه اي لولا ابن ماجد لما عبروا الى الهند . اذن تكتنف ظلال شك كثيفة خبر النهروالي عن أحمد بن ماجد ، ولا يوثق بانفراد راوية يذكر خبرا لا يرد عند سائر المؤرخين المعاصرين للحدث والمتأخرين عنه ، لاسيما ان النهروالي يقيم في مكة بعيدا عن مسرح الأحداث .

٢ ـ وثيقة النهروالي تتعارض مع ثناء علي بن الحسين على أحمد بن ماجد

وتتعارض رواية النهروالي مع ثناء أمير البحر علي بن الحسين (٩٧٠هـ/١٥٦٢م) على أحمد بن ماجد في كتابه المحيط . فهذا القائد التركي

---

(١) هو وجيه الدين ابو عبد الله ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن يوسف بن احمد بن عمر الشيباني الزبيدي المعروف بابن الديبع (٨٦٦هـ/١٤٩١م - ٩٤٤هـ/١٥٣٧م) وله ايضا قرة العيون في اخبار اليمن الميمون .

(٢) هو عفيف الدين ابو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن احمد بن علي بن احمد بن ابراهيم بامخرمة الحميري الشيباني الهجراني الحضرمي العدني الشافعي (٨٧٠هـ/١٤٦٥م - ٩٤٧هـ/١٥٤٠م) وله تاريخ ثغر عدن ، وقلادة النحر في وفيات اعيان الدهر

لا يطعن بتاتاً بالمعلم العربي الفذ ، ولا يتهمه بإرشاد الفرنج ، مع أنه سأل عنه ، وترجم محيطه عن تصانيفه وعن تصانيف المهري ، قبل تأليف النهروالي كتابه البرق اليماني بربع قرن (٩٦٢هـ/١٥٥٤م) . فلو أن شيئاً مما ذكره المفتي حدث فعلاً ، لكان هذا المسؤول التركي الكبير أول المطلعين عليه ، ولما أغفله ، لاسيما انه كان في منطقة الأحداث بعد نصف قرن من بدئها ، وكانت ما تزال مستمرة وغير محسومة . ولم يقل النهروالي نفسه إنه نقل الخبر عن مصطفى الرموزي أو سنان باشا ، بطلي الحملة التركية على اليمن . فلابد من استبعاد مرور رواية النهروالي في ذهن الأتراك أو كونهم روجوها ، وبلغت مسامع مدونها .

٣ ـ جهل النهروالي مهارة البرتغاليين الملاحية

ويجهل النهروالي ، فيما يبدو ، مهارة البرتغاليين في الملاحة ، ويستخف بمستواهم العالي . ولا تحتاج هذه النواحي الى عبقرية لإدراكها . فقطعهم المحيط الأطلسي من لشبونة الى رأس الرجاء الصالح ، بصرف النظر عن معرفة المسافة الطويلة ، ووصولهم الى مشارف بحر الهند ، باعترافه صراحة في نصه ، كافيان لإثبات أنهم ملاحون ماهرون ، ولبيان تناقضه مع نفسه . ثم إن ظهورهم في بحر الهند ، حتى دون أن يعرف المرء من أين جاؤوا ، ودون أن يمروا ببحر القلزم او بالخليج العربي بعد إنزال سفنهم من البر في أحد الموانىء ، يعني أنهم سلكوا طريقاً جديدة ، لم يسلكها غيرهم فيما تروي التواريخ . وحتى لو لم يستعينوا بأحد ، كانوا سوف يبلغون الهند عاجلاً أو آجلاً ، ربما بصعوبة أو متأخرين بعض الوقت لأن البحر الذي يركبونه مجهول لديهم ، لكنهم كانوا سوف يكتشفونه رويداً رويداً وشيئاً فشيئاً ، مثلما اكتشفوا بحر الظلمات تدريجياً وعلى مدى زمني طويل . ومن هنا ، لا يرى الباحث الموضوعي من مغزى لتحميل ابن ماجد مسؤولية ضخمة لا قبل له بها ، سوى ضيق أفق متهمه في الحكم على أحداث عالمية ضخمة بدأت تباشيرها تظهر في مطلع القرن الخامس عشر مع قدوم الأساطيل الصينية الى بحر الهند : فالصراع كان قائماً بين دول العالم ، ويستهدف السيطرة على التجارة العالمية ، وكان اقتصادياً بحتاً ، احتدم بين الشرق والشرق في أثناء الحملات الصينية في الثلث الأول من القرن ، ثم تحول الى صراع بين الغرب والغرب ـ

البندقية والبرتغال وأنصارهما ـ وذهب الشرق الضعيف المتفكك ضحية هذا الصراع الطويل في النهاية .

٤ ـ تجاهل النهروالي انتشار مبادىء الملاحة الغربية ووصولها إلى البرتغاليين

أخيراً يتجاهل النهروالي واقعا وتقليدا تفخر بهما العروبة والاسلام. فالعلم منفتح عند العرب والمسلمين، لا خفاء فيه. ويطلبه كل من يرغب فيه، ولا يمنع عن أحد. ويجب على العالم، مهما كان فرع علمه، دينياً أو دنيوياً، ألا يحبسه عن طالبيه ، بل أن يسعى الى نشره بين الناس. وما أكثر من تتلمذوا على العلماء في تاريخ العرب والاسلام. وما أكثر العلماء الذين كانوا يعطون كل علمهم الى تلامذتهم النجباء. فهل نذكّر بالفقهاء والحفاظ والمتكلمين، وبمجالس العلم عند الخلفاء، وبتنافس الولاة على استقدام العلماء إليهم وإكرامهم وإغداق المنح عليهم وإفساح المجال لهم لإجراء دراساتهم وكتابتها حتى ان بعضهم كان يوهب زنة مصنفه ذهباً؟

ولا يخرج علم البحر على هذه التقاليد الموروثة الثابتة. فقد كان معالمة البحر يجتمعون في حلقات في البنادر ويناقشون فيها علناً مسائل علم البحر، ويتبارون في حلها، ويتباهون به. ألم يقل ابن ماجد شعراً في ذهبيته (البيت ١٨٥):

وإني شهاب كالشهاب إذا غدت معالمة الحلقات تقفو مطالبي

وهو يعلّق على ندوات المعالمة في كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، فيقول: «وقد حضرت في شيء وعشرين حلقة زاخرة بالمعالمة والمحققين، فلم أقم إلا منصوراً»[١]. اذن كان المعالمة يتبادلون المعارف فيما بينهم في أيامه، ولا يخفي أحد منهم علمه عن أقرانه أو عن سائله. ويتم التبادل العلمي أحيانا من معلم إلى آخر مباشرة عندما يلتقيان، على حد قول ابن ماجد نفسه: «وحدّثني الربان عثمان الجازاني، الربان المشهور في ذلك البر، وقال لي: إن فيها

(١) كتاب الفوائد ، ص ٢٣٥ ، س ١١ ـ ١٢ .

بعض عواري ولم أسمعه من غيره، ولا من والدي، ولا من أهل البحر في أهل زماني من الربابين، أي ربابين الجبل واليمن»[1]. يضاف الى ذلك تصانيف المعلمين او دفاترهم (رهمانجاتهم) التي كانت متداولة وفي متناول جميع الربابين وأهل البحر.

ويتوزع أولئك المعالمة القديرون على بنادر بحر الهند، وينتظرون فيها مناسبة تقديم خدماتهم لمن يرغب فيها من أصحاب المراكب لقاء أجر يتفق عليه. وابن ماجد أحد هؤلاء المعالمة الذين كانوا يتنقلون بين البنادر، ويقيمون فيها متحيِّنين فرص العمل، ويتقاضون مبلغاً من المال عن كل رحلة. ويخبرنا هو نفسه عن كثير من رحلاته. منها رحلتان في عهد الملك الأشرف قايتباي (٨٧٢ هـ/١٤٦٧ م - ٩٠١ هـ/١٤٩٦ م). فقد كان في كاليكوت في أحد الأيام، وولج منها إلى جدة بمركب صدق الدين الحلبي المسمى بالمحمودي. وفي يوم آخر كان في هرموز، وولج منها الى جدة أيضا بخمسة مراكب شحن للشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي الحموي، وأخذ منه مائتي أشرفي (ليرة ذهبية)، أو خمس مائة أشرفي في رواية أخرى. وأسف في وقت لاحق، في أرجوزته السبعية (الأبيات ٢٧٣ - ٢٧٥) التي نظمها عام ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥ م، لتدني أجور المعالمة، وأبان خطورته وانعكاساته على التجار وعلى مالكي السفن، فقال:

أمّا الذي يسترخص النواخذَهْ	**فليس لـه معلّم بـالقـاعـده**
ولا بد في سالفات الدهرِ	**يرونْ عاماً في جميع العمرِ**
تمناهم الصرفة في الترحالِ	**تُتلفُ أرواحاً على أموالِ**

ويتحدث ابن ماجد عن وفرة المعالمة في بنادر بحر الهند مثل بندر هرموز، ويقول: «بل إن هرموز أو جرون أكثرهم عمارة وأكثرهم - أي الجزر الكبار - معالمة، لأنها فرضة العراقين (يقصد البصرة والكوفة أو عراق العرب وعراق العجم أو خوزستان)»[2]. ويثني في البليغة في قياس سهيل والرامح (الأبيات ٤٩ - ٥٢)

---

(١) كتاب الفوائد، ص ٣٨٠، س ٨ - ١٢.

(٢) كتاب الفوائد، ص ٣٠٧، س ٥ - ٦.

على شجاعة معالمة جلفار وإتقانهم تنفيذ المهام التي توكل إليهم. ولا يفرّق بين معلم عربي ومعلم غير عربي في الملاحة الشاطئية. فهو يجزم مثلا أنه ينفرد بخبرته الدقيقة والواسعة ببحر قلزم العرب، ويقول: «إن جدي... كان نادرة في ذلك البحر (يريد بحر القلزم)، واستفاد منه والدي... وقد أخذت علم الرجلين مع كثرة التجربة، فحرّرت ذلك البحر القلزمي... وقد ذكرت اسمي في هذا البيت (بيت شعر) لانفرادي بمعرفة هذا البحر»[1]. لكنه يعترف أيضا أن كل أحد صانع - أي ماهر - في بره، خابر به: أهل الصين في الصين، وأهل سفالة في سفالة، وأهل الهند في الهند، وأهل الحجاز في الحجاز، وأهل الشام في الشام»[2]، وإن كان يصر على تفوقه، وبالتالي تفوق المعالمة العرب بالاهتداء بالنجوم أي الجري في الباحة وقطع بحر الهند من أحد سواحله إلى الساحل الآخر، دون محاذاة البر، وهذا يعني بصريح العبارة أن معالمة سائر الأمم ماهرون هم أيضا وينتقلون كما يفعل المعالمة العرب بين شتى البنادر، ويعرضون تقديم خدماتهم لمن يحتاجها لقاء أداء ثمن خبرتهم، تماماً مثلما يفعل خبراء الدول المتقدمة تقنيا في أيامنا الحاضرة.

إذن كان عشرات المعالمة، ربما مئات منهم، من عرب وغير عرب، ينتشرون في جميع بنادر بحر الهند الهامة على سواحل إفريقية الشرقية وجزيرة العرب وفارس والسند والهند، ويترقبون تكليفهم بإجراء السفن الى حيثما يشاء أصحابها، على أن يؤدي لهم أجر يتفق عليه الطرفان. هكذا كان الوضع في بحر الهند عند وصول «الفرتقال» إليه. فهل كانت فرصة العمل على إحدى السفن البرتغالية، مشؤومة كانت أم سعيدة، من نصيب أحمد بن ماجد أم من نصيب معلّم آخر من جنسية أخرى؟ إن إعادة قراءة رواية النهروالي وتحليل مضمون نص وثيقته يلقيان أضواء جديدة تكشف ظلال الشك الكثيفة التي دارت في خلدنا حتى الآن، وتجعل حديث النهروالي أقرب الى الخيال منه إلى الواقع.

---

(١) المرجع ذاته، ص ٢٣٥، س ٨، وص ٢٣٦، س١.

(٢) المرجع ذاته، ص ٢٨٦، س ١ - ٤.

ثانيا ـ تحليل مضمون وثيقة النهروالي

فوثيقة النهروالي مسبوكة بأسلوب قصصي ضبابي، أضاع معالمها التاريخية والجغرافية، فضاعت معها المعاني واستبهمت على قارئها، أو ربما أدت إلى عكس ما قصد كاتبها تماما، لأنه يهرف بما لا يعرف. لكن متى وجد النص الصريح، بطل الاجتهاد.

آ ـ مضمون وثيقة النهروالي

ويتلخص فحواها في ما يلي:

١ ـ دخل «الفرتقال» إلى ديار الهند في أول القرن العاشر الهجري، أي عام ١٤٩٥ م، وقد أبنّا خطل هذا القول من قبل.

٢ ـ وسلكوا طريق زقاق سبتة، فبحر الظلمات، فموضع قريب من جبال القمر، إلى أن وصلوا الى «المشرق» ولن نعلّق على جبال القمر. لكننا لا ندري أي مشرق يقصد، ولا هو يعلم ما يعني بهذا الإبهام. إلا أننا نتصور معه أن البرتغاليين أصبحوا في الجهة الشرقية في طرف بحر الظلمات، حسب مفهوم الجغرافيين العرب والبحّارة، من تتمة النص التي تتعلق وحدها بمشكلة إرشاد الفرنج.

٣ ـ ومروا في «موضع» قريب من الساحل، في «مضيق» أحد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات، كثير الأمواج، كسر سفنهم، وأهلكهم مدة طويلة، وعجزوا عن الوصول الى بحر الهند، ولا ندخل في التفاصيل، بل نكتفي بأخذ العلم ان «الفرتقال» توقفوا عند «المضيق» الذي يفصل بحر الظلمات عن بحر الهند.

٤ ـ واستطاع غراب واحد من أغربتهم أن يصل الى بحر الهند. وتثبت هذه الجملة تناقض النهروالي مع نفسه، وأن بوسع الفرتقال أن يدخلوا بحر الهند بلا دلالة.

٥ ـ وتلطّفوا للناس ليعرفوا بحر الهند، فقال أحمد بن ماجد في حالة سكرٍ للملندي: ابتعدوا عن الساحل، وتوغلوا في الباحة ثم عودوا، ففعلوا وسلموا.

وهذا كلام جاهل ساذج لا علم ولا مهارة فيه لنقول إنه أنجاهم. ويخطر لكل إنسان، لا سيما لملاحين مقتدرين قطعوا المحيط الأطلسي من الشمال الى الجنوب، أن يفكِّروا بتحاشي العقبة التي تعترضهم والالتفاف حولها.

٦ ـ ويجمل آخر النص ما فعله الفرتقال بعد أن كثروا في بحر الهند. ولا صلة لهذه الأقوال بموضوع الإرشاد، فلا نتبسط بها الآن.

ب ـ ما تضمنته الوثيقة وما لم تتضمنه

في جميع الأحوال، يهمنا ما لم تتضمنه الوثيقة بقدر ما يهمنا محتواها فيما يختص بإرشاد البرتغاليين.

١ ـ فهي لا تشير البتة الى أي رحلة من أي مكان من ساحل إفريقية الشرقية إلى ساحل شبه جزيرة الدكن الغربي، أي إلى عبور بحر الهند من بندر إفريقي إلى بندر هندي.

ولا تذكر أن أحمد بن ماجد عمل ربَّاناً أو معلما على سفينة قيادة فاسكو داغاما، ولا على غيرها من السفن البرتغالية.

٢ ـ لكنها نصت صراحة على أن مشكلة البرتغاليين انحصرت في عجزهم عن الانتقال من بحر الظلمات الى بحر الهند، عبر مضيق خطر.

وأنهم نجحوا في العبور من بحر الظلمات الى بحر الهند بعد تطبيق كبير الفرنج المسمَّى «**الملندي**» نصيحة أحمد بن ماجد.

هذا ما ورد في وثيقة النهروالي. فما هي قيمته؟

ثالثا ـ تقويم وثيقة النهروالي

لابد من إعطاء بعض الشروح التمهيدية، قبل الحكم النهائي على وثيقة النهروالي.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

آ - شروح تمهيدية

من هو «الملندي»؟ وأين يقع المضيق المنوَّه به؟ وما هي قيمة الرأي الذي ينسبه النهروالي لأحمد بن ماجد؟ لا يجيب لا المفتي ولا المصادر العربية عن هذه الأسئلة. وليس أمامنا إلا العودة إلى المراجع البرتغالية والأجنبية الأخرى إن لزم الأمر، وإلى الاستنتاجات المنطقية.

١ - شرح لفظ «الملندي». أما لفظ الملندي، فقد شرحه بدرو تكسيرا بوضوح تام، لا لبس فيه، وقال عنه إنه اسم يطلقه مسلمو هرموز على ألفونسو دي ألبوكيركي الكبير[1]. لأنَّهُ جاءَ إليهم عندما احتلَّ جزيرتَهُمْ عام ١٥٠٧م/٩١٣هـ، من جِهَةِ بندرِ مِلِنْدِي[2]. اذن إذا تقيدنا بحرفية نص النهروالي، ولا يجوز لنا أن نحيد عنه، تبين لنا أن «كبير الفرنج» وكان يقال له الملندي الذي عاشر أحمد بن ماجد في السكر، هو ألفونسو دي ألبوكيركي، ولم يرد هذا اللفظ على لسان أحد أو في مخطوطة عربية قبل عام ١٥٠٧ م، وأن تسمية الملندي مستحدثة، ولم تظهر إلا بعد مرور تسعة أعوام على رحلة فاسكو داغاما الأولى.

٢ - شرح لفظ «المضيق». فماذا عن مضيق النهروالي؟ نستبعد أن يقصد به قناة موزمبيق الحالية، الواقعة بين موزمبيق (برّ سفالة او بر مسنبيجي) وبين جزيرة مدغشقر (القمر):

- لأنها لا تتفق مع وصف النهروالي.
- ولأن عرضها البالغ ألف كم ونيّفاً في شمال جزيرة مدغشقر وجنوبها، وخمس مائة كم في وسطها جعلها جزءا من بحر الزنج في عرف البحارة

(١) ارسل الملك مانويل الفونسو دي البوكيركي الى الهند عام ١٥٠٣م، ليسترجعَ كشن، فاستكشفَ جزيرة القمر (١٥٠٥) واستولى على سقطرة (١٥٠٦) وهرموز (١٥٠٧). وسمي نائب الملك في الهند، ووسع امبراطورية البرتغال حتى سيلان وملاقة (١٥١١) ومات عام ١٥١٥ في كوه.

(٢) هوبسون جوبسون، ص ٥٦٧، عمود ١، س ١ - ٧.

والجغرافيين[1]. وتعتبر هذه الأبعاد هائلة في زمن السفن الشراعية، مهما كانت المراكب ضخمة.

- ولأن بين جزيرة القمر وبر سفالة وجزره، جزائر وشعبان لا تمنع المسافر أن يجوز بينها، على حد قول أحمد بن ماجد[2].

- ولأن تسمية قناة موزمبيق حديثة.

ونميل الى الاعتقاد بأن النهروالي تخيل، لمقتضى الحال ولإخراجٍ فكرته، وجود مضيق صغير في مكان ما، لم يعيّنه، ولا يستطيع أن يحدده أصلاً، قرب ساحل إفريقية، إلى جنوب جزيرة القمر وفي «بحر الظلمات» على حد قوله، أي على طرف البحر المحيط[3]. ويذكر أحمد بن ماجد الظلمات والبحر المحيط إلى جنوب جزيرة القمر حيث يقول: «وجزيرة القمر منسوبة لقامر بن عامر بن سام بن نوح عليه السلام. وعلى جنوبها بحر أوقيانوس بلفظ اليونان، وهو البحر المحيط بالدنيا بلفظ العرب. وهو مبدأ الظلمات الجنوبية على جنوبي هذه الجزيرة»[4]. مهما يكن من أمر، فالناحية الأساسية توضحت، وهي أن مضيقاً ما، حقيقياً أو خيالياً (ونحن نعلم علم اليقين أنه خيالي)، يقع على تخوم البحر المحيط وبحر الهند، إلى جنوبي جزيرة القمر، على حد زعم النهروالي منع البرتغاليين من الاستمرار في تقدمهم نحو بحر الهند إلى أن حلَّت مشكلتهم على يد أحمد بن ماجد. فما هو حل الرجل العبقري حسب النهروالي؟

---

(١) يقول ياقوت الحموي عن جزيرة القمر في معجم البلدان : «والقمر أيضاً جزيرة في وسط بحر الزنج . ليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها» . ويقول عن بحر الزنج : «هو بحر الهند بعينه وبلاد الزنج منه في نحو الجنوب تحت السهيل . وله بر وجزائر كثيرة كبار واسعة .

(٢) كتاب الفوائد ، ص ٢٩٣ ، س ٢ - ٤ .

(٣) يقول ياقوت الحموي عن البحر المحيط في معجم البلدان : «ومنه مادة سائر البحور المذكورة ههنا غير بحر الخزر . وقد سماه ارسطاطاليس في رسالته الموسومة بيت الذهب : اوقيانوس ، وسماه آخرون بالبحر الأخضر . وهو محيط بالدنيا جميعها كاحاطة الهالة بالقمر . يخرج منه شعبتان : أحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق . فاما التي بالمشرق فهي بحر الهند والصين وفارس واليمن والزنج . والشعبة الاخرى في المغرب. . .

(٤) كتاب الفوائد ، ص ٢٩٣ ، س ٥ - ٨ .

٣ ـ الحل العبقري حسب النهروالي. يقول النهروالي إن شخصاً ماهراً من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد، قال لهم في حال سكره: «لا تقربوا الساحل من ذلك المكان (يقصد ساحل المضيق) وتوغلوا في البحر، ثم عودوا، فلا تنالكم الأمواج. فلما فعلوا ذلك، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم.». هذا ما جادت به عبقرية منظر الملاحة في المحيط الهندي وبحاره الشاطئية، على حد زعم النهروالي. وخلاصته: ابتعدوا عن المضيق الخطر ودوروا حوله، ففعلوا. فماذا يعني هذا الكلام، إن لم يكن ازدراء أحمد بن ماجد مرتين، واحتقار الفرتقال مرة واحدة، والاستخفاف بالقراء على مدى الدهر؟ فابن ماجد، صاحب الدين والعبقرية، يتّهم بالسكر ليبوح بسرعلمي ملاحي يتوقف عليه مصيرالعالم. وماهو هذا السر الخطير؟ إنه توصية بتجنب المضيق الخطر. والفرتقال الذين قطعوا بحر الظلمات من الأندلس إلى مشارف جزيرة القمر (كان بحر الظلمات يمتد حتى حدودها)، وتحاشوا جميع الأخطار التي اعترضت سبيلهم، يتركون سفنهم تغرق الواحدة تلو الأخرى في المكان ذاته، ولا يخطر ببالهم أن يحيدوا عن المضيق الخطر، إلا عندما نصحهم ابن ماجد بتجنبه. أما القراء، فمطلوب منهم أن يكونوا أغبياء، وأن يصدقوا هذه الترّهات. لكن لا علينا. ما هو الموقف السليم من وثيقة النهروالي؟ أو ما هي قيمتها الحقيقية؟

ب ـ قيمة وثيقة النهروالي

لا نعتقد بوجود صعوبة لتقويم وثيقة النهروالي بعد الشرح المفصل الذي قدّمناه لإيضاح جميع جوانبها. فقد ثبت لدينا على وجه التحديد:

١ ـ أنها ذكرت أن البرتغاليين جاؤوا إلى بحرالهند عام ١٤٩٥/٩٠١ هـ في حين وصل فاسكو داغاما الى مسنبيجي في منتصف شهر نيسان عام ١٤٩٨ م/ ٩٠٤ هـ وإلى ملندي في آخر نيسان من العام ذاته.

٢ ـ وأن سفنهم ظلت تغرق في مضيق خطر يقع جنوبي جزيرة القمر، ولم يخلص منها إلا غراب واحد إلى الهند. إذن استطاع البرتغاليون أن يبلغوا بحر الهند بوسائلهم الخاصة، بلا دلالة وبدون مساعدة أحد. وهذا يتنافى مع إبراز حاجتهم إلى الدلالة في الوثيقة ذاتها وإعادة الفضل الى ابن ماجد بولوجهم إلى بحر الهند.

٣ ـ وأن كبير الفرنج أي الملندي أو ألبوكيركي، أسكر أحمد بن ماجد ليحصل منه على نصيحة يتجنب بها المضيق الخطر، دون أن تحدد له طريق الهند. وقد ارتكب النهروالي خطأ فادحا جديدا: فأحمد بن ماجد لم يذهب أبداً إلى سفالة ولا إلى جنوب سفالة، فلا يمكن أن يلتقي بشخص في مكان لم يزره البتة. ولم يتّجه ألبوكيركي الى بحر الهند إلا عام ١٥٠٣ م/ ٩٠٩ هـ، واستكشف جزيرة القمر قبل أن يكمل طريقه عام ١٥٠٥ م/٩١١هـ، أي بعد مضي ١٦ عاما على توقّف أحمد بن ماجد عن العمل في البحر، وبعد وفاته في جميع الأحوال. ولا يمكن الادعاء بأن المقصود بـ «الملندي» «الميرنتي» أي فاسكو داغاما، أولا لأن اصطلاح الملندي (نسبة الى بندر ملندة) غير اصطلاح «ألميرنتي» أي أمير البحر، وثانياً لأن فاسكو داغاما لم يحصل على لقب «أمير بحار الشرق» إلا بعد رجوعه من رحلته الأولى الى لشبونة في آخر عام ١٤٩٩/٩٠٥هـ، ولم يعد الى بحر الهند حاملاً هذا اللقب إلا في رحلته الثانية (١٥٠٢/١٥٠٣ م). وهكذا، لو قبلنا جدلاً فقط، أن الملندي وألميرنتي مترادفان، فإن أحمد بن ماجد كان قد طواه الثرى والنسيان منذ مدة طويلة لاعتكافه في بيته منذ أمد بعيد ووفاته. ولقاؤه بفاسكو داغاما مستحيل الوقوع مثل لقائه بألبوكيركي.

٤ ـ وأنها لم تتطرق مطلقاً الى عبور بحر الهند من ساحل إفريقية الشرقية الى ساحل الهند بدلالة ابن ماجد ووجوده على ظهر إحدى السفن البرتغالية.

فماذا بقي من وثيقة النهروالي بعد هذا التحليل الذي أبان أن قضية إرشاد ابن ماجد للبرتغاليين لم ترد في النص ولم تحصل في الواقع؟ لا شيء على الإطلاق. ورب سائل يسأل ماذا دعا النهروالي لإقحام اسم ابن ماجد في الصراع على الهيمنة على التجارة العالمية، وكيف عرف اسمه؟ الجواب بسيط. فمن جهة أولى، أراد المؤرخ العظيم أن يبرر فشل الشرق في إيقاف زحف الغرب على خيراته فحمّل عالماً جليلاً مسؤولية ناءت بحملها دول الشرق، وهذا ضعف حكم وقصر نظر. من ناحية ثانية، لدى المفتي الكبير وسائل كثيرة لمعرفة أحمد بن ماجد الذي كان منزله قائماً في مكة نفسها وبه تقيم زوجه، وكان ذلك قبل كتابة النهروالي تاريخه بثلاثة أرباع القرن. فلابد أن شهرته بقيت عالقة في الأذهان. ولو فرضنا أن أهالي مكة

نسوا أحمد بن ماجد ومنزله وزوجه وشهرته، فمكتبة النهروالي الشخصية في مكة كانت تحوي ١٥٠٠ مجلداً من الكتب النفيسة، فلماذا لا تكون نفائس ابن ماجد في عدادها؟ واذا استبعدنا هذا الاحتمال او ذاك، فإن رحلات النهروالي العديدة إلى اسطنبول، ولا سيما رحلتاه اليها في عامي ٩٦٤ و ٩٦٥ هـ، كفيلة بأن تسمعه أخبار هذا المعلم، علماً أن النهروالي قابل في عاصمة السلطنة العثمانية مشاهير العلماء الأتراك. فهل يستغرب أن يكون التقى بعلي بن الحسين الذي ترجم الى اللغة التركية تصانيف ابن ماجد وسليمان المهري، وكان آنذاك في اسطنبول إياها؟ في جميع الأحوال، تعتبر هاتان الناحيتان ثانويتين بالمقارنة بقضية إرشاد البرتغاليين التي ظن بعض المستشرقين، ومنهم غبرييل فرَّان أنها حصلت على يد أحمد بن ماجد، استناداً إلى وثيقة النهروالي. فكيف توصَّل فرَّان الى هذا الرأي؟ هذا ما سوف نتحدث عنه الآن.

الفصل الثاني

تأيد غبرييل فران وثيقة النهروالي

غبرييل فران مستشرق فرنسي عظيم ، اشتهر بنشر تصانيف أحمد بن ماجد وسليمان المهري مصورة ، بلا تحقيق ولا تعليق ، عن مخطوطتين (رقم ٢٢٩٢ و٢٥٥٩) من التراث العربي المحفوظ في المكتبة الوطنية في باريس . وقد وضع منهجاً طموحاً لدراسة النصوص الملاحية العربية وترجمتها إلى اللغة الفرنسية ، لكنه لقي وجه ربه قبل أن ينجز عمله ، وترك فراغاً كبيراً بعد أن نشر مقالات كثيرة جداً عن بعض النواحي الخاصة من الملاحة العربية ، لن نشير الآن إلا إلى ما يتعلق منها باقتناعه أن أحمد بن ماجد قاد فاسكو داغاما إلى الهند ، وهي :

١ ـ «الربان العربي لفاسكو داغاما والإرشادات الملاحية العربية في القرن الخامس عشر» . نشر في مجلة «حوليات الجغرافية» ، السنة ٣١ ، رقم ١٧٢ تاريخ ١٥ تموز عام ١٩٢٢ ، ص ٢٨٩ ـ ٣٠٧ .

٢ ـ «تحديد هوية ربان فاسكو داغاما العربي» . نشر في المجلة الآسيوية ، عام ١٩١٩ ، ص ٣٥٤ .

٣ ـ «العنصر الفارسي في النصوص الملاحية العربية» . نشر في المجلة الآسيوية ، عام ١٩٢٤ ، ص ١٩٣ .

٤ ـ «مدخل إلى الفلك الملاحي العربي» ، باريس ١٩٢٨ . جُمع في هذا المجلد (ص ١٨٣ وما يليها) كل ما يخص ربان فاسكو داغاما العربي .

٥ ـ «ربان بحار الهند والصين واندونيسية شهاب الدين أحمد ، المسمى أسد البحر» ، باريس ١٩٢١ .
٦ ـ «الملاحـات القديمة في بحر الهند» ، المجلة الآسيوية ، عام ١٩١٨ ، ص ١٤٨ .

ويستدل من كثرة هذه الكتابة في موضوع فاسكو داغاما وأحمد بن ماجد ، ومن مضمون هذه المقالات ، أن غبرييل فران حلّل وثيقة النهروالي ، وأدرك ما تنطوي عليه من تناقضات مفضوحة ، لكنه لم يستخلص منها أنه يستحيل التسليم بما ورد فيها ، وأنها تنفي نفسها بنفسها ، بل اعتبرها قبلياً صحيحة ، وأخذ يعمل نحتاً في نصها ، ليستخرج منه ما ليس فيه ، مما اضطره إلى أداء المتن العربي بترجمة فرنسية أدخلت فيها إضافات لا تمت بصلة إلى الأصل ، وترمي بحسن نية على الأرجح ، إلى جعل الرواية مقبولة لديه ولدى القراء . وكان له ما أراد من تكييف الترجمة ، لأن أحداً لم يحاول مراجعة نقله وتدقيقه ، ولأن نفوذه المعنوي كان يدفع الباحثين إلى الاحتجاج بأقواله لا إلى تقويمها والنظر في أساسها . فانتشرت أفكاره في الأوساط العلمية الأوربية والعربية . وسوف نعرض تأييده لوثيقة النهروالي بكلامه وتعابيره . ونذكر ألبير كاميرير مثالاً على الذين انضموا إلى وجهة نظره بحماس بالغ .

أولاً ـ غبرييل فرّان ووثيقة النهروالي

أخذ غبرييل فران بوثيقة النهروالي ، وعاد إلى المراجع البرتغالية المعاصرة أو القريبة من عهد ابن ماجد ، علّه يجد فيها دعماً لمزاعم قطب الدين ، لكنه فشل ، واضطر إلى الاعتراف بأن المفتي وحده يقول بهذا القول ، ولا إثبات لصحة قوله . ولنقرأ ما كتبه فران منقولاً إلى العربية :

آ ـ أقوال غبرييل فران وحواشيه حرفياً :

«جاوز فاسكو داغاما رأس الرجاء الصالح ، ثم وصل إلى ملندي على ساحل افريقية الشرقية ، واستطاع أن يحصل فيها على معلم قاده مباشرة إلى كاليكوت . وقد ورد هذا الخبر بإيجاز في يوميات رحلة فاسكو داغاما

الأولى[1] ، . . . التي كتبها أحد بحارتها ، وبتفاصيل مستفيضة عند المؤرخين الأول للاكتشافات البرتغالية ، خاصة باروس[2] ، وكستنهيدا[3]، وداميااوو دي غويس[4] ، الذين أعطوا المعلم اسماً واحداً ، هو «كاناكوا» حسب كستنهيدا ، وداميااوو دي غويس ، «وكانا» حسب باروس[5] .

---

(١) يوميات رحلة فاسكو داغاما عام ١٤٩٧ ، الطبعة الثانية ، أ . هركولانو وكستيلو دي بييفا ، لشبونة/١٨٦١ ، قطع ثمن ، ص ٤٩ .

(٢) دا اسيا : Da Asia, dos Feitos que os Portuguezes fizeram no descubrimento e conquista dos mares e terras do Oriente.

العقد ١ ، الكتاب ٤ ، الفصل ٦ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ من الطبعة الصغيرة لعام ١٧٧٨ ، تعود طبعة العقد الأول الأولى الى عام ١٥٥٣ .

(٣) تاريخ Historia do descobrimento e conquista de India pelos Portuguezes الكتاب ١ ، آخر الفصل ١٢ وبداية الفصل ١٣ ، ص ٤١ من طبعة ١٤٣٣ ، قطع ربع ، انجز طبع الطبعة الأولى من هذا الكتاب في ٢٠ تموز سنة ١٥٥٤ (كذلك ص ٢٧٨ فيما يلي) .

(٤) حوليات صاحب الجلالة الملك د. ايمانويل كتبها دامياوو دي غويس ، المجلد ١ ، الفصل ٣٨ ، ص ٨٧ من طبعة كويمبره ، قطع ربع ، ١٧٩٠ . نشرت حديثاً طبعة جديدة من هذه الحوليات في «المؤلفات البرتغالية النادرة» ، مجموعة آ ، ٤ مجلدات ، قطع ثمن ، كويمبره ، ١٩٢٦ ، في مطبعة الجامعة ، بفضل ج . م . تكسيرا ، دي كرفلهو ، وديفيد لوبيس . وهذه الطبعة الجديدة مطابقة تماماً للأولى التي طبع القسم الأول منها في لشبونة ، وأنجز في ٢٧ تموز سنة ١٥٦٦ . وتقع إعادة الطبع الجديدة في أربعة مجلدات محشاة ومنتهية بفهرس . وقد علق على المجلد الأول المأسوف عليه تكسيرا دي كرفلهو ، وعلق م . ديفيد لوبيس على المجلدات الثلاثة الباقية . وكتب هذا العالم الأخير أيضاً مقدمة هامة لهذه الطبعة الجديدة . وذكر فيها أن اسم المؤلف داميااوو دي كرفلهو . ويقع المقطع المقصود في ص ٨١ من المجلد الأول .

(٥) جاء في كتاب «ملاحة فاسكو داغاما» قائد جيش ملك البرتغال عام ١٤٩٧ ، حررها أحد نبلاء فلورنسة الذي عاد إلى لشبونة مع الجيش المذكور (طبعة ش . شيفر ، باريس ١٨٩٨ ، قطع ثمن ، ص ١٤ : خطر للقائد أن ينزل إلى البر (في ملندي) ليرى هذا المكان بنفسه ، ويتأمل به عن كثب . فاخطر ملكهم بالأمر ، فجاء ليحييه ويلاطفه . وعند السفر ، أعطاه معلماً يتكلم اللغة الايطالية (كذا) ليقوده من الخليج الواقع على رأس ساحل اثيوبية (إلى كاليكوت) .

وأيّد كتاب عربي هذه الرواية ، ونشر منذ أكثر من قرن ، نعني به «البرق اليماني في الفتح العثماني» ، الذي ذكر اسم المعلم أحمد بن ماجد ، وألفه قطب الدين النهروالي (١٥١١ ـ ١٥٨٢) ، وتناول فتح العثمانيين لليمن . وتوسع سلفستر دي ساسي في دراسته في المجلد الرابع من «المذكرات والمختارات (١٧٩٤ ، ص ١٢ وما يليها)» ، واعتمد على المخطوطات رقم ١٦٤٤ و١٦٥٠ من التراث العربي المحفوظ في المكتبة الوطنية في باريس . وأضيف إلى هاتين المخطوطتين بعد نشر دي ساسي بحثه ، المخطوطة ٥٩٢٧ من التراث العربي ، وكانت في مجموعة شيفر . ونشر م . ديفيد لوبيس في عام ١٨٩٢ مقتطفات من البرق اليماني في الفتح العثماني ، مأخوذة من مخطوطة امتلكها كوسين دي برسيفال ، وكانت لزميلنا الراحل العقيد ف . م . ايستبفيس بيريرا ، بعنوان : مقتطفات من تاريخ فتح العثمانيين لليمن (لشبونة ، ١٨٩٢ ، قطع ثمن) .

أما النص التالي ، فقد أُخذ من المخطوطة ١٦٤٤ ، وحقق . وسوف نشير في الحواشي إلى التباينات النادرة المفيدة ، الواردة في المخطوطات الأخرى ، بما فيها مخطوطة لشبونة . ويبدأ هذا المقطع في ظهر الورقة ٦ من المخطوطة ١٦٥٠ ، وفي وجه الورقة ٨ من المخطوطة ٥٩٢٧ . وقد ترجمه من قبل دي ساسي ، وم . د . لوبيس ، لكنني رأيت أن أعيد ترجمته بنفسي زيادة في الفائدة ، وحرصاً على التدقيق في أداء المعاني أكثر مما فعلا .

ب ـ ترجمة فران وثيقة النهروالي وزيادته عليها

وثيقة النهروالي

النص العربي الذي ترجمه فران	إعادة ترجمة فران الفرنسية إلى العربية
المخطوطة ١٦٥٠ ، وجه ، ورقة ٥ ، س٩ ، الفصل الثاني في ذكر انتقال الدولة باليمن من بني طاهر إلى الأمير حسين من الجراكسة .	الباب الثاني من (الفصل الثاني) السلطة تنتقل في اليمن من دولة بني طاهر إلى الأمير الجركسي حسين .
وقع في أول القرن العاشر من الحوادث الفوادح النوادر دخول الفرتقال اللعين من طايفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند .	وقع في أول القرن العاشر الهجري (١٤٩٥ ـ ١٥٩١) من الحوادث الفوادح النوادر وصول الفرتقال اللعين من طايفة الفرنج الملاعين إلى الهند (الغربية) .
وكانت طايفة منهم يركبون من زقاق سبتة في البحر ، ويلجّون[1] في الظلمات ، ويمرون خلف جبال القُمْر ،	وكانت عصابة منهم قد ركبت البحر في مضيق سبتة[2] وولجت (في بحر) الظلمات[3] ، ومرت خلف جبال القُمر

(١) لوبيس : ويلجون ، بتشديد الجيم .

(٢) يقصد مضيق جبل طارق . ظنَّ قطب الدين أن الأسطول البرتغالي جاء من البحر المتوسط .

(٣) في المحيط الأطلسي . يقول قطب الدين أيضاً في كتابه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (طبعة وستنفلد ، مجلد ٣ ، ١٨٥٧ ، قطع ثمن ، ص ٢٤٦ ، س ٦) . ما يلي : «كانت حملة (الامير حسن الكردي) موجهة ضد الفرنج (= البرتغاليين) الذين ظهروا في بنادر الهند الغربية ووصلوا إليها من بحر الظلمات (الذي يقع وراء جبال القمر القائمة في الموضع الذي ينبع منه بحر النيل) . وصل (الفرنج) إلى الهند الغربية ، وبلغ سلبهم وضررهم جزيرة العرب وبنادر اليمن   ينطبق اسم بحر الظلمات أيضاً على القسم الجنوبي الغربي من

النص العربي الذي ترجمه فران	إعادة ترجمة فران الفرنسية إلى العربية
بضم القاف وسكون الميم جمع أقمر أي أبيض ، وهي مادة أصل بحر النيل . ويصلون إلى المشرق[1] ، ويمرون بموقع قريب من الساحل في مضيق أحد جانبيه جبل والجانب الثاني بحر الظلمات .	بضم القاف وسكون الميم جمع أقمر أي «الجبل الأبيض» ، وهي مادة أصل بحر النيل[2] وذهبوا إلى المشرق ، ومرُّوا بموضع[3] قريب من الساحل ، حيث (البحر) ضيق[4] أحد جوانب (هذا المكان في الشمال) جبل ، ومن الجانب الثاني (إلى الجنوب) بحر الظلمات ،

المحيط الهندي . انظر مثلاً هذا الشعر من أرجوزة قبلة الاسلام (مخطوطة) وجه الورقة ١٣٦ ، س ١١ :

.... هي قبلة الحبوش مع بر الظلم
في آخر السفال ثم القمر وحباب والشجعا وجزر البحر

(١) الأصل : المسرق .

(٢) يعثر على الايضاحات ذاتها في كتاب الاعلام لقطب الدين (انظر الحاشية ٣ في الصفحة السابقة) . يبدو حسب هذين النصين أن المؤلف كان يتصور وجود سلسلة جبلية تمتد عبر قارة افريقية من الشرق إلى الغرب . ويصل طرف جبال القمر حتى شاطىء المحيط الأطلسي الذي يقع ، حسب هذا المفهوم لتضاريس افريقية ، وراء جبل القمر ، أي في الجهة الغربية . حول هذه الجبال ، انظر ما تقدم الحاشية ٣ في الصفحة السابقة ، والرحلة المصرية لعبد اللطيف ، ترجمة وتعليق سيلفستر دي ساسي ، باريس ، ١٨١٠ ، قطع ربع ، ص ٧ ، حاشية ٢ ، ومقالتي جزر رامني ولامري وواق واق والقمر ومدغشقر عند الجغرافيين العرب ، المجلة الآسيوية ، تشرين الثاني - كانون الأول ، عام ١٩٠٧ ، ص ٥٠٦ وما يليها . طبعاً لا قيمة لهذه الشروح . انظر التأويل الذي طرحته في مقالي «كون لون والملاحات القديمة بين المحيطات في البحار الجنوبية ، المجلة الآسيوية ، ايلول - تشرين الأول عام ١٩١٩ ، ص ٢٠٣ وما يليها .

(٣) ينبغي أن يفهم النص هكذا : ذهبوا إلى الشرق مارّين بمكان ، أي مجاوزين رأس الرجاء الصالح .

(٤) أي : بمضيق .

النص العربي الذي ترجمه فران	إعادة ترجمة فران الفرنسية إلى العربية
في مكان كثير الأمواج لا تستقر به سفائنهم وتنكسر ولا يسلم منهم أحد .	المضطرب[1] . هنا لم تستطع سفنهم أن ترسو وانكسرت . ولم ينج[2] منهم أحد . .
واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون في ذلك المكان ، ولا يخلص من طايفتهم أحد إلى بحر الهند ، إلى أن خلص منهم غراب إلى الهند . فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد .	وهكذا استمر الفرتقال مدة (يرسلون سفناً) ويهلكون في ذلك المكان[3] . ولا يخلص من عصابتهم أحد إلى بحر الهند (الغربية) ، إلى أن خلص منهم غراب إلى الهند (الغربية) (فقبل أن يصلوا إلى الساحل الغربي للهند وعندما كانوا على ساحل إفريقية الشرقية) ، ثابروا على سعيهم للحصول على معلومات عن هذا البحر (بحر الهند الغربية) إلى أن (عمل رباناً عندهم بحار ماهر يسمى أحمد بن ماجد .
صاحبه كبير الفرنج[4] ، وكان يقال له	اتصل به كبير الفرنج ويقال له

(١) المقصود بداهة المرور براس الرجاء الصالح .

(٢) يقطع لوبيس الجملة على نحو آخر ، ويترجمها على الوجه التالي : «...do qual um dos lados é uma montanha e o outro o Mar Tenebroso; este logar é tao tempestuoso, quc os navios dos Franges nao ousavam approximar-se com receio de serem quebrados; e nenhum delles se salvava». أظن أن تأويلي يؤدي معنى النص على وجه أكمل .

(٣) تشير هذه الجملة فيما يبدو إلى محاولات جديدة فاشلة لتجاوز رأس الرجاء الصالح . لكن لا علم لنا بحصول شيء منها قبل فاسكو داغاما ، فيما عدا رحلة برتولومي دياز .

(٤) المخطوطة ١٦٥٠ : الافرنج .

النص العربي الذي ترجمه فران	إعادة ترجمة فران الفرنسية إلى العربية
الإملندي[1] وعاشره في السُّكر، فعلمه الطريق في حال سكره.	«الملندي»[2] وسَكِرَ مع أمير البحر البرتغالي. فعلَّم هذا البحار الطريق لأمير البحر.

(١) المخطوطات السبع الأولى (١٦٤٤ - ١٦٥٠): إلى ملندي. لوبيس: الى ملندي. المخطوطة ٥٩٢٧: إلى بلندي. كل هذه الصيغ خطأ. وصوابها المللندي. وهي الصيغة المعربة للفظ الميرنتي في اللغة البرتغالية. انظر الحاشية ٢ اللاحقة.

(٢) يقول دي ساسي (مذكرات ومختارات. مجلد ٤، ص ٢١٤ وما يليها) هنا في الحاشية: [المللندي (الصورة في المخطوطات) أي من جزيرة ملندي. اعتبر دي ساسي ملندي النسبة إلى ملندي]. طرأ تصحيف على اسم كبير الفرنج هنا: لعله فاسكو داغاما. والمعروف أن ملك ملندي استقبله استقبالاً حسناً وأعطاه رباناً ماهراً ليقود اسطوله إلى كاليكوت. ويطلق المؤرخون الشرقيون لقب المللندي على ألميدا نائب الملك في الهند، مثلما يعلمنا تكسيرا في رحلته، ترجمة فرنسية، مجلد ٢، ص ١٢٠. ويقول جان دي باروس (عقد ١، كتاب ٤، فصل ٦ - انظر ما تقدم ص ٢١٤) إن الربان الذي أخذه البرتغاليون من ملندي مسلم من جوزرات، اسمه معلم (كذا) كانا. وقد وردت الصيغة الخاطئة «الى ملندي» في المخطوطات ١٦٤٤ - ١٦٥٠، «والى بلندي» في المخطوطة ٥٩٢٧، و«الى ملندي» عند لوبيس، عوضاً عن الصيغة الصحيحة «المللندي» التي لم يتميزها دي ساسي: فالمللندي صيغة عربية منقولة عن لفظ الميرنتي البرتغالي «أميرال». ويعثر على هذه الكلمة في مقدمة ابن خلدون التاريخية (مجلد ٢، ص ٣٢ من النص، ومجلد ٢ ص ٣٧ من الترجمة): «قيادة الأساطيل، وهي من مراتب الدولة، وخططها في ملك المغرب وافريقية ومرؤوسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الأحوال، ويسمّى صاحبها في عرفهم البلمند بتفخيم اللام منقولاً من لغة الافرنجة، فإنه اسمها في اصطلاح لغتهم». ويضيف دي سلين في الحاشية أن كلمة المللندي هي اللفظ الاسباني ألمرنتي ذاته. هذه الرتبة المعربة واردة أيضاً في حوليات كلوة، كلقب لفاسكو داغاما ولبعض من خلفه، بالصيغة الخاطئة «المرتي» عوضاً عن ألمرنتي (انظر ارثور سترونغ، تاريخ كلوة، في المجلة الآسيوية الملكية، ١٨٩٥، ص ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٢ وما يليها). بالفعل يقول بدرو تكسيرا الذي استشهد به دي سلين في تأويل المللندي: «إذا أراد أحد المحققين، الموجودين في هرموز أن يستفهم عن أعمال الفونسو البوكيركي وحركاته (التي لا تنسى أبداً) فليسأل

النص العربي الذي ترجمه فران	إعادة ترجمة فران الفرنسية إلى العربية
وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغّلوا[1] في البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج .	وقال للبرتغال : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان[2] ، وتوغلوا في البحر ثم اقتربوا من ساحل (الهند) ، فلا تنالكم الأمواج .
فلمّا فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم . فكثروا في بحر الهند .	فلمّا فعلوا ذلك ، صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا في بحر الهند (الغربية) .
وبنوا في كُوّة[3] بضم الكاف المعجمة وتشديد الواو بعدها هاء اسم لموضع	وفي كُوّة (بضم الكاف وتشديد الواو بعدها هاء) اسم لموضع من الدكن ،

المسلمين عنها ، ويفهمهم أنه يقصد الملندي ، لأنهم لا يعرفون له اسماً آخر . وهم يستعملون هذا الاسم عندما يتحدثون عن أعماله (رحلات بدرو تكسيرا وملوك هرموز) ، طبعة و . سنكلير ود . فرسوسن ، جمعية هكليوت ، لندن ، ١٩٠٢ ، ص ١٩٢) . ويضيف تكسيرا أن هذا الاسم اربكه ردحاً من الزمن . لكن بدا له أن الملندي نسبة إلى ملندي (التي تسمى ملندة) ، وهي المدينة البحرية في افريقية الشرقية ، التي مر بها البوكيركي قبل أن يتوجه الى هرموز . ويبين هذا التأويل الخاطىء ان الصورةالمغلوطة في النصوص العربية تكرر تشكيلا لفظيا خاطئاً في اللغة العامية : أي ملندي عوضاً عن ملندي . وينقل لوبيس مقطعاً (مختارات ، ص ٦٠ وما يليها) عن اليمن ، ثلاثة أعوام في جزيرة العرب لرنزو منزوني (رومة ، ١٨٨٤ ، ص ١٧٠) جاء فيه : يسمي المؤرخون العرب فاسكو داغاما «علي من الهند» ويلاحظ المستشرق البرتغالي الكبير أن لا علم له بشيء من ذلك . وتعود هذه التسمية إما إلى تلاعب بالألفاظ أو إلى تفسير صادر عن فهم خاطىء من قبل منزوني .

(١) الأصل : وتوعلوا ، لوبيس : وتوغلوا .

(٢) أي ملندي ، **التي استقلّ منها أحمد بن ماجد سفينة القيادة البرتغالية** .

(٣) جاء في جميع النسخ ما عدا ٥٩٢٧ ، كوة كوتا ، وكوتا زائدة يجب حذفها حسب المعنى وتتمة الجملة . لوبيس : كوة فقط .

النص العربي الذي ترجمه فران	إعادة ترجمة فران الفرنسية إلى العربية
من ساحل الدكن هو تحت الفرنج الآن من بلاد الدكن ، قلعة يسمونها كوتا[٢] .	هو تحت الفرنج حالياً ، بنوا قلعة يسمونها كوتا[١] .
ثم أخذوا هرموز ، وتقووا هناك[٣] وصارت الأمداد تترادف عليهم من البرتغال[٥] ، فصاروا يقطعون[٦] الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً إلى أن كثر ضررهم على المسلمين وعمّ أذاهم على المسافرين	ثم أخذوا هرموز[٤] ، وتقووا هناك . وصارت الأمداد تترادف عليهم من البرتغال ، وصاروا يلاحقون المسلمين ويأسرونهم ويحصلون على الغنائم منهم . واستولوا بالقوة على كل سفينة ، حتى تسببوا بإلحاق أضرار فادحة بالمسلمين وبالمسافرين عامة .
فأرسل السلطان مظفر شاه بن حمود شاه[٧] سلطان كجرات يومئذ[٨] إلى	عندئذ ، أرسل مظفر شاه بن محمود شاه بن محمد شاه ، سلطان كجرات

(١) انظر الحاشية التالية .

(٢) نتوقع كوتة ، من اللغة السنسكريتية ، ومعناها حصن أو قلعة .

(٣) لوبيس : وتقووا هنالك .

(٤) يقول لوبيس (مختارات ، ص ٦١ وما يليها) : «استولى الفونسو دي البوكيركي عام ١٥٠٧ على هرموز . وكان ملكها سيف الدين . إلا أن الاستيلاء على هرموز سبق احتلال كوة ، ولم يله ، مثلما جاء في النص . انظر باروس ، دا آسيا ، العقد ٢ ، الكتاب ٢ ، الفصل ٣ ، ٤ ، ٥ ، وتعليمات الفونسو دي البوكيركي الكبير ، مجلد ١ ، فصل ٢٧ ـ ٣٨ ، وكستنهيدا تاريخ وصف الهند وفتح البرتغاليين لها ، الكتاب ٢ ، الفصل ٥٧ ـ ٦٣ ، وكوريا ، أرض الهند ، مجلد ١ ، ص ٨١٤ ـ ٨٨٤ .

(٥) الأصل : البرتقان .

(٦) لوبيس : فصاروا يقطعون .

(٧) لوبيس : زاد بن أحمد شاه .

(٨) لوبيس : يومئذ .

النص العربي الذي ترجمه فران	إعادة ترجمة فران الفرنسية الى العربية
السلطان الأشرف قانصوه الغوري يستعديه على الإفرنج .	يومئذ ، سفارة إلى السلطان أشرف قانصوه الغوري يطلب منه النجدة ضد الفرنج .

جـ ـ تعليقات فران على وثيقة النهروالي

ألّف قطب الدين كتابه بعد ما يقرب من خمسين عاماً على وصول البرتغاليين إلى بحر الهند . وكان يقيم في مكة . فيحتمل أن يكون قد اطلع بالتفصيل على الظروف التي مكنت فاسكو داغاما من العبور من ملندي إلى كاليكوت . إلا أن الرواية القائلة بأن «أميرال بحار الشرق» حصل على معلومات من أحمد بن ماجد بعد أن دعاه إلى الطعام وأسكره ، تبدو غير موثوقة . فالمسلمون فيما هو معلوم لا يقبلون دعوة إلى الطعام عند أحد النصارى إذا كانت معرفتهم بهم وطيدة ، وتأكدوا أن أطعمته وأشربته لاتحتوي ماتحظره شرائعهم وعاداتهم الدينية. إذن لدى المرء ما يدفعه لاستغراب قبول المعلم العربي دعوة الأميرال البرتغالي ، وفي رأيي ـ والكلام لغبرييل فران على الدوام ـ أن خبر السكر مختلق بحذافيره ، وأكذوبة ، فيما يبدو ، غايتها تبرير عمل يعتبره مسلمو مكة حتماً خيانة عظمى . ويرجح على النقيض أن يوافق المعلم العربي على إجراء مركب الأميرال (مركب القيادة) في الأسطوال البرتغالي على أساس وعد بمكافأة مالية سخية لقاء خدماته . أما أخبار الرحلات البرتغالية ، فلا داعي لديها لإخفاء الحقيقة ، وتختلف روايتها عن رواية النص العربي[1] .

(١) نرجح صحة هذا التفسير ، لا سيما أن الأساطيل البرتغالية حصلت في القرن السادس عشر بتواتر وسهولة على معالمة مسلمين . ويقول جان دي كاسترو مثلاً بصراحة أنه كان لديه معالمة مسلمون على مراكبه عندما زار بحر القلزم (انظر Roteiro em que se conta a viagem que fizeram os Portuguezes no anno de 1541, partindo da nobre citade de Goa atee Soez,

١ ـ ففرناو لوبيز دي كستنهيدا يروي في كتابه :

Historia do descoprimento e conquesta da India pelos Portuguezes

أنَّ فاسكو داغاما وصل إلى ملندي في ١٥ آذار عام ١٤٩٨ . وزاره أحد خلصاء ملكها ، فاحتجزه الأميرال على ظهر مركبه . «وعندما علم ملك (ملندي) بسبب احتجازه ، أرسل فوراً إلى فاسكو داغاما معلماً من جوزرات اسمه كاناكا (كذا) ، واعتذر لأنه لم يبعث به (في وقت مبكر) . وبذا ، بقي الملك والأميرال على صلات طيبة . ولما أعدَّ فاسكو داغاما جميع ما يلزم لسفره ، انطلق من ملندي إلى كاليكوت يوم الثلاثاء ٢٤ نيسان «أي بعد مرور يومين على حصوله على معلم من ملك ملندي»[1] .

٢ ـ ويذكر غسبار كوريبا في كتابه Lendas da India أنَّ فاسكو داغاما سافر من ملدني إلى الهند «في إقمار الهلال في شهر تموز عام ١٤٩٨[2]» ومعه ثلاثة معالمة ،

---

quc he no fim, e stremıdade do mar Roxo) طبعة انطونيو نونس دي كرفلهو ، باريس ١٨٣٣ ، قطع ثمن ، ص ١٢ ، ١٥٢ ، ١٥٦) . ويتعلق الموضوع هنا بالملاحة في بحر شبه مقدس يفضي إلى بنادر الأماكن المقدسة المسلمة في مكة والمدينة . من جهة ثانية ، كان البرتغاليون يقومون بحملة عنيفة ضد السفن المسلمة . ولم تمنع هذه السياسة تعاون المعالمة المسلمين مع البرتغاليين ، كما يتضح من مثال جان دي كاسترو وكثيرين سواه أيضاً : «. . . وعليه ، بعد أن أقمنا هنالك حتى السادس والعشرين من الشهر ذاته (تموز عام ١٥٠٢) استأنفنا تنويهنا ، ومعنا معلم مسلم يقودنا إلى كلوة ، اتفقنا معه على أن نؤدي له أجراً يعادل عشرة دوكات . وجرى بنا في الليل في الباحة ، وفي النهار برؤية البر والاتجاه عكس الجاه (= الشمال) . (ملاحة فاسكو داغاما ، طبعة ش . شيفر ، باريس ، ١٨٩٨ ، قطع ثمن ، ص ٩٢) .

(١) انظر الحاشية ٣ ، ص ٢١٤ .

(٢) طبعة أكاديمية العلوم في لشبونة ، مجلد ١ ، ١٨٥٨ ، فصل ١٥ ، ص ٦٤ . لا يعرف أحد بدقة متى انجز تحرير كتاب أرض الهند ، لكن كان ما يزال يعمل فيه عام ١٥٦١ (انظر مجلد ١ ، ص ٢٦٥) ، استناداً إلى خبر يعطيه المؤلف نفسه . ويتناقض خبر كوريبا مع النصوص الأخرى التي يمكن الوثوق بها .

أخذ واحداً منهم من مسنبيجي ، وأعطاه الاثنين الآخرين ملك البلاد[١] .

٣ ـ ويأتي جاوو دي باروس برواية أخرى في كتابه Da Asia . فقد زار بانيانيون من مملكة كمبايا في جوزرات ، فاسكو داغاما على ظهر مركب القيادة في أثناء إقامته في ملندي . وكان هؤلاء الهنود قد كرّموا صورة العذراء مريم[٢] ، فظنّ أنهم ينتمون إلى أحد المجتمعات المسيحية الموجودة في الهند منذ أيام القديس توما . وجاء معهم مسلم من جوزرات يدعى معلم كانا . وابتهج هذا المعلم بالحديث مع البحارة البرتغاليين ، وأراد إرضاء ملك (ملندي) ، الذي كان يفتش عن معلم لهم ، فقبل أن يذهب (ويدلهم على طريق الهند) . وتحدث إليه فاسكو داغاما ، واطمأن إلى معارفه ، لا سيما أن المعلم المسلم أراه خريطة لساحل الهند[٣] بأجمعه ، مرسومة مثل خرائط المسلمين ، وعليها خطوط طول وعرض مفصّلة جداً ، دون الإشارة إلى أخنان الرياح . ولما كانت المربعات (الناشئة عن تقاطع) خطوط الطول والعرض صغيرة جداً ، فإن الاتجاه إلى الساحل بالخنين الشمالي الجنوبي والشرقي الغربي سليم جداً[٤] دون إثقال الخريطة بعدد كبير (من الرموز التي تدل على اتجاه الرياح والإبرة المغناطيسية) ، مثلما هي الحال على خرائطنا ، وتؤخذ أساساً لاستنتاج غيرها . وعرض فاسكو داغاما على المعلم المسلم الإسطرلاب الكبير الخشبي الذي حمله معه واسطرلابات أخرى معدنية لقياس ارتفاع الشمس . فلم تبد أي دهشة على المعلم المسلم لرؤيته أمثال هذه الآلات . وقال إن المعالمة (العرب) في بحر القلزم يستخدمون آلات من شبه ، مثلثة ، وأرباعاً[٥] لأخذ

---

(١) المرجع ذاته ص ٦٨ .

(٢) ظنوها إلهة هندية

(٣) في العقد ٣ ، الكتاب ٣ ، الفصل ٧ ، ص ٣٠٦ . يتحدث باروس عن خرائط المسلمين للملاحة . إذن كانت واسعة الانتشار .

(٤) هذا هو الاسقاط المسمى مسطح مربع (انثيوم ، الخرائط الجغرافية وخاصة الخرائط البحرية في العصور القديمة وفي القرن الوسطى ، في مجلة الجعرافية التاريخية والوصفية ، ١٩١٢ ، ص ٣٨٣ وحاشية ٥) . اعتمد رينو على هذا المقطع من باروس في جغرافية أبي الفداء ، مجلد ١ ، مدخل عام إلى جغرافية الشرقيين ، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

(٥) ترجم رينو خطأ ، وقال : آلات تشبه شكلها مثلثي أحياناً وأحياناً مربع أما في النص ، فجاء : آلات شبه شكلها مثلثي ، تم أرباع .

ارتفاع الشمس وخاصة الكوكب (كذا)[1] الذي يهتدون به في الملاحة . وأضاف : أما هو ومعالمة كمباية وسائر الهند ، فيهتدون في ملاحتهم ببعض الكواكب الشمالية والجنوبية أيضاً ، وببعض الكواكب الشهيرة الواقعة في كبد السماء من الشرق إلى الغرب . ولا يأخذون ارتفاعاتها بآلات شبيهة (بالآلات التي أراه إياها فاسكو داغاما) ، بل بآلة شبيهة بالآلة التي يستعملها هو . ثم بادر إلى جلب هذه الآلة المؤلفة من ثلاثة ألواح[2] خشبية وأراه إياها . وسوف نتناول شكل هذه الآلة وطريقة استعمالها في «الجغرافية العلمية»[3] في الفصل المخصص لآلات الملاحة . فيكفي أن نعلم هنا الآن أن المعالمة المسلمين يستخدمون الآلة المشار إليها لإجراء القياس الذي نستخدم لإجرائه عندنا الأربالستريل[4] . واقتنع فاسكو داغاما بعد هذا الحديث وبعد أحاديث أخرى لاحقة ، أن هذا المعلم كنز ثمين له . فلكي لا يفقده ، أقلع في أقرب فرصة أتيحت له . . . واتجه إلى الهند في ٢٤ نيسان . وقطع هذا الخليج الكبير الذي يبلغ ٦٠٠ فرسخ من طرفه إلى طرفه في مدة ٢٢ يوماً دون أن يلقى عقبة[5] .

---

(١) تمّ الحديث بين فاسكو داغاما والمعلم كانا بواسطة مترجم المركب حتماً ، إذ ان كل قائد اسطول يصحب معه شخصاً برتغالياً يعرف اللغة العربية . لكن في العربية النجم ، حرفياً «النجمة» ، تعني خاصة الثريا (ستة كواكب من الثور) التي تعتبر الكوكب الأمثل (انظر محمد المقري ، منازل القمر عند العرب ، المتن والترجمة لـ آ . دي س . موتيلينسكي ، الجزائر ، ١٨٩٩ ، قطع ثمن ، ص ١١ ، ٨٦) . لكن ما دامت الارشادات الملاحية لابن ماجد وسليمان المهري لم تورد أي تحديد لدرجة العرض بالثريا ، افترض أن النجم في النص البرتغالي يدل بالأحرى على الجاه أو النجم القطبي . بالفعل ، تحدد درجات عرض كثيرة جداً في نصف الكرة الشمالي بارتفاعات الجاه التي تعطيها هذه النصوص العربية .

(٢) انظر ماتقدم ، ص١٥ ، ص١٨ وما يليها .

(٣) مع الأسف لم يصلنا هذا الكتاب الهام الذي يحيل إليه دي باروس كثيراً . انظر مذكرتي : ملقة ، ومالايو ومالايور ، في المجلة الآسيوية ، أيار ـ حزيران ، ١٩١٨ ، ص ٤٣١ ، الحاشية .

(٤) انظر جال ، الاصطلاحات البحرية الملاحية ، اللفظ ارباليت وما تقدم ، ص ٢٠ .

(٥) عقد ١ ، كتاب ١ ، فصل ٦ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢١ .

إذن طرح فاسكو داغاما مراسيه في كاليكوت بعد مضي أقل من شهر على إقلاعه أي في ٢٠ أيار (العقد ١ ، الكتاب ٤ ، الفصل ٨ ، ص ٣٢٨) . وأنزل إلى الأرض المعلم كانا (كذا) لينبىء ملك البلاد بوصول الأسطول البرتغالي . وسافر المعلم العربي برّاً من كاليكوت إلى كابوكات (قابوقات ابن ماجد) ، وهي بندر يقع على مقربة من كاليكوت وإلى شمالها ويقيم فيها رجل مسلم اسمه أبو سعيد مكلف بمهام مراقبة الساحل . وكان أبو سعيد يعرف المعلم كانا ، فأضافه ليلة هو ورفيقه البرتغالي . وأصل أبي سعيد من مملكة تونس ، على حد قوله وقد اتصل بالبرتغاليين في مدينة وهران عندما كانت بعض المراكب البرتغالية ترتادها بأمر من الملك د. جاو الثاني . . . (المرجع ذاته ص ٣٣٠)[1] .

أما يوميات فاسكو داغاما ، فتنص باختصار على ما يلي : «يوم الثلاثاء ٢٤ نيسان ، خرجنا من ملندي ، ومعنا المعلم الذي أعطانا إياه الملك ، واتجهنا الى مدينة اسمها كاليكوت ، أخبارها معروفة عند الملك المذكور . وكان طريقنا الى الشرق»[2] .

٤ ـ وسجل دامياوو دي غويس في حوليات صاحب الجلالة الملك د . ايمانويل : «أعطى ملك ملندي فاسكو داغاما معلما ماهرا مسلما من جوزرات ، اسمه المعلم كاناكوا ، ويسميه المؤلف «الربان كاناكوا»[3] بعد بضعة أسطر .

٥ ـ ويروي دوارته باشيكو بريرا انظر ٢١٣ « Esmeralda de situ Orbis » (ص١٥٢ وما يليها ، طبعة ١٠١ داسيلفا دياس الجمعية الجغرافية ، لشبونة ، ١٩٠٥) الذي ألفه حوالي ١٥١٥ (المرجع ذاته ، ص٤) ما يلي : «جرى فاسكو داغاما بمراكبه الأربعة سافل مصر على ساحل اثيوبية المجهول فاكتشف المدينة الاثيوبية ملندي حيث جمع أخبارا عن الهند التي ذهب ليفتش عنها . .» .

---

(١) انظر مذكرتي عن المغاربة في كاليكوت وملقة في القرن الخامس عشر ، في منوعات رينه باسيه ، مجلد ١ ، باريس ١٩٣٢ ، ص ٢٠٢ وما يليها .

(٢) انظر الحاشية ١ ، ص ٢١٤ .

(٣) انظر الحاشية ٤ ، ص ٢١٤ .

٦ ـ ويتحدث كاموينس في النشيد السادس ، المقطع الشعري الخامس من لوزيادس ، عن المعلم دون ان يذكر اسمه : «فالمعلم (الذي أخذ فاسكو داغاما من ملندي) مستقيم . وقد دله على طريق أمينة . وهكذا أبحر الأميرال مطمئنا اكثر من ذي قبل» .

وقد أشرت في مذكرتي عن «كوين لوين والملاحات القديمة بين المحيطات في البحار الجنوبية» (المجلة الآسيوية ، أيار ـ حزيان ، ١٩١٩ ، ص٤٩١ ـ ٤٩٢) الى هذا اللقب المحير «ماليمو كانا او كاناكا» . ولم أستطع أن أشرحه . ثم أجريت تحريات اضافية ، وتمكنت أن أعرض التفسير التالي : لا شك أن الصيغة الصحيحة هي صيغة كستنهيدا ودامياوو دي غويس ، التي يجب قراءتها : المعلم كاناكا ، ويعني هذا التعبير رئيس الملاحة الفلكي . فكاناكا لفظ مأخوذ من التامول : كنغان ، كنكان اي «الحاسب او الفلكي او الكاتب» من اللغة السنسكريتية غنكة [١] اي «حاسب او فلكي» . ويروى دوارته بربوسه في كتابه [٢] ان الملوك لايقدمون على عمل إلا بعد استشارة الكاناكا وأن بعض عظماء التجار (في ملبار) يفعلون الشيء ذاته قبل أسفارهم [٣] . اذن كاناكا اسم مهني ثابت بوضوح ، والمعلم كاناكا في أخبار الرحلات البرتغالية لقب فقط [٤] . ولا يعطي اسم معلم فاسكو داغاما إلا كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني (هنا ينتهي كلام غبرييل فران) .

---

(١) انظر Museum , maanblad voor philologie en geschiedenis السنة ٣٢ ، ١٩١٥ ، لايدن ، ص١٨ ، تقرير عن المجلد الأول من هذه المطبوعة ، لـ فـ . س . فان رونكل .

(٢) انظر كتاب دوارته بربوسه ، طبعة وترجمة ع . لونغورث ديمس ، جمعية هكليوت ، ١٩٢١ ، المجلد الثاني ، ص٦١ ، حاشية ٣ مع تصحيحات م . ق . س . فان رونكل المشار اليه في الحاشية السابقة .

(٣) المرجع ذاته ، ص٦٢ .

(٤) بقي تباين اخير . يقول كستنهيدا ان ابن ماجد «ربان جوزراتي» . ويرى باروس وغويس انه «مسلم من جوزرات» وعلى النقيض نعرف منه ان المعلم الشهير عربي مولود في جلفار . فخطأ المؤرخين البرتغاليين أو بالأحرى غلط مصادرهم واضح لكن لايسعني أن أعلله .

د ـ مآخذ على تخريج غبرييل فران :

هنا ينتهي غبرييل فران من عرض تمسكه بوثيقة النهروالي وتقديمه ما ظنه حججا تدعم تأييده لها . فماذا كانت حصيلة جميع ما قرأناه في شرحه الطويل ؟

(١) ترجمة فران خاطئة ومكيّفة مع أفكاره المسبقة .

أراد فران ، على حد قوله ، وهذا شأنه ، أن يوفي ترجمة المستشرقين دي ساسي و م . د . لوبيس النص النهروالي ، حقها من الدقة والصحة . فاستبدلها بنقل جديد الى الفرنسية . يؤسفنا ان نقول إنه حرّف الأصل العربي تحريفا تاما ، وبدّل مضمونه على نحو مقصود في النواحي التالية على وجه التخصيص .

ـ فقد عيّن موقع المضيق الذي تغرق فيه المراكب البرتغالية ، وحوّل جبل القمر الى سلسلة جبلية تمتد الى رأس الرجاء الصالح ، ليصير طرفها جبلا يمثل جانبا من المضيق إياه واقعا الى الشمال ، فأضاف كلمة «شمال» الى ترجمته ، خلافا للأصل العربي . وأبقى بحر الظلمات في الجانب الآخر ووضعه في الجنوب ، وأضاف كلمة «جنوب» الى ترجمة النص العربي .

ولا يقبل العقل بهذا التصور الخيالي الجامح ، لتناقضه مع أول جملة من فران ذاته ، التي تقضي أن تمر المراكب البرتغالية ، الآتية من بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) خلف جبال القمر ، لا جنوبيها ، ومن الجهة الشرقية لإفريقية . وعندئذ فقط ، تصل الى المضيق المشؤوم ، الذي يتحتم أن يقع في شرق قارة افريقية لا في جنوبها .

ـ واستبدل فران بحر الهند في الأصل العربي ، ببحر الهند الغربية في ترجمته . وليس في القرن الخامس عشر بحر يسمى بحر الهند الغربية ، ولا في أيامنا الحاضرة . وبحر الهند في أيام ابن ماجد معروف ، ويمتد من جزيرة القمر الى الصين ، ويسمى بحر الزنج مقابل ساحل افريقية الشرقية .

ـ وجعل فران احمد بن ماجد «ربّانا يعمل عند البرتغاليين» ، اتصل به «الملندي» أي فاسكو داغاما في رأيه . فنصحهم أن يبتعدوا عن الساحل في ذلك المكان أي ساحل ملندي ، ثم يقتربوا من ساحل الهند ليتحاشوا الأمواج .

ويبلغ تشويه النص العربي هنا حدّه الأعظم . ولا ندري من أين جاء فران بفكرته أن أحمد بن ماجد عمل ربانا عند البرتغاليين ، ونصرف النظر عن الحديث عن الملندي (نسبة الى ملندة) بعد أن شرحنا هذا اللفظ من قبل . ونسترعي الانتباه أيضا الى أن فران نقل ساحل المضيق الخطر من رأس الرجاء الصالح حيث وضعه هو ، الى ساحل شبه جزيرة الدكن الغربي بلغتنا الحالية . ونلفت النظر أخيرا الى أن فران ترجم «المكان الذي قصد به النهروالي مضيق غرق المراكب البرتغالية ، ترجمتين مختلفتين : فمرة عنى به المضيق إياه ، ومرة اخرى ملندي ذاتها «التي استقل منها احمد بن ماجد سفينة القيادة البرتغالية» (الكلام لغبرييل فران) .

وهكذا نرى ان أداء فران لوثيقة النهروالي شوهها توشيها كليا ، وحوّر معانيها تحويرا تاما ، ليوفق بين «ترجمته الدقيقة» وبين الفكرة المسبقة الراسخة في ذهنه ، وهي ان احمد بن ماجد ذاته ، ولا أحد سواه ، هو الربان الذي أخذ فاسكو داغاما من ملندي الى كاليكوت . وقد سبق وحللنا وثيقة النهروالي ، وأبِنّا أن هذه الفكرة من نسج خيال صاحبها الذي يتلخص ما قاله في جملتين : تعذّر على البرتغاليين أن يجتازوا مضيقا خطرا واقعا الى جنوب جزيرة القمر ، وأن ينتقلوا من بحر الظلمات الى بحر الهند (بحر الزنج) ، فأسدى اليهم احمد بن ماجد نصيحة أنقذتهم من ورطتهم . وهذا الكلام من النهروالي مردود لناحيتين : ناحية تناقضه مع الأحداث التاريخية ، إذ إن البرتغاليين وصلوا الى مسنبيجي وملندي بعلمهم وجهدهم الخاصين ، وناحية استحالة وجود أحمد بن ماجد في جنوب جزيرة القمر ، وهو مكان لم يذهب اليه في حياته .

(٢) وقائع أساسية لم يأخذها فران بعين الاعتبار :

ولا بد آن فران رجع الى المصادر العربية ، فلم يجد فيها نصا جديدا يؤيد مزاعم النهروالي أو يوضح ما غمض منها . كذلك نقّب كثيرا في متون المراجع البرتغالية ، فلاحظ أن رواياتها تتعارض وتتناقض في قضية ارشاد فاسكو داغاما وفي عدد المعالمة الذين أرشدوه وفي الأمكنة التي أخذهم منها . ولم يعثر على مرجع برتغالي واحد ، يشير الى أحمد بن ماجد من بعيد أو قريب ، تصريحا أو تلميحا . لكنه خلص منها الى أن فاسكو داغاما اصطحب معه معلما من ملندي الى

كاليكوت . واستنتج قبليا أن هذا المعلم هو أحمد بن ماجد الذي سماه النهروالي . وهذا الاستنتاج مرفوض جملة وتفصيلا .

وسها غبرييل فران عن كثرة المعالمة القديرين من شتى الأديان والانتماءات الأرضية (زنوج ، عرب ، هنود) ، المنتشرين في بنادر بحر الهند . وجميعهم مؤهلون ومستعدون لتقديم خدماتهم لمن يريدها لقاء أجر يتفق عليه . وابن ماجد واحد من هؤلاء المعالمة . ويرجع هذا التقليد الى أن الناخوذه ، صاحب السفينة ، لم يكن ربّانا أو معلما ، لذلك يحتاج الى ربابين أو معالمة لإجراء مركبه الى الجهة المقصودة . وهذا يعني أن الإرشاد البحري الى جزيرة العرب والسند والهند وبلدان تحت الريح مباح ومتاح، بالأجر النقدي، لجميع الناس ولجميع الأمم في القرن الخامس عشر في حدود أصول وقواعد وأعراف يدركها أصحاب العلاقة. ولم يسبق أن ثارت ثائرة انسان لأن احد المعالمة سار بمركب الى جهة من الجهات . فتلك مهنته التي يعيش منها . فلماذا تقوم الأرض وتقعد على ابن ماجد ، فيما لو فرضنا جدلاً أنه أرشد الفرنج ، وهو لم يفعل مطلقاً . إن هذا الاتهام إن جاز لنا تسميته اتهاما ، نميمة تنطوي على جهل مفضوح وبدعة تضليل وحكم سقيم .

ـ فالجهل المفضوح يتمثل في تناسي مؤهلات البرتغاليين الملاحية والتقليل من قدرتهم على الوصول الى الهند بعلمهم وجهدهم الخاصين . فمن استطاع أن يقطع آلاف الكيلومترات من لشبونة في بحر الظلمات المجهول ، ومن تمكن من الدوران حول رأس الرجاء الصالح والوصول الى مسنبيجي وملندي ، لا يعجز عن بلوغ أحد مرافىء الهند ، طال معه الزمن أم قصر . إذن سواء أرشد ابن ماجد البرتغاليين ، أم لم يرشدهم لا هو ولا أحد سواه ، فهم لا شك واصلون الى هدفهم عاجلا أو آجلا . والبرهان بلوغ الصينيين كاليكوت وهرموز وعدن ومقدشوه وملندي إياها ، وفرض سلطتهم على الملاحة في بحر الهند في مطلع القرن الخامس عشر ذاته . فلم لا يسع البرتغاليين أو غيرهم أن يفعلوا ما عمله الصينيون ؟

ـ وتكمن بدعة التضليل والحكم السقيم في الظن أن أحمد بن ماجد غيّر مجرى التاريخ بعمله ـ الذي لم يعمله أصلا . ولو لم يقدم على فعلته النكراء ـ التي

لم يرتكبها البتة ـ لما فقد العرب والمسلمون سيطرتهم على تجارة بحرالهند . والحقيقة ان لا ذنب لأحمد بن ماجد في هذا الحدث العالمي ، ولا ذنب أيضا إطلاقا لجميع المعالمة الآخرين الذين أرشدوا الفرنج قولا وفعلا . . . فالمسألة ليست مسألة أفراد يتصارعون ، بل قضية أمم وثنية واسلامية وعربية مفككة أو مصابة بالفتن الداخلية أو مشرفة على الانهيار إن لم تكن منهارة . فساحل الهند مجزأ الى مدن شكلت كل منها مملكة مستقلة تناصب جاراتها العداء . واليمن مليئة بالفتن الداخلية . والحرب سجال بين شريف مكة وشقيقه . والمماليك منهارون يستعدون لتسليم مقاليد الحكم الى العثمانيين الذين واجهوا مشكلة عويصة بعد فوات الأوان . وتقابل قوة البرتغال وتنظيمها ودعم مصارف جينوه وغيرها تلك الأمم المستضعفة . اذن الصراع عالمي ، تقبلته الهند والعرب والمسلمون من الصين في مطلع القرن الخامس عشر ، لأن الصين حافظت على الوضع الراهن وبقيت البلدان تتمتع بفوائدها الاقتصادية وبامتيازاتها القديمة . لذلك لم ينشب نزاع مسلح إلا شواذا . أما مع البرتغال ، فالطرق التجارية سوف تتغير حسب الاعتقاد العام ، ويحرم بالتالي أصحاب الفوائد التقليدية من مكاسبهم الاقتصادية القديمة . فلا بد اذن من الاصطدام .

على الرغم من كل هذه الحجج ، انتشرت أفكار غبرييل فران ، وقبلها المستشرقون الفرنسيون على وجه التخصيص ، ومنهم ألبير كاميرير .

ثانيا ـ انضمام ألبير كاميرير بحماس الى وجهة نظر فران

كتب ألبير كاميرير عن «معلم فاسكو داغاما العربي» في كتابه «البحر الاحمر واثيوبية وجزيرة العرب منذ العصور القديمة» فقال حرفيا :

«أدرك الأميرال العظيم ـ يقصد فاسكو داغاما ـ عدم جدوى الاستمرار في مجاراة ساحل افريقية الشرقية حتى مقدشوه ، فأقام قرابة عشرة أيام في ملندة ، يسعى للحصول على معلومات وافية عن الهند . وأسعده الحظ . فاتصل بمعلم عربي شهير ، يعرف أدق التفاصيل عن بحر القلزم وبحر الهند وخليج فارس ـ كذا ـ وسواحل الهند وجزائر تحت الريح والصين .

ومكّن هذا اللقاء السعيد الاسطول البرتغالي من الانطلاق نحو الهند ، التي أخفيت طريقها حتى الآن عن الكفّار الذين أوصلهم ، في أغلب الظن ، حظهم أو الصدفة الى هذه الأرجاء .

وتتباين الروايات عن بدء العلاقات بين فاسكوداغاما وبين المعلم ، لا سيما عند المؤرخين الأول للاكتشافات البرتغالية ، خاصة كستنهيدا ودي باروس . وذكر الكاتب العربي قطب الدين المكي المسمى أيضا النهروالي ، في كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني أن كبير الفرنج (الذي يسميه الملندي ، أي الأميرال) صادف هذا المعلم وأسكره ، فباح له هذا الأخير بِسرِّه في حالة سكره ، وقال له «لا تقربوا من ساحل افريقية بعد ملندي شمالا ، انطلقوا بلا تردد نحو الباحة ، ثم اقتربوا من الساحل ، فتتجنبوا الأمواج العاتية» .

ولا تبدو هذه القصة مقبولة ، لأن المعلم ، مثلما سوف نرى ، كان جغرافيا عظيما وملاّحا فريدا ، ومسلما دينا ، فلايعقل أن يكون سكيرا . مع ذلك ، نجهل الأسباب التي دعته الى حث فاسكوداغاما على هذا العمل الجريء والانطلاق في خضم المجهول عبر بحر الهند . ويسمى هذا المعلم تارة كونانيا وطورا ماليمو كونيا او ماليمو كانانيا . وليست هذه التسمية سوى اسم مهنة ، وتصحيف تعبير «معلم كاناك» الذي يعني «رئيس البحر الفلكي» . وكان يظن أن هويته ستظل مجهولة الى الأبد . إلا أن غبرييل فران درس الإرشادات الملاحية العربية في القرون الوسطى ، وتوصل الى التعريف به . بالفعل يخبرنا قطب الدين النهروالي إياه ، أن معلم فاسكوداغاما هو أحمد بن ماجد النجدي ، وهو عربي شيعي أو علوي من هضبة جزيرة العرب الوسطى ، ويُرجح أنه كان يسكن جلفار» .

هذا ما قاله ألبير كاميرير عن أحمد بن ماجد وعن فاسكوداغاما. وواضح أنه يكرر أفكار فران التي ناقشناها ، ولا يأتي بشيء طريف . أما تيودور شوموفسكي ، فساق الى الباحثين حججا جديدة مذهلة . فما هي هذه الحجج ؟



الفصل الثالث

تأييد تيودور شوموفسكي لفران وتقديمه حججا جديدة في السفالية

عثر المستشرق شوموفسكي في السفالية على جميع ما ظنه إثباتات جديدة لإرشاد ابن ماجد فاسكوداغاما . واعتبر أن نية احمد بن ماجد صافية وسليمة في هذه الأرجوزة ، وأن ما جاء فيها صحيح يجب الوثوق به والأخذ بمضمونه . وهذا موقف سليم ورأي سديد ، لا ينازع فيه أحد ، في اعتقاد هذا العلّامة . لكن لنر كيف وصل هذا الباحث الكبير الى براهينه قبل أن نغوص في جوهرها .

أولا ـ نشر شوموفسكي «ثلاثة أزهار ـ كذا ـ في معرفة البحار «لأحمد بن ماجد ومنها السفالية» :

في عام ١٩١٨ ، نما الى بعض العلماء ، ومنهم كراتشكوفسكي وفران ، خبر وجود نسخة وحيدة من ثلاث قصائد لأحمد بن ماجد في مكتبة معهد الاستشراق في لينغراد .

وفي عام ١٩٥٧ ، نشر تيودور شوموفسكي هذه القصائد ـ ومنها الأرجوزة السفالية ـ مصورة ، بلا تحقيق ولا تدقيق ، على غرار ما فعل غبرييل فران قبله بثلث قرن ونيف . لكنه أرفقها بترجمتها الى اللغة الروسية وبفهارس وشروح متنوعة ، ووضع لها عنوانا على الغلاف هو «ثلاثة أزهار ـ كذا ـ في معرفة البحار» لأحمد بن ماجد الملاح العربي ، وعنوانا آخر ضمن الغلاف ، هو «ثلاث

راهمانجات ـ كذا ـ المجهولة لأحمد بن ماجد ربّان فاسكوداغاما. . . .

وجاءت الأرجوزة السفالية اولى القصائد الثلاث المصورة في كتاب شوموفسكي ، ويبلغ عدد أبياتها في الأصل العربي المصور ٨٠٧ أبيات ، يقابلها ٨٠٥ أبيات فقط في الترجمة الروسية . وتبين لنا أن فارق البيتين بين الأصل العربي المصور والترجمة الروسية ، ناشيء عن إهمال ترجمة بيتين أحدهما في ظهر الورقة ٩٢ والآخر في ظهر الورقة ٩٥ من المخطوطة المصورة . وقد حصرنا هذا السهو بعد مقارنة الأصل بالترجمة على الوجه التالي :

إسقاط بيتين في الترجمة الروسية

رقم الورقة المصورة	عدد أبياتها	عدد أبيات الورقة المترجمة	رقم الورقة المصورة	عدد أبياتها	عدد أبيات الورقة المترجمة
٨٣ و	١٦	١٦	منقول	٣٦٨	٣٦٨
٨٣ ظ	٢٤	٢٤	٩٠ و	٣٠	٣٠
٨٤ و	٢٣	٢٣	٩٠ ظ	٣٤	٣٤
٨٤ ظ	٢٢	٢٢	٩١ و	٣٣	٣٣
٨٥ و	٢٧	٢٧	٩١ ظ	٣٠	٣٠
٨٥ ظ	٢٦	٢٦	٩٢ و	٣٠	٣٠
٨٦ و	٢٤	٢٤	٩٢ ظ	٣١	٣١
٨٦ ظ	٣٠	٣٠	٩٣ و	٣٤	٣٤
٨٧ و	٢٨	٢٨	٩٣ ظ	٣٧	٣٦
٨٧ ظ	٣٠	٣٠	٩٤ و	٣٤	٣٤
٨٨ و	٣٠	٣٠	٩٤ ظ	٣٤	٣٤
٨٨ ظ	٣٠	٣٠	٩٥ و	٤٢	٤٢
٨٩ و	٢٨	٢٨	٩٥ ظ	٤٠	٣٩
٨٩ ظ	٣٠	٣٠	٩٦ و	٣٠	٣٠
المجموع	٣٦٨	٣٦٨	المجموع	٨٠٧	٨٠٥

اذن يتساوى عدد الأبيات في الترجمة الروسية وفي المخطوطة المصورة ، ويصبح ٨٠٧ أبيات ، متى تم تعويض البيتين المنسيين .

وتشرح الأرجوزة السفالية الملاحة الساحلية والملاحة في أعالي البحار مقابل ساحل افريقية الشرقية حتى بندر سفالة ، وبعده قليلا ، ومن هنا جاءت تسميتها السفالية ، نسبة الى سفالة . ولسنا في صدد بحث الملاحة الآن ، وما يعنينا هو أنها تضمنت إضافة الى شرح الملاحة ، نبذا عن الفرنج أي البرتغاليين وعن ذهابهم الى الهند . استرعت انتباه شوموفسكي ، واعتبرها دليلا قاطعا على وجود علاقة وثيقة بين ناظم الأرجوزة أي أحمد بن ماجد وبين الفرنج ، وإلا لما استطاع أن يتحدث عنهم بالتفصيل الوارد في أبيات السفالية . وها نحن نعيد بعض ما رواه عن أخبارهم .

ثانيا ـ أخبار الفرنج البرتغاليين في السفالية

تتوزع أخبار الفرنج في السفالية على ثمانية مقاطع و ٦٩ بيتا ، عيّنا موقعها في الورقة المصورة وبين أبيات السفالية المحققة ، وأشرنا الى صفحة ورودها في النص العربي المحقق المطبوع . وكل ذلك مدوّن في الجدول الآتي :

أخبار الفرنج البرتغاليين

رقم المقطع	رقم الورقة المصورة	عدد الأبيات المنحولة	الموقع بين الأبيات المحققة	صفحة النص المحقق المطبوع
١	٩٢ظ ٤-٧	٤	٥٢٥-٥٢٦	٣٥
٢	٩٣و ٢٤-٣٤	١١		
	٩٣ظ ١-١٨	١٨	٥٦٥-٥٦٦	٣٧
٣	٩٤و ٢	١	٥٨٥-٥٨٦	٣٨
٤	٩٤و ١٢-٢٠	٩	٥٩٤-٥٩٥	٣٨
٥	٩٤ظ ١٣	١	٦١٩-٦٢٠	٤٠
٦	٩٤ظ ٢٥-٣٤	١٠		
	٩٥و ١-١٢	١٢	٦٣٠-٦٣١	٤٠
٧	٩٥ظ ٢٩	١	٦٧٦-٦٧٧	٤٢
٨	٩٦و ١٥-١٦	٢	٦٩٠-٦٩١	٤٣
	المجموع	٦٩		

آ- مضمون المقطع الأول :

فالمقطع الأول يروي أن الفرنج زلّوا في سفالة التي قلبت أمواج ساحلها الراجعة مراكبهم في عيد ميكال . ويستدعي هذا الخبر تحفظين ، مع أن الملاحة خطرة حقيقة مقابل شواطىء سفالة : أولهما أن تحديد تاريخ غرق المراكب البرتغالية بيوم عيد أحد القديسين مستبعد بالنسبة الى ابن ماجد ، ولا يحتمل أن يرد على لسانه ، وثانيهما أن مرور البرتغاليين على سفالة واستقرارهم فيها جاء متأخرا ، ولم يتضمن تدوين الوقائع التاريخية لما يسمى بالاكتشافات البرتغالية أو التوسع البرتغالي تحطم مراكب برتغالية عند سفالة في وقت من الأوقات .

بالفعل في عهد الحملات البرتغالية ، كانت كلوة تحكم سفالة التي لم تتمتع آنذاك بأهمية ملحوظة . ولم يعرج عليها فاسكوداغاما في رحلته الاولى لأنه خاف أن يكون خليج نهرها عميقا ، ويستعصي عليه الخروج منه سليما . ثم مر بيدرو الفريز غبرال بأسطوله امامها عام ١٥٠١م / ٩٠٧هـ دون أن يتوقف فيها . وأكمل طريقه الى مسنبيجي . لكنه فرز في إيابه سانشو دانوفار في مركب واحد في مهمة استطلاع عنها . ورجع دانوفار الى لشبونة بعد يوم واحد من وصول غبرال اليها . وأخبر أن سفالة جزيرة صغيرة واقعة في مصب أحد الأنهار ، وأن التبر يجلب اليها من جبل منجم يقع في جبال بعيدة عنها . ولم يرس جاوو دانوفا عام ١٥٠١م / ٩٠٧هـ في مكان مأهول قبل مسنبيجي . أما فاسكوداغاما ،، فقد توقف في رحلته الثانية في سفالة اثنين وعشرين يوما ، ولم يحصل على ما تمنى من الذهب على حد قول دي باروس ، وإن كان كوريا يؤكد أن داغاما ذهب الى مسنبيجي وأرسل الى سفالة بيرو أفونسودي آغيار ، الذي عقد معاهدة مع شيخ سفالة ، ولحق بفاسكو داغاما وأدركه في ملندة .

وفي عام ١٥٠٥م / ٩١١هـ قرر الملك مانويل الأول أن يقيم حصونا في النقاط الهامة على طريق الاكتشافات البرتغالية ، واختيرت سفالة وكلوة على ساحل افريقية الشرقية . ونزل بيرو دانهايا في سفالة ، وشرع ببناء الحصن المطلوب ، وقضى نحبه قبل إنجازه .

ب ـ مضمون المقطع الثاني :

ويتضمن المقطع الثاني أفكارا رئيسة كثيرة ، منها أن الفرنج زادوا معارف العرب العلمية في الملاحة ، وأن سيطرتهم انبسطت على الطريق البحرية من كلوة الى سفالة [1] ، ومنها الى الزقاق والى القمر ، مثلما احتلوا الجزر الخالدات وجزر السعادات .

وفيه أن البرتغاليين جاؤوا الى كاليكوت عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م[2] ، وتاجروا فيها ، وظلموا الناس ، وأبغضوا الإسلام ، ومنعوا مراكب مكة من المجيء اليها ، كما سدوا الطريق الى جردفون [3] . وقد أتوا من لُجّة البحر العميقة من جهة السودان ، وانتصروا على المغاربة ، وأصبحت الأندلس كلها تحت حكمهم[4] .

ويتحدث عن انعطاف البر في شمال بلد الفرنج الى الشرق فالجنوب حتى الصين مرورا بأرض الأتراك ، ووصولا الى سلسلة الأرض وحفرتها ، ثم عن وجود أربع جزر كبار في غربه ، ويخلص الى القول بأن البندقية سوق لجميع اوروبة ، وأن العداء مستحكم بين الفرنج والهنود .

جـ ـ مضمون المقطعين الثالث والرابع :

وينفرد المقطع الثالث بخبر نزول الفرنج في جزيرة وشيكا . ويخبرنا المقطع أن الفرنج أتوا الى جزيرة وازة عام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م ، وبقوا فيها عامين كاملين ، ارتكبوا فيهما شتى المظالم ، ثم غادروها الى الهند ، ورجعوا منها الى الزنج فلشبونة . وأعادوا الكرة عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م (اشارة مرة ثانية الى حملة غبرال) ،

---

(١) انظر ص٤٤ من كتاب اراجيز ملاحية : السفالية، الملعقية ، التائية ، لأحمد بن ماجد ، تحقيق ابراهيم خوري .

(٢) اشارة الى حملة بيدرو الفريز غبرال (١٥٠٠=١٠٥١) .

(٣) انظر ص٤٤ ـ ٤٥ من الكتاب نفسه .

(٤) سقطت مدينة غرناطة في ٢ك٢ عام ١٤٩٢م .

فراحوا الى الهند ، واشتروا فيها بيوتا ، ووقعوا معاهدة مع سامري كاليكوت ، وسكّوا العملة في هذا البندر ، وأخذت الناس تتساءل عن أغراض أسفارهم .

د ـ مضمون المقطعين الخامس والسادس :

ويشير بيت المقطع الخامس الوحيد الى الأقزام الذين يسكنون الى شمال سفالة الأنهار ، ويذكر ان الفرنج يسندون هذا الخبر الى ابن ماجد .

ثم صار البرتغاليون يعرفون جيدا طريق الهند ، وألفوا السفر إليها ، على حد ما ورد في المقطع السادس ، فأصبحت حركتهم معروفة . فهم يخرجون من بلدهم ، ويصلون الى الجزر الخالدات بعد عشرة أيام . ويستأنفون سفرهم في البحر ويسيرون تسعين يوما ، فيبلغون ساحل الحبشة في افريقية الشرقية . وهنا تلتقي مراكبهم القادمة من الهند بمراكبهم الخارجة من لشبونة ، وذلك في تسعين النيروز ، وتتبادل الأخبار والمعلومات (١١ شباط) . ويعتبرون أن تلاقيم يتم في منتصف طريق الهند ، ويستغرق الوصول اليه ستة أشهر . ثم شرعوا يضعون حاميات من رجالهم في الجزر التي يمرون بها .

وتثني الأبيات الأخيرة من هذا المقطع على علم البرتغال الملاحي الذي يترقى به معالمة بحرالهند متى عرفوه . وكان ابن ماجد يتمنى لو يعيش حتى يتم الصلح مع الفرنج ليكسب منهم علما عن بحر الروم وبحر الصين .

هـ ـ مضمون المقطعين السابع والثامن :

وفي البيت الوحيد للمقطع السابع إشارة الى اكتشاف البرتغال لجزيرة زنجبار . أخيراً يؤكد المقطع الثامن لمعالمة بحر الهند أن معارفهم ستتوسع ، ومهارتهم ستتحسن ، إن هم تعلموا الطرق الجديدة التي فتحها الفرنج .

ويستخلص من استعراض مضمون المقاطع الثمانية السابقة واحدا واحدا أنها تطرقت الى ناحيتين رئيستين :

الناحية الاولى : الإلحاح على أبراز تفوق الملاحة البرتغالية على الملاحة العربية خاصة وعلى الملاحة الهندية عامة ، بدليل اعتراف أحمد بن ماجد ، أعظم

الملاحين العرب قاطبة ، أن الفرنج زادوا علمه علما (مقطع٢) ، وتمنيه أن يطول عمره ليستزيد من علمهم (مقطع٦) ، وتوقعه توسع المعارف الملاحية عند المعالمة العرب ورفع مستوى مهارتهم عند اطلاعهم على العلم الملاحي الفرنجي .

الناحية الثانية : إجمال تاريخ اكتشاف البرتغاليين لطريق الهند من الغرب ، أي عبر بحر الظلمات او المحيط الأطلسي ، وسرد بعض وقائع ذلك الكشف العظيم مؤرخة أو بدون تاريخ .

١ ـ فمن الأحداث المؤرخة بصرف النظر عن صحة تاريخها أو خطئه :

ـ وصول البرتغاليين الى جزيرة وازة عام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م ، ومكوثهم فيها سنتين قبل سفرهم الى الهند وعودتهم منها (قارن هذا التاريخ بتاريخ النهروالي) .

ـ وذهابهم الى كاليكوت عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م (ذكر مرتين) وما اقترن به من أعمال صيغت بألفاظ عامة أو مبهمة .

٢ ـ ومن الأحداث غير المؤرخة :

ـ تحطم مراكب البرتغاليين مقابل سفالة .

ـ ونزولهم في جزيرة وشيكا .

ـ واكتشافهم جزيرة زنجبار .

٣ ـ ويسترعي الانتباه إعطاء بعض التفصيلات الدقيقة عن الطريق الغربية بصرف النظر عن صحتها :

ـ منها أن قطع نصف الطريق الى الهند يستغرق ستة أشهر (من لشبونة الى افريقية الشرقية) .

ـ وأن مراكبهم كانت تجري في مياه عمقها ثمانية أبواع فقط .

ـ وأن الحاميات وزعت على أماكن مختارة على طول تلك الطريق .

ـ وأن فتح الطريق الجديدة ترافق مع منع مراكب مكة أي المراكب العربية من دخول كاليكوت ، ومع سد طريق البحر الأحمر في وجه جميع المراكب عربية كانت أم غير عربية .

ـ وتلفت النظر أيضا ، في المقطع الثاني ، الإشارة الى سيطرة البندقية على تجارة التوابل في اوروبة .

هذا ما ظُن أنه جاء على لسان أحمد بن ماجد متفرقا في أرجوزته السفالية . وقد تلقاه المستشرقون المعنيون بالأمر بحماس بالغ في اوروبة لا سيما البرتغاليون منهم .

ثالثا ـ موقف المستشرقين البرتغاليين من أخبار السفالية

اهتم المستشرقون والباحثون البرتغاليون بكتاب شوموفسكي المنشور عام ١٩٥٧ . فبادر الاستاذ ميرون ملكييل جيرومونسكي الى نقله الى اللغة البرتغالية ، وطُبعت ترجمته عام ١٩٦٠ ، أي بعد مضي ثلاث سنوات على نشر الترجمة الروسية . وشرع علماء البرتغال يعلقون على البحث الجديد ، ويمحصونه .

ومما جاء على لسان ا . تكسيرا داموتا ما يلي : «كتب أحمد بن ماجد رهمانج سفالة بعد بضعة أعوام من أخذه فاسكو داغاما من ملندة الى كاليكوت . واعتمد تصنيفه في هذا الوقت المبكر على بعض المعارف المستقاة من مصادر برتغالية ، وحث الربابنة الشرقيين مرات عديدة على التعلم من البرتغاليين لأن «العلم والفن يأتياننا من الفرنج» على حد قوله (اشارة الى مضمون المقطع الثامن) . ونحن نرى أن النصيحة الصادرة عن أعظم معلم عربي ، تعني في جوهرها أن اوروبيي فاسكو داغاما ، عندما دخلوا بحر الهند ، كانوا يتفوقون على الربابنة الشرقيين بامتلاكهم خريطة ملاحية ، مطورة عن الخريطة التي رسمت في البحر المتوسط قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون ، حينما أضحت البوصلة ، وهي اختراع شرقي ، الآلة الملاحية الرئيسة عند الغربيين ، خلافا لما حصل في المحيط الهندي [١] .

وممن توسعوا في بحث السفالية أيضا ليرينو برادس . ففي عام ١٩٧٠ ، طبع رسالتين ، خص الاولى منهما بشرح سبعة أبيات من السفالية تتضمن المقطع الأول ، وسماها «غرق المراكب البرتغالية عند جزر خوريا موريا عام ١٥٠٣م/ ٩٠٩ هـ» [٢] . وشرح في الرسالة الثانية ثلاثة أبيات من السفالة

---

(١) طرق الملاحة الكرتوغرافية الملاحية في المحيط الهندي قبل القرن السادس عشر ، تأليف تكسيرا داموتا ، ١٩٦٣ .

(٢) غرق السفن البرتغالية قرب جزر خوريا موريا سنة ١٥٠٣ تأليف لارينوبرادس ١٩٧٠ .

(٥٧٩ ـ ٥٨٠ ـ ٥٨١) وردت فيها جزيرة ملابتي أي انهمبان[١] . وطبع في شهر حزيران عام ١٩٧١ «موجز رهمانج الربان العربي احمد بن ماجد»[٢] . عرّف فيه بالسفالية ، وعلّق على ١٠٦ أبيات منها ، وقارن ملاحة بلاده بالملاحة العربية اعتماداً على أقوال أحمد بن ماجد نفسه . ويلخص الجدول التالي أبحاث برادس .

موجز رهمانج الربان العربي أحمد بن ماجد

رقم البحث (روماني)	عنوانه	الأبيات المعلق عليها	صفحة الكتاب	ملاحظة
١	التعريف بالسفالية	—	١ ـ ١٢	
٢	جزيرة وازة	٧	١٣	
		١١	١٤	المقطع الثالث ٤٥
٣	إحالات برتغالية	٧	١٩	المقطع الأول ٥ ـ ٨
		٥	٢٥	
		٩	٢٦	المقطع الثاني ١٦ ـ ٢٤
		٦	٢٧	المقطع الثاني ٢٥ ـ ٣٠
		١	٢٨	المقطع الثاني ٣١
		٩	٢٩	المقطع الثاني ٣٢ ـ ٤٠
		٥	٣٠	المقطع الثاني ٤١ ـ ٤٤
				المقطع الثالث ٤٥
		٦	٣١	المقطع الرابع ٤٦ ـ ٥١
		٤	٣٢	المقطع الرابع ٥٢ ـ ٥٤
		٣	٣٣	
		٨	٣٤	المقطع الخامس ٥٥
		٧	٣٥	المقطع السادس ٥٦ ـ ٦٢
		٣	٣٦	المقطع السادس ٦٣ ـ ٦٥
		٦	٣٧	المقطع السادس ٦٦ ـ ٧١
		٦	٣٨	المقطع السادس ٧٢ ـ ٧٧
		٣	٣٩	المقطع السابع ٩٠
		—		المقطع الثامن ١٠٢ ـ ١٠٣
٤	مقارنة الملاحتين العربية والبرتغالية			٤٠ ـ ٥٠
	المجموع	١٠٦		

(١) انهمباني دي اوترورة ، تأليف لارينوبرادس ١٩٧٠ .

(٢) موجز رهمانج الربان أحمد بن ماجد ، تأليف لارينوبرادس .

هذه بعض دراسات البرتغاليين لأخبار السفالية . فقد اقتصرت على الرضى التام عن ما ظن أنه اعجاب أحمد بن ماجد بعلم الفرنج ، وعلى الخوض في أبحاث توضح ما أتى غامضا أو مبهما في الأقوال المنسوبة اليه ، أو ما جاء منها في صيغ معممة يعوزها التدقيق على ضوء ما سجلته مصادرهم . ولم يُثر فضول شوموفسكي العلمي أو سواه ، لا إبراز تقدم الملاحة البرتغالية ، ولا تعظيم اكتشافهم الطريق الغربية ، وإن كان هذان الحدثان الفريدان في زمنها يستحقان بحد ذاتها كل تقدير في ميداني المعرفة والجغرافية . ولم يدر بخلد أحد من الباحثين أن يتساءل هل وضع ناظم الأرجوزة نفسه هذه الاستطرادات غير المألوفة في قصائده العلمية الملاحية الصرفة ، أم انها أضيفت الى شعره ونُسبت اليه . وبذا نصل الى اعتبار أخبار الفرنج في السفالية استطرادات منحولة ومدسوسة .

رابعا ـ أخبار الفرنج في السفالية استطرادات منحولة ومدسوسة

لدينا ستة أسباب جوهرية تدعونا الى تأكيد وجود انتحال مدسوس في السفالية ، يتضمن أخبار الفرنج مع إضافات اخرى . أولها اضطراب سياق العرض وانقطاع تسلسل الأفكار .

آ ـ اضطراب سياق العرض وانقطاع تسلسل الأفكار :

ويشعر القارىء بسهولة بهذا الخلل ، في أثناء مطالعته السفالية في صورة شوموفسكي ، عندما يصل الى خروج عن الموضوع ، لأن لغته تختلف عن إنشاء أحمد بن ماجد . ويظهر له الخلل مثلا عندما يقرأ موسم السفر من سفالة في ١٧٠ من النيروز (٢ أيار) ، وفي الأبيات ٥٢١ ـ ٥٢٨ المعروض في ثمانية أبيات ، تشرح دواعي وجوب الإبحار في ذلك التاريخ وفي ذلك الموسم الوحيد . فإذا به يُفاجأ بالفكرة تنقطع لِيُدَس في سياق تسلسلها حكاية غرق سفن وأدقال طافية على وجه الماء ومراكب مقلوبة وغرقى يتأملون (نعم حرفيا) بعضهم بعضا (المقطع الأول) .

ويتكرر الوضع ذاته عندما يطالع القارىء السفر في الباحة من جزيرة كلوة الى بندر سفالة . فإذا به يرى نفسه محمولا بعيدا عن هذه الطريق (المقطع الثاني)

الى الجز الخالدات والأندلس وحدود الفرنج (البرتغال) الشمالية والغربية ، والى البندقية المسيطرة على تجارة اوروبة ، ثم يُنقل فجأة الى شبه جزيرة الدكن الى ساحة القتال بين الفرنجة والهنود مقابل ساحلها الغربي ، ثم يُعاد سالما معافى الى موضوع السفر في الباحة . وقِسْ على ذلك سائر المقاطع .

ولا يجوز أن يحتج معترض بالاستطرادات الأدبية المألوفة في بعض النثر العربي ، ليبرر انقطاعات السياق ، لأن ابن ماجد يُنظم شعراً أولاً وشعرا علميا ثانيا وشعرا علميا ملاحيا ثالثا وأخيرا .

وتضافر هذا السبب مع اطلاع العرب في وقت متأخر على وصول الفرنج الى بحر الهند .

ب ـ اطلاع العرب المتأخر على وصول الفرنج الى بحر الهند:

ولا يُفترض أصلا أن يسترعي قدوم مراكب الفرنج الى الهند أو بحرها انتباه العرب أو غيرهم ، لأن سفن جميع الأمم تجوب عباب هذا المحيط بحرية تامة وبلا رقيب أو حسيب . ومن يحاسب أو يراقب ما دام التفكك والانحطاط والاضطراب والضعف الشامل يسود في جميع البلدان المعنية . من ناحية اخرى ، ارتبط اطلاع العرب على فعال الفرنج بطبيعة الأحوال والأشياء في القرن الخامس عشر : فكل الأمور تجري ببطء شديد في هذا العصر ، ومنها السفن ، ومنها أيضا انتقال الأشخاص في البر لأنه عسير وطويل ونادر . ولا تتوفر لا في البر ولا في البحر وسائل اتصال حديثة وسريعة شبيهة بما يملكه القرن العشرون . بالتالي كان لابد أن يعلم العرب متأخرين بظهور الإفرنج الذي أُضفي عليه طابع المأساة بلا مبرر في تلك الأوقات . وما جدوى العلم المتأخر أو المتقدم ؟

مهما يكن ، ينبغي تكريس هذا الواقع الأليم . والمؤرخون اليمنيون المعاصرون للأحداث وهم مثقفون ومطلعون وقريبون من مسرح الوقائع المادية ، مثل ابن الديبع أو بامخرمة ، لم يشيروا اليها إلا في عام ٩٠٨هـ /١٥٠٢م أي بعد مرور خمس سنين على حصولها . ولم يعلم بها العرب كجماعة ولم يدروا خطورتها ، إلا بعد مهاجمة الفرنج بندر عدن عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م . أما المؤرخون اليمنيون

المتأخرون مثل ابن المطهر فقد نقلوا عن المؤرخين المعاصرين ، ولم يأتوا بشيء جديد . وأما المؤرخون الحجازيون مثل النهروالي ، أو المصريون مثل ابن اياس ، فلا يعتد بكلامهم لأنهم أوصلوا الفرنج الى الهند عام ١٤٩٥م/٩٠١هـ ، أي قبل عامين من تحركهم من لشبونة ، وثلاثة أعوام قبل بلوغهم ملندة .

ويستتبع هذا الواقع الاستنتاج بأن لا أحد من العرب أو اليمنيين يستطيع أن يتحدث عن البرتغاليين قبل عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م أو عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م في أضعف الاحتمالات . وينطبق هذا الكلام على ابن ماجد اليمني ذاته ، الذي لا يسعه ، لو فرضنا أنه كان ما يزال حيّاً ، أن يتحدث عن الفرنج حتى في عام ٩٠٨هـ لأن آخر قصيدة نظمها يعود تاريخها الى عام ٩٠٦هـ . وبذا نصل الى السبب الثالث الذي يدعونا الى الاعتقاد بأن أخبار البرتغاليين في السفالية ملفقة . نعني طعن أحمد بن ماجد في السن ووفاته .

جـ ـ طعن أحمد بن ماجد في السن ووفاته :

فلو عدنا الى ما قلناه من قبل عن سنه ومولده ووفاته ، للاحظنا أنه ولد عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م وانسحب من العمل في البحر عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م ، واعتكف في بيته في مكة أو في سواها وأن عمره بلغ ٧٥ عاماً سنة ٩٠٠هـ/١٤٨٩م ، و٨١ سنة عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م . ولا نجد دليلا على بقائه على قيد الحياة بعد هذا التاريخ الأخير .

بالتالي ، لا يعقل أن يتكلم عن أشياء لم يعرفها أحد في جزيرة العرب ، ولا المواطنون في اليمن ، ولا هو باعتباره انصرف عن العمل في البحر منذ عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م أي قبل أن يغادر فاسكو داغاما لشبونة بإحدى عشرة سنة ، واستكن في البر بعيدا عن الأجواء الملاحية في عام ٩٠٠هـ/١٤٩٤م . ولا ريب أنه كان قد انتقل الى رحمة ربه عندما هاجم البرتغاليون عدن وسمع جميع الناس بهم .

وأهم من الأسباب الثلاثة السابقة أن أحمد بن ماجد لا يعرف ملندة البتة .

د ـ جهل أحمد بن ماجد ملندة :

فهو لم يزرها ولم يدخلها بمركب في حياته . ولا علاقة له البتة بملكها الزنجي أو العربي . ولم ترد في حاويته ولا في كتاب فوائده ، ولا في قصائده أو أراجيزه باستثناء السفالة حيث ذكرها في البيت ٢٨١ (المخطوطة المصورة : ٨٨ظ بيت١) ، وهي المرة الوحيدة التي تَرِد على لسانه :

وَبَعْـدَهـا أولاً تـرى مِلِنْـدي   وقيـلَ رأسُهُ طـويـلاً بيـدي

ونلفت الأنظار الى فعل «قيل» الذي يُثبت أنه يتحدث عنها سماعا ، والى فعل «ترى» الذي يعني أنه لا يعرف مكانها إلا من بعيد : من البحر فقط .

وتأويل جهله لها وتعليله ميسوران : فهي لم تكن بندرا دوليا في زمانه ، فامتنع عن إدراجها في عداد بنادر الحبشة الجنوبية الشرقية الشهيرة التي أشار اليها في كتاب الفوائد حيث قال : «. . . أرض الحبشة الجنوبية الشرقية . وفيها بنادر جَمّة للمسافرين أشهرها مقدشوة وبراوة ومنبسة وكلوة (ص٢٧٢ ـ ٢٧٣) . ولم تصل في الماضي الى هذه المرتبة مطلقا . ويعتبرها الإدريسي (٥٦١هـ/١١٦٥م) في القرن الثاني عشر الميلادي مدينة واقعة على ساحل البحر ، يصطاد أهلها السمك ويجففونه ، ويتسخرجون الحديد من مناجمه ويصنّعونه . ويقول عنهم أبو الفداء (٧٣٢هـ/١٣٣١م) في القرن الرابع عشر : «وملندة من مدن الزنج . وفي غربها خور كبير ينزل اليه نهر من جبل القمر. وعلى شطي هذا الخور عمائر كبيرة للزنج . وفي الجنوب عمائر القمر . وفي شرق ملندة الخرتي ، وهو جبل مشهور عند المسافرين ، يدخل في البحر نحو ماية ميل آخذا الى الشمال بتشريق . ويظهر في البر آخذا نحو الجنوب مستقيما نحو خمسين ميلا . ومن غرائبه أن ما في البر منه فيه معدن الحديد ، وما في البحر منه فيه حجر المغناطيس الجاذب الحديد . وفي هذه المدينة سحرة الزنج» .

اذن أبعد ضعف أهمية ملندة أحمد بن ماجد عنها . ونحن نعلم أن علاقاتها الوثيقة بالبرتغاليين أضفت عليها طابعا خاصا ، ولا دور لها في القرن الخامس عشر أو القرون الغابرة . فلم يذهب اليها ولا مرة واحدة في حياته . فكيف يجتمع فيها

بفاسكو داغاما ، ومن أين يتلقى الأخبار عنهم إذا لم يتصل بهم أبدا ، ولا يفترض أن يعرف شيئا عنهم إلا ما عرفه مواطنوه منذ هجوم الفرنج على عدن عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م ، علماً بأنه كان قد توفي في هذا التاريخ .
ويحسم النقاش حسما باتا تاريخ نظم السفالية .

هـ- تاريخ نظم السفالية :

ولا يضير أن السفالية لا تحوي ما يحدد تاريخ نظمها صراحة . فالقصيدة الذهبية سمتها باسمها في بيتها الـ ١٦٢ :

وَمَنْ قالَ سوفاليةً قَدْ هَدى بِهَا   هنوداً وأهْلَ الزنجِ ثمَّ المَغَارِبِ

وهذا يعني أن السفالية نظمت قبل الذهبية . وللذهبية نسختان تعود إحداهما إلى عام ٨٩٥ هـ/١٤٨٩م . إذن تم تصنيف السفالية قبل هذا الوقت ، أي في الحد الأدنى ، ثماني سنوات قبل أن يغادر فاسكو داغاما لشبونة (فاسكو داغاما : ٩٠٣ هـ/١٤٩٧م) في مقاربة أولى . أما إذا اعتمدنا نسخة الذهبية الأولى الأخرى التي نظمت قبل عام ٨٨٠ هـ/١٤٨٥م . فيعود نظم السفالية إلى ما قبل هذا التاريخ ، أي إلى ٢٢ سنة قبل أن يتحرك الأسطول البرتغالي باتجاه بحر الهند لأول مرة في الحد الأدنى .

فعلى هذا الأساس ، لا يعقل أن يتحدث أحمد بن ماجد في السفالية عن وقائع مادية وأحداث تاريخية جرت بعد انقضاء مدة طويلة جداً على نظمه هذه الأرجوزة ، أي بعدها بأكثر من ثمانية أعوام أو بأكثر من ٢٢ عاماً حسب نسخة الذهبية المعتمدة .

بالتالي لا يمكن أن تتضمن السفالية أي خبر عن الفرنج البرتغاليين ، وكل الأخبار الواردة عنهم فيها مدسوسة ومنحولة .

ولا يرقى الشك إلى هذا الاستنتاج بعد معرفة العدد الصحيح لأبيات السفالية .

و ـ العدد الصحيح لأبيات السفالية : ٧٠١

ويسترعي الانتباه أن أحمد بن ماجد درج في أول عهده بقرض الشعر أن يحدد عدد أبيات قصائده . مثال ذلك :

في عام ٨٦٥ هـ/١٤٦٠م ، نظم القصيدة القافية في معرفة المجهولات من النجوم اللواتي قيدوا بالمنازل جيداً . وقال في بيتها الـ ٣١ :

وأعـدادُها أعـدادُ شهر وعُشْـرِهِ   كذلكَ جاءَتْ كالعروسْ المُقَرْطَقِ

أي أن أبياتها ٣٣ بيتاً (= ٣٠ + ٣٠/١٠ = ٣٣) .

وفي عام ٨٦٦ هـ/١٤٦١م ، نظم حاوية الاختصار في أصول علم البحار ، وقال في البيت ٩٥ من الفصل ١١ منها :

جميعُهـا ألفـاً وثـمانـينَ أتَـتْ   تـزيـدُ بيتـينِ لـذاكَ قَـدْ وَفَتْ

أي أن عدد أبياتها ١٠٨٢ بيتاً .

ونظم الأرجوزة السفالية بين عام ٨٦٦هـ و٨٨٠هـ ، وجاء فيها في البيت ١٧ من الورقة ٩٦ وجه من الأصل العربي المصور (= البيت ٧٩٤ من المخطوطة أو البيت ٦٩١ من النص العربي المحقق) :

هي سبعُ مايةٍ ، بيتٌ يزيدُ عَنْهَا   عَنْ أحمـدِ السعـدي احفـظَنَّهَا

وبذا يكون عدد أبياتها قد تحدد بدقة ، وتعين مصنفها أيضاً . ويتعارض هذا الرقم ٧٠١ مع الرقم ٨٠٧ من المخطوطة المصورة . وهذا يعني أن أبياتاً أقحمت في السفالية بلغ عددها ٨٠٧ ـ ٧٠١ = ١٠٦ أبيات .

وقد عيناها بالتمام والكمال ومنها الـ ٦٩ بيتاً المتضمنة الأخبار عن الفرنج .

وهكذا تنهار حجج شوموفسكي دفعة واحدة ، وتتلاشى جميع التصورات المبنية عليها ، ويخرج أحمد بن ماجد المظلوم ناصع الجبين ، وتتجلى الحقيقة بوجه أنصع ، وهذا أهم .

أخيراً لا نرى داعياً لأن نسترسل في الغوص في الموضوع ، ونتكلم عن رأي المستشرق الانكليزي جيرالدر . تبيتز الذي انفرد باتخاذ موقف متحفظ من الإرشاد ، ولم يقطع فيه لا سلباً ولا إيجاباً حتى السبعينات .

لكن بقي علينا عرض موقف الباحثين العرب من قضية الإرشاد .

الفصل الرابع

الباحثون العرب وقضية الارشاد

لا بدَّ من القول أن ما كتب في اللغة العربية عن أحمد بن ماجد وإرشاده فاسكو داغاما محدود جداً ، بل نادر ، شمل نبذاً أو مقالات قصيرة نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وفي مجلة العربي الكويتية ، وفي مجلة العرب السعودية ، أو محاضرات ألقيت في أحدى الندوات العلمية ، أو كتيبات صغيرة تبحث في الجغرافية التاريخية أو الملاحةِ العامة ، وكراساً واحداً عنوانه «ابن ماجد الملاح» . ولا شيء آخر . والسبب بسيط يتلخص في أن الباحثين العرب لم يتفرغوا حتى الآن أو لم يجدوا لديهم متسعاً من الوقت يهتمون فيه بنفائس ابن ماجد ، فألقوا هذا العبء على كاهل المستشرقين ، واكتفوا بنقل آرائهم .

آ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق :

ففي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، نشرت نبذتان لسعيد الكرمي وبولس خوري . فسعيد الكرمي وصف مخطوطة الظاهرية ، ونقل بولس خوري بعض آراء فران .

ب ـ مجلة «العربي» الكويتية :

ونشرت العرب بحثاً عنوانه «ابن ماجد بحار العرب الأول» للأستاذ قدري حافظ طوقان في الستينات . وفي كانون الأول عام ١٩٨٣ ، صدر فيها ثلاث

صفحات للدكتور أحمد الطيبي ، عنوانها «الملاحة البحرية» ، أراد فيها أن يعطي القراء عجالة عن ترجمة ج . ر . تيبتز لكتاب فوائد ابن ماجد ، الذي زعم أنه صدر «في الآونة الأخيرة» على حد تعبيره في حين طبعت ترجمة تيبتز وكتابه ووزعت عام ١٩٧١ أي قبل مقاله باثنتي عشرة سنة . ولخص الطيبي دون أن يدري آراء غبرييل فران في قضية الإرشاد ، وأبان موقف المستشرق الانكليزي المتردد دون أن يشعر ، وشوّه عناوين كتاب الفوائد ، فأثبت أنه لم يره في حياته لا مطبوعاً ولا مخطوطاً .

جـ ـ مجلة العرب السعودية :

ونشر الأستاذ عبدالله الماجد في مجلة العرب السعودية مقالة بعنوان «الربان النجدي أحمد بن ماجد» . ولم يخف أنه من مؤيدي أقوال فران وشوموفسكي .

وألقى الدكتور عبد الهادي هاشم محاضرة بعنوان «ليث البحر ابن ماجد» ، والأستاذ محمد رضا الشبيبي محاضرة موسومة «ثقافتنا البحرية وشهاب الدين أحمد بن ماجد» ، وكان ذلك في الكويت عام ١٩٥٩ .

د ـ آراء واردة في بعض الكتب :

ولا نود الآن أن نتحدث عن كتاب «ابن ماجد الملاح» للدكتور أنور عبد العليم ، ولا عن كتاب «أضواء على تاريخ اليمن البحري» للأستاذ حسن صالح شهاب ، لضيق المقام ولتحاشي الخروج عن الموضوع ، فنكتفي بذكر رأيهم في الإرشاد .

فالدكتور أنور عبد العليم يقول : «ويرجع الفضل في الواقع في التعرف على أن ابن ماجد كان هو المرشد الذي قاد اسطول فاسكو دي جاما الى الهند إلى جهود المستشرق الفرنسي الألمعي جبرييل فران عام ١٩٢٢»[1] .

---

(١) ابن ماجد الملاح ، ص ٤٩ .

ويقول جورج حوراني[1] : كان دي جاما يبحث بشرق إفريقية عن دليل يحمله إلى الهند ، فلم يجد إلا أحمد بن ماجد . فكان من سخرية التاريخ أن ملاحاً عربياً كبيراً ساعد على القضاء على الملاحة العربية» .

ويقول حسن صالح شهاب[2] : «وابن ماجد هذا هو شهاب الدين أحمد بن ماجد الذي قاد سفن فاسكو داغاما من ماليندي بشرق افريقية الى كاليكوت بساحل الهند الغربي . فاستحق بذلك بغض البحارة والتجار العرب له ، لأنه عجل بزوال سيطرة العرب على تجارة المحيط الهندي . وظلت خيانته هذه تتردد على ألسنة البحارة ، جيلاً بعد جيل ، حتى زمن قريب جداً ، مع أنه كان باستطاعته ، كما قال علي النجدي ، الربان الكويتي المشهور ، لألآن فاليارس ، أن يقود السفن البرتغالية الى صخور جزر الفال (مالديف) فيحطمها . **وقد غيّر** الأستاذ رأيه في **شهر تموز سنة ١٩٨٨ ، فنشر نبذة صغيرة في مجلة العربي عنوانها «بين ابن ماجد وفاسكو داغاما ، اشهر رواية خاطئة في التاريخ البحري» ، وحاول** أن يدعم تراجعه عن فكرته بحجج استقاها من السفالية ، فارتكب أخطاء فادحة ، واعتمد على أبيات منحولة لم يدرك أنها مدسوسة في سفالية ابن ماجد[3] ، فناقض نفسه بنفسه ، لاعتباره أن ابن ماجد عرف الفرنج وتحركاتهم .

وتوحي هذه الاستشهادات أن أصحابها موافقون على أقوال النهروالي وفران ، ويحملون أحمد بن ماجد مسؤولية زوال السيطرة العربية على تجارة المحيط الهندي . بالتالي ، لا موقف لهم من قضية الإرشاد ، لأنه يتبنون مواقف غيرهم ، دون أن يتساءلوا إذا كان ابن ماجد قام فعلاً بهذا العمل ، ودون أن يخطر لهم ببال أن وصول الفرنج إلى الهند محتوم عاجلاً أو آجلاً ، حتى لو لم يساعدهم أحد . فمن قطع ثلاثة أرباع المسافة إلى الهند ، يستطيع أن يقطع الربع الباقي والأخير ، ولن يحرم الوسائل ما دامت لديه المؤهلات . فقد تبدلت معطيات التجارة العالمية بفتح الطريق الغربية ووجود البرتغاليين على الساحل الافريقي من بحر الهند ،

---

(١) العرب والملاحة في المحيط الهندي .

(٢) أضواء على تاريخ اليمن البحري ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٣) مجلة العربي الكويتية ، ذو القعدة ١٤٠٨هـ- يوليو (تموز) ١٩٨٨ ، ص ٣٥ - ٣٨ .

حتى قبل عبورهم إياه وانتقالهم إلى الشاطيء الآخر . وأصبحت سوق الشرق مفتوحة أمام الغرب بعد أن بلغت طلائعه مشارفها . فلم يعد يجدي تصغير فعال وتكبير فعال . فالكل عرب وعجم ، طالب صيد ، وقاصد ربح وكسب : العرب عن الطريق الشرقية ، والغرب عن الطريق الغربية . ولا ريب أن المتهم البرىء ، أحمد بن ماجد ، وقف إلى جانب أهله في الصراع الاقتصادي العالمي ، قبل نشوبه بحدة ، وذلك بعلمه وفنه ورؤيته الواضحة ، عندما كان حياً قبل مجيء البرتغاليين وسائر الأوربيين إلى بحر الهند .

ولا يختلف رأي محمد ياسين الحموي الوارد في كتابه «الملاح العربي أحمد بن ماجد» عن آراء الكتاب السابقين ، إلا في بعض المغالاة : فهو يؤمن أن فاسكو داغاما لم يكن بوسعه أن يصل إلى الهند دون الاستعانة بمعلم عربي ماهر ، لأن «تلك الطريق لا يسلكها إلا تجار العرب وملاحوهم ، ولا يطرقها أحد سواهم ، لاختلاف مهاب الرياح في المحيط الهندي وشدة ثورانه وصعوبة ركوبه» ، متناسياً الصينيين والهنود والفرس والمعالمة الزنوج والاندونيسيين ، وكلهم سلكوا بحر الهند وتجولوا فيه طولاً وعرضاً .

هـ - رأي قدري القلعجي :

وردّد قدري القلعجي في كتابه الموسوم «الخليج العربي» وجهة نظر فران ، فقال : «ومما يؤسف له أن ملاحاً عربياً هو البطل أحمد بن ماجد ، قد ساهم على غير إرادة منه بتحطيم سيادة قومه على المحيط ، حين استعان فاسكو دي غاما ، قائد الأسطول البرتغالي ، بالربان العربي عام ١٤٩٨ ، لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي» (ص ٥٧) . وعاد فألح على الفكرة ذاتها في حديثه عن «ابن ماجد وفاسكو داغاما» (ص ٣٤٧) .

و - مقال مجلة جامعة دمشق (١٩٨٥)

نشر الاستاذ عمر موسى باشا في مجلة جامعة دمشق عام ١٩٨٥ (المجلد ١ ، العدد ٢ ، رمضان ١٤٠٥هـ) مقالاً عنوانه «ابن ماجد النجدي» ، اعتبر فيه ابن ماجد عالماً عربياً كبيراً وبحاراً ورباناً وأديباً وشاعراً ، وصف المعمورة في القرن

الرابع عشر (كذا حرفياً) . وعدّد الباشا أسماء بعض أراجيز ابن ماجد وقصائده ، فذكر منها : ١١ ـ الكواكب المفيدة في الملاحة : أرجوزة من الرجز المخمس (هي في الحقيقة مخمسة من البحر الطويل لعلم معلم اللغة العربية) ، و٢٠ ـ قصيدة في وصف الضفادع والأسماك والحيتان ، لم يسمع بها أحد من الباحثين العرب أو العجم[1] ، علماً أن أغلب تسميات منظومات ابن ماجد خاطئة عنده ، وموضوعاتها محدّدة غلطاً أو غير معينة ، مما يدل على أن الباشا لم يطلع على تصانيف ابن ماجد لا الشعرية ولا النثرية ، ولم يطالعها . . مع ذلك ذكر بصورة عابرة ، نقلاً عن الطيبي (مجلة العربي : صفر ١٤٠٤ هـ/كانون الأول ١٩٨٣) أن تيبتز دحض اتهام ابن ماجد بإرشاد فاسكو داغاما .

وهكذا نرى أن الباحثين العرب يكررون وجهات نظر المستشرقين على وجه الإجمال ، ويندر أن يأتوا بشيء جديد ، لأنهم لم يدرسوا مؤلفات أحمد بن ماجد . وبذا نصل إلى مغزى هذا الكتاب الحتمي : نعني ضرورة مبادرة العلماء العرب إلى إحياء تراثهم الملاحي ونزع المبادرة من أيدي المستشرقين أو المستعربين .

فقد أبنّا أن الدراسات الأجنبية التي تناولت الملاحة العربية ، سواء بحثت في نقاط فرعية أو تفصيلية منها ، أم حاولت إعطاء صورة عامة عنها ، أخفقت ولم يكتب لها النجاح لألف سبب وسبب . فكانت النتيجة تشويه علم نفيس أبدع العرب فيه ، أو إضاعة الوقت في تفنيد أفكار هامشية أبعدت المفكرين عن الموضوع الأساسي .

فعلى أصحاب البيت أن يثبتوا أنهم أدرى بما فيه ، وأقدر على فهمه وتحليله . وبالله التوفيق .

---

(١) لا نستغرب هذا الخطأ الفاحش من أستاذ لغة عربية متطفّل على علوم البحر ، لا يفترض فيه أصلاً أن يفقه شيئاً منها أو أن يكتب عنها أو عن تصانيف ابن ماجد من النواحي العلمية . ونأسف لهذه المغالاة والغلط الفطيع فالقصيدة لا تصف الضفادع والأسماك والحيتان مثلما تصوّر الأستاذ الباشا ، بل بعض كواكب الملاحة وعنوانها «الفايقة في قياس الضفدع الأول وقيده سهيل» . وفي تصديرها النثري اسم الصفدع الأول وفم الحوت اليماني وساكب الماء ، وكلها أسماء نجوم . . .



المراجع

المراجع العربية

ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الاجدابي ، الأزمنة والأنواء ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٦٤ .

أبو علي المروزي الأصفهاني ، كتاب الأزمنة والأمكنة ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٣٢ هـ .

أمين الطيبي ، الملاحة البحرية ، العربي (مجلة) ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨ ـ ٣٠ .

أنور عبد العليم ، ابن ماجد الملاح ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

أنور عبدالعليم ، الفوائد في أصول البحر والقواعد لابن ماجد الملاح ، العرب (مجلة) ، الجزء التاسع ، السنة الرابعة ، حزيران ١٩٧٠ ، ص ٨٣٢ ـ ٨٥١ .

أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، الكويت ، ١٩٧٩ .

حسن صالح شهاب ، الدليل البحري عند العرب ، الكويت ، ١٩٨٣ .

حوراني ، جورج فضلو ، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ، ترجمة يعقوب بكر ، مراجعة يحيى الخشاب ، مصر ١٩٥٨ .

شوموفسكي ثيودور ، ثلاث راهمانجات المجهولة (كذا) لأحمد بن ماجد ، ربان رحلة فاسكو دي جاما ، وهي مأخوذة من النسخة العربية الفريدة التي توجد في مكتبة معهد الاستشراق . طبع بمطبعة المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي ،

موسكو لينغراد ، ١٩٥٧ .
عبد الله بن علي الماجد ، أحمد بن ماجد ، الربان النجدي ، العرب (مجلة) ، الجزء الأول ، السنة الثالثة ، تشرين الأول ، ١٩٦٨ ، ص ٤٢ - ٨٢ .
عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدنيوري ، كتاب الأنواء ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٥٦ .
عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد أبي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل ، لايدن ، ١٩٣٦ .
عبد الرحمن بن عمر الرازي ، المعروف بالصوفي ، كتاب صور الكواكب الثمانية والأربعين ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٢ .
عمر موسى باشا ، ابن ماجد النجدي ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ١ ، العدد ٢ ، ١٩٨٥ ، ص ٦٩ - ٨٨ .
عيسى أحمد النشمي ، الملاحة في الخليج العربي ، الكويت ، ١٩٦٩ .
عيسى القطامي ، كتاب دليل المحتار في علم البحار ، الكويت ، ١٩٦٤ .
كرلو نللينو ، علم الفلك ، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، رومة ، ١٩١١ .
محمد بن أحمد النهروالي المكي ، غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة ، المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني ، الرياض ، ١٩٦٧ .
محمد عبد العال أحمد ، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، نصوص جديدة مستخلصة من قلادة النحر لبامخرمة ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .
محمد ياسين الحموي ، الملاح العربي أحمد بن ماجد ، دمشق ، ١٩٤٧ .
نفيس أحمد ، جهود المسلمين في الجغرافية ، ترجمة فتحي عثمان ، مراجعة علي أدهم ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٢ .
كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة ايغور بلياييف ، القسم الثاني ، الفصل العشرون ، الجغرافية الملاحية لدى العرب والترك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ص ٥٦٢ - ٦٠٦ .

المراجع الاجنبية

Albuquerque, Luis d', Quelques Commentaires sur la navigation orientale à l'époque de Vasco da Gama, Paris, 1972.

Barbosa, The Book of Duarte Barbosa, an account of the countries bordering on the Indian Ocean and their inhabitants, A.D. 1518, translated by Mansel Longworth Dames, WHS, XLIV, XLIX, 2 parts, London 2nd edition, 1918, 1921.

Barradas, Lereno, O sul de Mocambique no reteiro de Sofala de Piloto Ahmad ibn Madjid, Coimbra, 1967.

Barradas, Lereno, Inhambane de Outrora, Separata de Monumenta, n°6, 1970.

Barradas, Lereno, Naufragio de navios portugueses nas ilhas Curia e Muria em 1503, Separata de Monumenta, n°6, 1970.

Barradas, Lereno, Sobre o roteiro de Sofala do Piloto Hamad ibn Madjid, separata de Studia, n°32, Junho 1971.

Bensaude, Joaquim, L'astronomie nautique au Portugal, Berne, 1912.

Bowen, R., le B., Arab Dhows of Eastern Arabia, Amer. Neptune 9 (1949), pp.87-132.

Bowen, R., le B., The Dhow Sailor, Amer. Neptune, II (1951), pp. 161-202.

Bowen, R., le Ba., Primitive Watercraft in Arabia, Amer. Neptune, 12 (1952), pp. 186-221.

Cathay and the Way thither, being a collection of Mediaval notices of China, translated and ed. by H.Yule, revised by H. Cordier, WHS, 4 vols, 2nd series, XXIII, XXXVII, XXXVIII, XLI, London, 1915-1916.

Clemasha, W.W., The Early Arab Thalassocracy, J. of the Polynesian Society, vol. 52 (1943).

Coupland, R., East Africa and its invaders from the earliest times to the

death of Sayyid Said in 1856, Oxford, 1938, VIII, Clarendon Press.
Crone, Ernst, How did the navigator determine the speed of his ship and the distance run? Lisboa, 1969.
Fall, Yoro K., Les cartes à rumbs et leur utilisation au XIVe et XVe siècles, Lisboa, 1983.
Fall, Yoro K., L'Afrique à la naissance de la cartographie moderne, Paris, 1982.
Ferrand, G., L'élément persan dans les textes nautiques arabes des XVe et XVIe siècles, JA, 204 (1924), pp. 193-257.
Ferrand, G., Introduction à l'astronomie nautique arabe, pp. 177-257 du tome III des Instructions Nautiques et routiers arabes et portugais des XVe et XVI siècles.
Ferrand, G., Le pilote arabe de Vasco de Gama et les instructions nautiques des arabes au XVe siècle. Annales de Geographie, 1922, p. 289.
Ferrand, G., Relations de Voyages et textes géographiques arabes, persans et turks relatifs à l'extrême- Orient du VIII au XVIIe siècles, translated edited and annotated by G. Ferrand, 2 vols, Paris, 1913-1914.
Gaudefroy-Demombynes, Les Sources arabes du Muhit turc, JA, Xe serie, tome XX, 1912, pp. 547-550.
Grosset-Grange, H., La navigation arabe de Jadis: nouveaux aperçus sur les méthodes pratiquées en Océan Indien, 2e partie, Navigation, 196, pp.437-448.
Grosset-Grange, H., Les traités arabes de navigation, Arabica, 1972.
Grosset-Grange, H., Une carte nautique arabe au Moyen Age, navigation, n°87, 1974.
Grosset-Grange, H., Les marins arabes du Moyen Age, Arabica, 1977.
Grosset-Grange, H., Les manuscrits nautiques anciens (Océan Indien), Arabica, 1979.
Grosset-Grange, H., Comment naviguent aujourd'hui les arabes de l'Océan Indien, addenda et corrigenda, Arabica, 1975.
Hajima, Hikoichi, Maritime activities of the Arab gulf people and the Indian Ocean World in 11th and 12th centiries, JAAS, n°14, 1977, pp.195-208.
Hasan, H., A History of persian navigation, London, 1928.
Harnell, James, Sea-trade in early times, Antiquity, vol.15, 1941, pp. 233-256.
Hornell, James, A tentative classification of Arab sea craft, Mariner's mirror, jan, 1942.
Kammerer, A., La Mer Rouge, l'Abyssinie et l'Arabie depuis l'Antiquité. In mémoires de la Société Royale de Géographie d'Egypte, Tome XV (1929).
Lesourd, M., Notes sur les nawakhid, navigateurs de la Mer Rouge, Bul.

IFAN, 22 (1960). pp. 346-355.
Mookergi, R., Indian Shipping, London, 1912, 2nd edition, revised, with introductory note by Brajendranath Seal, Bombay, 1957.
Moreland, W.H., The Ships of the Arabian Sea A.D.1500, JRAS, 1939, pp. 173-192.
Nadvi, Syed Sulaiman, Arab Navigation, IC, 15 (1941), pp. 435-448, 16 (1942), pp. 72-86, 182-198. 404-422.
Nougarède, N.P, Qualités nautiques des navires Arabes. Océan Indien et Méditerranée, travaux du 6e colloque international de l'Océan Indien (session de Lourenço Marques: 13-18 août (1962), pp. 96-122.
Poujade, Jean, La route des Indes et ses navires, Paris, 1946.
Reinaud, J.Th., Relations desvoyages faits par les Arabes et les persans dans l'Inde et la Chine, 2 vols, Paris, 1845.
Sauvaget, J., Sur d'anciennes instructions nautiques arabes pour la Mer des Indes, JA, CCXXXVI (1948), pp. 11-20.
Serjeant, R.A., The Portuguese off the South arabian coast, Oxford, 1963.
Tibbetts, G.R., Arab Navigaiton in the Red Sea, Geog.J., 127 (1961) pp. 322-334.
Tibbetts, G.R., The Star-Nomenclature of the Arab navigators and the «Unter-suchungen» of P.Kunitzsch, in Der Islam, Band 40, 1965, pp. 185-197.
Tibbetts, G.R., The navigational theory of the arabs in the 15th and 16th centuries, Coimbra, 1969.
Tibbetts, G.R., Arab Navigation in the Indian Ocean before the coming of the portuguese, London, 1971.
Tolmacheva, Marina, On the arab system of nautical orientation, Arabica, Tome XXVII, 1980.
Villiers, A., Some aspects of the arab dhow trade, MEJ, vol 12 (Oct.1948), pp. 399-416.



فهرس مواد الجزء الأول

الصفحة

القسم الأول
حياة أحمد بن ماجد

القسم الثاني
مؤلفات احمد بن ماجد

القسم الثالث

دراسة الاوروبيين تصانيف احمد بن ماجد

القسم الرابع
استحالة لقاء احمد بن ماجد وفاسكوداغاما

طبع من هذا الكتاب
٣٠٠٠ نسخة
في مطبعة الأندلس بدمشق


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طبع بمطبعة رأس الخيمة الوطنية

هاتف : ٢٢٨٨١١٩ / ٢٢٨١١٧٠ - فاكس: ٢٢٨١١٨٨ - ص.ب: ٤٦ - رأس الخيمة - إ.ع.م.



